

الدكتور حسان شبيب باشا

سَهرة عَائِلِيَّة

في رياض الجنة



دار القلم

دمشق

مكتبة الرمحى أحمد

سَهرة عَائِلِيَّة

في رياض الجنة

الدكتور حَسَن شَمْسِيَّ بَاشَا

استشاري أمراض القلب

في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة

زميل الكليات الملكية للأطباء في لندن وغلاسجو وإيرلندا

زميل الكلية الأمريكية لأطباء القلب

للمزيد والجديد من الكتب والروايات زوروا صفحتنا على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

<https://t.me/ktabpdf>

دار القلم
دمشق

الطبعة السابعة

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

الفهرس

١٠	● الإهداء
١٣	● مقدمة
١٦	الليلة (١): هل تريد النجاح؟ (١)
١٨	الليلة (٢): هل تريد النجاح؟ (٢)
٢٠	الليلة (٣): هل تريد النجاح؟ (٣)
٢٢	الليلة (٤): هل تريد النجاح؟ (٤)
٢٤	الليلة (٥): حسنةٌ تُنقذك من النار (١)
٢٦	الليلة (٦): حسنةٌ تُنقذك من النار (٢)
٢٨	الليلة (٧): ذنبٌ يرفع .. وذنبٌ يضع
٣٠	الليلة (٨): مَنْ يشتري دموع عينيك؟
٣٢	الليلة (٩): إياك أن تستسلم ..
٣٤	الليلة (١٠): توبة عاصٍ على يد ابنه الأصم
٣٦	الليلة (١١): اللذة تزول .. والإثم يبقى
٣٨	الليلة (١٢): أيسقرضنا الله؟
٤٠	الليلة (١٣): اللهم أعط منفقاً خلفاً
٤٢	الليلة (١٤): أم ربيعة الرأي (١)
٤٤	الليلة (١٥): أم ربيعة الرأي (٢)
٤٦	الليلة (١٦): كيف تُحبِّب القراءة إلى أبنائك؟
٤٨	الليلة (١٧): اتصل بآيات الله
٥٠	الليلة (١٨): مَنْ هو الفقير الحقيقي؟
٥٢	الليلة (١٩): الجلم .. سيد الأخلاق
٥٤	الليلة (٢٠): كيف تدخل قلوب أبنائك؟
٥٦	الليلة (٢١): تهادوا تحابُّوا
٥٨	الليلة (٢٢): فنَّ الأمر بالمعروف

- ٦٠ الليلة (٢٣): هل في القرآن حُبٌّ؟ (١)
- ٦٢ الليلة (٢٤): هل في القرآن حُبٌّ؟ (٢)
- ٦٤ الليلة (٢٥): هل في القرآن حُبٌّ؟ (٣)
- ٦٦ الليلة (٢٦): هل في القرآن حُبٌّ؟ (٤)
- ٦٨ الليلة (٢٧): هل فيك ذرَّةٌ مِنْ كبر؟
- ٧٠ الليلة (٢٨): الجنة تناديكم (١)
- ٧٢ الليلة (٢٩): الجنة تناديكم (٢)
- ٧٤ الليلة (٣٠): هل يتحسَّرُ أهل الجنة؟
- ٧٦ الليلة (٣١): هل هذا جزاء نعم الله عليك؟
- ٧٨ الليلة (٣٢): أدعوك يا ربَّ (١)
- ٨٠ الليلة (٣٣): أدعوك يا ربَّ (٢)
- ٨٢ الليلة (٣٤): تدعو عليهم .. أم تدعو لهم؟
- ٨٤ الليلة (٣٥): كيف نذكر الله؟
- ٨٦ الليلة (٣٦): إنه كان صادق الوعد
- ٨٨ الليلة (٣٧): دواء .. لا داء فيه
- ٩٠ الليلة (٣٨): وداعاً للقلق (١)
- ٩٢ الليلة (٣٩): وداعاً للقلق (٢)
- ٩٤ الليلة (٤٠): هل أنتَ مهمٌّ؟
- ٩٦ الليلة (٤١): أحسن إلى والديك ولو كانا كافرين! ..
- ٩٨ الليلة (٤٢): تَفَنَّنْ في شُكر والديك
- ١٠٠ الليلة (٤٣): واخفضْ لهما جناح الذلِّ
- ١٠٢ الليلة (٤٤): لا تسافر دون إذن والديك
- ١٠٤ الليلة (٤٥): مَنْ نطيع إذا اختلفا؟
- ١٠٦ الليلة (٤٦): كيف تتعامل مع والدك المسنِّ؟ (١)
- ١٠٨ الليلة (٤٧): كيف تتعامل مع والدك المسنِّ؟ (٢)
- ١١٠ الليلة (٤٨): لا تفعل يرحمك الله ..
- ١١٢ الليلة (٤٩): لا تغضب

- الليلة (٥٠): غَنَّتْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ!... ١١٤
- الليلة (٥١): لَا تَظْلَمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ١١٦
- الليلة (٥٢): الْجِزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ ١١٨
- الليلة (٥٣): مَاذَا تَرِيدُ مِنْ صَدِيقِكَ؟ ١٢٠
- الليلة (٥٤): عَيُوبُكَ فِي عَيْنِ صَدِيقِكَ ١٢٢
- الليلة (٥٥): احْذَرُ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّةٍ ١٢٤
- الليلة (٥٦): الْحَذَرُ الْحَذَرُ يَا شَبَابَ ١٢٦
- الليلة (٥٧): وَصِيَّةُ وَالِدٍ لَوْلَدِهِ عِنْدَ الزَّوْجِ ١٢٨
- الليلة (٥٨): رِسَالَةٌ إِلَى مَنْ تَخَلَّى عَنْ أُبُوتِهِ ١٣٠
- الليلة (٥٩): الشَّيْخُ الْوَقُورُ .. وَرَكَّابُ الْقَطَارِ (١) ١٣٢
- الليلة (٦٠): الشَّيْخُ الْوَقُورُ .. وَرَكَّابُ الْقَطَارِ (٢) ١٣٤
- الليلة (٦١): أَيْكُونُ صَاحِبَ الْمَالِ زَاهِدًا؟!... ١٣٦
- الليلة (٦٢): مَنْزِلُكَ عَلَى هَدْيِ مُحَمَّدٍ ﷺ ١٣٨
- الليلة (٦٣): لَمْ يُسْرِفُوا .. وَلَمْ يَقْتُرُوا ١٤٠
- الليلة (٦٤): اغْرِسْ فِي أَبْنَائِكَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ (١) ١٤٢
- الليلة (٦٥): اغْرِسْ فِي أَبْنَائِكَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ (٢) ١٤٤
- الليلة (٦٦): اغْرِسْ فِي أَبْنَائِكَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ (٣) ١٤٦
- الليلة (٦٧): اغْرِسْ فِي أَبْنَائِكَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ (٤) ١٤٨
- الليلة (٦٨): شَابَ .. فَتَحَ يَثْرِبَ ١٥٠
- الليلة (٦٩): قَالَتْ نَمْلَةٌ (١) ١٥٢
- الليلة (٧٠): قَالَتْ نَمْلَةٌ (٢) ١٥٤
- الليلة (٧١): أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا؟ ١٥٦
- الليلة (٧٢): هَلْ مَاتَتِ الْقُلُوبُ؟ ١٥٨
- الليلة (٧٣): لَا تَكُنْ رَوِيضَةً!... ١٦٠
- الليلة (٧٤): دَرَاهِمُ يَأْتِيكَ بِسَعْمَتِهِ دَرَاهِمُ ١٦٢
- الليلة (٧٥): هَكَذَا تَكُونُ الْأَوْقَافُ ١٦٤
- الليلة (٧٦): مَسَاكِينُ أَهْلِ الدُّنْيَا ١٦٦

- الليلة (٧٧): أستحي أن يجود الله لي بشيء فأبخل . . . ١٦٨
- الليلة (٧٨): ذكر الله خير من الدنيا وما فيها ١٧٠
- الليلة (٧٩): ما قمتُ إلى الصلاة إلا مُثَلت لي جهنم ١٧٢
- الليلة (٨٠): هل أنت من الخاشعين في صلاتهم؟ ١٧٤
- الليلة (٨١): عزاء لفوات الجماعة! . . . ١٧٦
- الليلة (٨٢): اهجر همومك (١) ١٧٨
- الليلة (٨٣): اهجر همومك (٢) ١٨٠
- الليلة (٨٤): الحياء لا يأتي إلا بخير ١٨٢
- الليلة (٨٥): هكذا يكون الحبُّ ١٨٤
- الليلة (٨٦): العافون عن الناس ١٨٦
- الليلة (٨٧): الزوجات الأربع ١٨٨
- الليلة (٨٨): هل من الشكر؟ ١٩٠
- الليلة (٨٩): مَنْ أطيب الناس عيشاً؟ ١٩٢
- الليلة (٩٠): أنت خير مني ١٩٤
- الليلة (٩١): كفى هجراناً للقرآن ١٩٦
- الليلة (٩٢): مِنْ لوحات «اليرموك» ١٩٨
- الليلة (٩٣): عبد الرحمن الغافقي ٢٠٠
- الليلة (٩٤): معركة بلاط الشهداء عبد الرحمن الغافقي بطلها ٢٠٢
- الليلة (٩٥): معاملة الأبناء فنٌّ (١) ٢٠٤
- الليلة (٩٦): معاملة الأبناء فنٌّ (٢) ٢٠٦
- الليلة (٩٧): معاملة الأبناء فنٌّ (٣) ٢٠٨
- الليلة (٩٨): أيهما أكرم؟ ٢١٠
- الليلة (٩٩): قال: على أي شيء أحمد الله؟! ٢١٢
- الليلة (١٠٠): نصف تفاحة . . وإمام ٢١٤
- الليلة (١٠١): أبو حنيفة النعمان (٨٠ - ١٥٠هـ) ٢١٦
- الليلة (١٠٢): مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩هـ) ٢١٨
- الليلة (١٠٣): الإمام الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤هـ) ٢٢٠

- الليلة (١٠٤): أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ) ٢٢٢
- الليلة (١٠٥): هانوا على الله فعصوه ٢٢٤
- الليلة (١٠٦): لا تشكُّ ربَّ العباد إلى العباد ٢٢٦
- الليلة (١٠٧): هل تريد أن تصبح مغروراً؟ ٢٢٨
- الليلة (١٠٨): الحسن البصري (٢١ - ١١٠هـ) ٢٣٠
- الليلة (١٠٩): هل أنت تحبُّ الله؟ ٢٣٢
- الليلة (١١٠): طلب العلم عبادة ٢٣٤
- الليلة (١١١): سيأتي عليه يوم ٢٣٦
- الليلة (١١٢): همسة في أذن الطالبات ٢٣٨
- الليلة (١١٣): رسالة إلى طالب طب ٢٤٠
- الليلة (١١٤): اعرف كيف تنجح ٢٤٤
- الليلة (١١٥): مَنْ تركها لله عوضه الله خيراً منها (١) ٢٤٦
- الليلة (١١٦): مَنْ تركها لله عوضه الله خيراً منها (٢) ٢٤٨
- الليلة (١١٧): مَنْ تركها لله عوضه الله خيراً منها (٣) ٢٥٠
- الليلة (١١٨): نعطها على قدر النعمة ٢٥٢
- الليلة (١١٩): حوار مع المنصور ٢٥٤
- الليلة (١٢٠): هكذا يكون الورع ٢٥٦
- الليلة (١٢١): عليكم بقيام الليل ٢٥٨
- الليلة (١٢٢): مناجاة في الليل ٢٦٠
- الليلة (١٢٣): طوبى لأهل الفجر ٢٦٢
- الليلة (١٢٤): أعراس الجنة ٢٦٤
- الليلة (١٢٥): تُزوّج ابنها عروساً في الجنة ٢٦٦
- الليلة (١٢٦): مَنْ هو الرّقوب؟ ٢٦٨
- الليلة (١٢٧): العفة تاج! ٢٧٠
- الليلة (١٢٨): خالق الناس بخُلُقٍ حسن ٢٧٢
- الليلة (١٢٩): مَنْ لم يعرف نعمة الله عليه ٢٧٤
- الليلة (١٣٠): خصلتان يحبهما الله ورسوله ٢٧٦

- الليلة (١٣١): نادى... فاستجبنا ٢٧٨
- الليلة (١٣٢): «فمن عفا وأصلح» ٢٨٠
- الليلة (١٣٣): ما تواضع أحدُ الله إلا رفعه ٢٨٢
- الليلة (١٣٤): الجأ إلى الله ٢٨٤
- الليلة (١٣٥): السماء لا تُمطر ذهباً ٢٨٦
- الليلة (١٣٦): إلَّا أذهب الله رَجُلَهُ همة ٢٨٨
- الليلة (١٣٧): يا أبا ذر! ٢٩٠
- الليلة (١٣٨): أين متاعكم؟ ٢٩٢
- الليلة (١٣٩): بشارات للمتقين (١) ٢٩٤
- الليلة (١٤٠): بشارات للمتقين (٢) ٢٩٦
- الليلة (١٤١): خبأ أربعاً في أربع ٢٩٨
- الليلة (١٤٢): الصدقُ مُنجيك وإن خِفْتَهُ ٣٠٠
- الليلة (١٤٣): مزاحُ النبي ﷺ ٣٠٢
- الليلة (١٤٤): ذكرتُ دعوة أبي! ٣٠٤
- الليلة (١٤٥): يخافون.. ولا يأمنون! (١) ٣٠٦
- الليلة (١٤٦): يخافون.. ولا يأمنون! (٢) ٣٠٨
- الليلة (١٤٧): ولكنكم غثاء ٣١٠
- الليلة (١٤٨): لو يعلم الخلاق ماذا يستقبلون.. ٣١٢
- الليلة (١٤٩): إني أرى منزلي.. (١) ٣١٤
- الليلة (١٥٠): إني أرى منزلي.. (٢) ٣١٦
- الليلة (١٥١): أيها أرحم وأحسن آية في القرآن؟ ٣١٨
- الليلة (١٥٢): من الضياع إلى الطمأنينة ٣٢٠
- الليلة (١٥٣): إحسان للأهل حتى في الاعتكاف ٣٢٢
- الليلة (١٥٤): قلوبٌ يتنزَّلُ عليها نصر الله! ٣٢٤
- الليلة (١٥٥): مَنْ كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ٣٢٦
- الليلة (١٥٦): هل نفرح بنعم الله؟ ٣٢٨
- الليلة (١٥٧): يحفر قبره بأسنانه ٣٣٠

- الليلة (١٥٨): توكلٌ.. لا تواكل ٣٣٢
- الليلة (١٥٩): «لو استقاموا على الطريقة...» ٣٣٤
- الليلة (١٦٠): جاءت محاسنه بألف شفيع ٣٣٦
- الليلة (١٦١): نفوس مطمئنة ٣٣٨
- الليلة (١٦٢): فلا أنساب بينهم ٣٤٠
- الليلة (١٦٣): القضاء والقدر ٣٤٢
- الليلة (١٦٤): لماذا تصلي على النبي ﷺ؟ ٣٤٤
- الليلة (١٦٥): لا تمدنْ عينيك ٣٤٦
- الليلة (١٦٦): أم أحمد بن حنبل ٣٤٨
- الليلة (١٦٧): امرأة تنقذ زوجها ٣٥٠
- الليلة (١٦٨): ماذا بعد رمضان؟ ٣٥٢
- الليلة (١٦٩): سرٌّ لا يعرفه إلا التائبون ٣٥٤
- الليلة (١٧٠): وأعرض عن الجاهلين ٣٥٦
- الليلة (١٧١): عبادة.. ويقين ٣٥٨
- الليلة (١٧٢): أين يُحشر المتكبرون؟ ٣٦٠
- الليلة (١٧٣): رجل سقط من عين الله ٣٦٢
- الليلة (١٧٤): وبشر الصابرين ٣٦٤
- الليلة (١٧٥): رسالة لمن في الستين والسبعين (١) ٣٦٦
- الليلة (١٧٦): رسالة لمن في الستين والسبعين (٢) ٣٦٨
- الليلة (١٧٧): عجلٌ.. فالباب مفتوح ٣٧٠
- الليلة (١٧٨): حكيمٌ عظيمة ٣٧٢
- الليلة (١٧٩): أغمض عينيك وتخيّل ٣٧٤
- الليلة (١٨٠): ثلاثون عاماً بثماني مسائل ٣٧٦
- الليلة (١٨١): هل نحن مستعدون؟ ٣٧٨
- المراجع ٣٨٠
- مؤلفات الدكتور حسّان شمسي باشا ٣٨٢

إلى كل أسرة
تنشد السعادة والهناء
وتسمى لروضة غناء
في جنة خلد
عند ملك الأرض والسماء
إلى كل أسرة
تطلب علماً في لقاء
دقائق معدودة
في كل مساء
إلى كل من يبتغي
قطف زهرة
من هذه الباقة الفيحاء
ويرتجي رشف فكرة
من شَهْد الصفاء والنقاء
ويروم حذو سيرة
نحو السمو والعلواء
أهدي جهد عبد ضعيف
وكلّي رجاء
أن أنال من الله قبولاً
وحسن جزاء

من معِينِ النَّبُوءَةِ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال:
قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَرَزْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا».
قالوا: وما رياضُ الجنة؟
قال: «جِلْقُ الذَّكَرِ».

[السلسلة الصحيحة، للألباني (٢٥٦٢)]



وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال:
قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَرَزْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا».
قالوا: وما رياضُ الجنة؟
قال: «مَجَالِسُ الْعِلْمِ».

[رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ضعيف الجامع (٧٠٠)]



مكتبة الرومحي أحمد

مكتبة الرومحي أحمد

مكتبة الرومحي أحمد

مكتبة الرومحي أحمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

مكتبة الروحي أحمد @ktabpdf تيليغرام

يقول المثل: «رَبُّوا آبَاءَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُرَبُّوا أَبْنَاءَكُمْ»..

فتربية الآباء مقدّمة على تربية الأبناء.. وكل واحد منّا سيكون أباً أو أمّاً بإذن الله.

أجل.. إن أنت أحسنت تربية الآباء والأمهات؛ خرج جيل يعرف ضريق الحق، وتربّى على الخلق السليم.

يروى: أن رجلاً أحضر ابنه البكر إلى قاضي المدينة، وقال:

إن ابني عاق.. يشرب الخمر، ولا يصلي الفرائض الخمس.

فأنكر الابن ما ادّعاه والده، وقال: إنني يا سيدي القاضي أداوم على الصلاة.

فقال والده: أ تكون صلاة بغير قراءة؟!.

قال الولد: إنني أقرأ القرآن يا سيدي القاضي!..

قال القاضي: اقرأ بعض الآيات حتى أسمع.

فقال الولد هذين البيتين وهو يظن أنهما آيات في القرآن:

عَلَّقَ الْقَلْبُ الرَّبَّابَا بَعْدَمَا شَابَتْ وَشَابَا
إِنَّ دِينَ اللُّهُ حَقُّ لَا أَرَى فِيهِ ارْتِيَابَا

فقال أبوه: والله إنه لم يتعلَّم هذه الآيات إلا البارحة.. فقد سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه!..

إذا كانت هذه القصة تُروى على سبيل الدعابة؛ فإنك تجد - للأسف - أمثالها كثيراً في مجتمعات المسلمين.

فإذا كان الأبوان لا يعلمان من هو صديق ابنهما، أو صديقة ابنتهما!.. وإذا كانا لا يعلمان ما يحير بال أبنائهما، أو يشغل فكر بناتهما!..

وإذا كانا لا يتكلَّمان مع أبنائهما وبناتهما إلا مرة في الشهر!..

وإذا كانا لا يهتمَّان بشؤون أسرتهما، ولا يدریان أين يقضي أولادهما وبناتهما أوقاتهم.

إذا كان هذا ديدنهما في كلِّ تلك الأمور؛ فهما كذاك الذي ورد في القصة السابقة.



وإذا كانت أمة ﴿أَقْرَأْ﴾ - للأسف - لا تقرأ.. فإن هذا الكتاب قد وُضع حتى للذين لا يقرؤون إلا النذر القليل.

ابتغيْتُ من هذا الكتاب أن يكون فرصة لكي يجتمع فردان أو أكثر من أفراد العائلة، يقرؤون صفحتين فقط في كل ليلة، ولا يستغرق ذلك أكثر من خمس دقائق، ومن شاء أن يقرأ المزيد فبارك الله فيه، وزاده علماً ورفعة.

يغطِّي هذا الكتاب نصف عام، وسيليه بإذن الله تعالى كتاب آخر بعنوان «عندما يحلو المساء» يغطي النصف الآخر من العام.

نريد أن تعود للبيوت سهراتها؛ لا مع الفضائيات والإنترنت، ولكن في ظلال وارفة من المحبة؛ من التفاهم والحوار؛ وتبادل المشاعر

والآراء... نريد أن نرى الأسرة مجتمعة - أو على الأقل بعض أفرادها - ولو لدقائق معدودات، أقفل التلفاز خلالها، وافتح حديثاً مع أبنائك أو إخوانك وأخواتك!..

اجعل سهرتك روضة من رياض الجنة؛ فمجالس العلم وحلقات الذكر - كما ورد في الأثر - روضة من رياض الجنة.

ألا يستطيع أحد الأبناء أو البنات أن يأخذ صفحتين من الكتاب؛ يلخصهما بدقيقتين، تكون أساساً لفتح حوار عائلي هادئ؟!..

ألم يقل الرسول عليه الصلاة والسلام: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١)؟!.

أيعجز أحدنا عن تبليغ آية أو حديث شريف؟!.

والكتاب مليء بالآيات والأحاديث الشريفة؛ إضافة إلى درر ثمينة من القصص والحكم والأشعار... وأقسم أنني ما كتبتُ كلمة في هذا الكتاب إلا وابتغيْتُ من ورائها وجه الله.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب عملاً خالصاً لوجهه الكريم... وأن يكتب الثواب لكاتبه وقارئه وناشره..

اللهم هذا عملي؛ فإن وُفِّقْتُ فمنك وحدك، وإن قَصُرْتُ فمني ومن الشيطان..

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

حمص: غرة رمضان ١٤٢٩هـ

الدكتور حسان شمسي باشا

الموافق ١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٨م

هل تريد النجاح؟ (١)

كلنا يريد النجاح في الحياة، ولكن البعض منا يخفق في الوصول إليه؛ لأنه يظن أنَّ النجاح كلمة مستحيلة صعبة المنال.. والحقيقة أننا ربَّما نكون قد أهملنا أسباب النجاح، وأخلدنا إلى الأرض، فزادتنا هواناً على هوان.

والنجاح هو طموحك من الحسن إلى الأحسن، فالكمال لله تعالى وحده، وإذا سمعتَ أحداً يقول لك: «وصلت إلى غايتي في الحياة»؛ فاعلم أنه قد بدأ بالانحدار!.. وعلى الإنسان السعي نحو النجاح، والله تعالى لا يضع أجر العاملين، يقول بديع الزمان الهمذاني:

وَعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى وَلَيْسَ عَلَيَّ إِدْرَاكُ النَّجَاحِ

وإليك هذه الوصايا لمن أراد أن يقطف ثمار النجاح من بستان الحياة.. وما هي إلا دعوة للوصول إلى الفلاح في الدارين، إذ ما قيمة نجاح الدنيا، إن كان في الآخرة خسران مبين؟!..

١ - عليك بتقوى الله تعالى فهي خير زاد، وأفضل وصية؛ فالله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

٢ - املاً قلبك بمحبة الله ورسوله ﷺ، ثم محبة أبويك ومن حولك؛ فالحب يجدد الشباب، ويطيل العمر، ويورث الطمأنينة.. والكراهية تملأ القلوب تعاسة وشقاء.. اجعل في بيتك ما يكفيك من حب أهلك وعائلتك؛ فالحب يضمّد الجراح، ويبعث في القلب حرارة الألفة والمودة.

٣ - اجعل حبك لنفسك يتضاءل أمام حبك لغيرك؛ فالله تعالى يقول:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، والسعداء يوزعون الخير على الناس، فتتضاعف سعادتهم.. والأشقياء يحتكرون الخير لأنفسهم، فيختنق في صدورهم.. اجعل قلبك مليئاً بالحب والتسامح والحنان؛ فالأشقياء هم الذين امتلأت قلوبهم حقداً وكراهية ونقمة.

٤ - لا تذرف الدموع على ما مضى، فالذين يذرفون الدموع على حظهم العاثر لا تضحك لهم الدنيا، والذي يضحكون على متاعب غيرهم، لا ترحمهم الأيام.. لا تبك على اللبن المسكوب، بل ابذل جهداً إضافياً حتى تعوّض اللبن الذي ضاع منك.

وتذكّر قول رسول الله ﷺ: «وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت؛ كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»^(١).

٥ - اجعل نفسك أكثر تفاؤلاً؛ فالمتفائل يتطّلّع في الليل إلى السماء، ويرى حنان القمر، والمتشائم ينظر إلى السماء ولا يرى إلا قسوة الظلام.. كن أكثر تفاؤلاً ممّا أنت عليه، فالمتفائل يجذب إليه محبة الآخرين، والمتشائم يطردها عن نفسه.. يقول الحليمي: «كان النبي ﷺ يعجبه الفأل، لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال».

فعن معاوية بن الحكم رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، ممّا رجال يتطيرون! فقال: «ذلك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدّ عنهم»^(٢).



(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

هل تريد النجاح؟ (٢)

٦ - كن أكثر إنصافاً للناس ممّا أنت عليه؛ فالظلم يقصّر العمر، ويذهب النوم من العيون، ونحن نفقد الذين نحُبُّهم لأننا نظلم ونغالط في حسابهم؛ نركّز حسابنا على أخطائهم، وننسى فضائلهم، نطالبهم بأن يكونوا خالين من كل عيب، ونبرر أخطاءنا بحجة أننا بشر غير معصومين.

٧ - إذا رماك الناس بالطوب؛ فاجمع هذا الطوب لتسهم في تعمير بيت.. وإذا رموك بالزهور؛ فوزّعها على الذين علّموك؛ الذين أخذوا بيدك وأنت تكافح عند سفح الجبل.

٨ - كن واثقاً بالله تعالى أولاً ثم بنفسك، وتعرّف على عيوبك، وتيقّن أنك لو تخلصت من عيوبك لكنت أكثر قرباً من أحلامك.. تذكر أخطاءك لتتخلص من عيوبك، وانس أخطاء إخوانك وأصدقائك كي تحافظ عليهم، واعلم أن من سعادة المرء اشتغاله بعيوب نفسه عن عيوب غيره.

٩ - إذا نجحت في أمر؛ فلا تدع الغرور يتسلّل إلى قلبك، فالله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]. والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد»^(١).

وإذا وقعت على الأرض فلا تدع الجهل يوهمك أن الناس قد حفروا لك الحفرة، حاول الوقوف من جديد، وافتح عينك وعقلك كي لا تقع في حفر الأيام ونكبات الليالي.. وإذا وقعت فتعلّم كيف تقف لا كيف

تجزع، وإذا وقفت فتذكّر الواقعين على الأرض، لتنحني لهم
وتساعدهم على الوقوف.

١٠ - إذا انتصرت على خصومك فلا تشمت بهم، وإذا أصيبوا بمصيبة
فشاركهم ولو بالدعاء؛ قاله تعالى يقول: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ
عَظِيمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، ولقد كان من دعاء النبي ﷺ قوله: «اللهم
لا تشمت بي عدوّاً حاسداً»، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تُظهر
الشّماتة لأخيك، فيرحمه الله ويبتليك»^(١).

١١ - لا تجمع بين القناعة والخمول، ولا بين العزة والغرور، ولا بين
التواضع والمذلة؛ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تواضع لله رفعه الله حتى
يجعله في أعلى عليين»^(٢).

١٢ - اختر لنفسك من الصالحين صديقاً واحرص عليه؛ فالرسول ﷺ يقول:
«الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»^(٣). لا تعاتبه في
كل صغيرة وكبيرة، وغضّ الطرف عن زلّاته، فإن الكمال لله تعالى
وحده..

١٣ - لا تخاصم الآخرين، فالخصام يمزق حبل الصداقة، ويخلق سدوداً
وهمة بين الأرواح.. فالسعداء لا تضيق صدورهم، وهم يتسامحون
مع غيرهم ويحتملون عيوبهم.. وانسَ إساءة الناس وتذكّر جميلهم.

١٤ - تسامح مع الذين أخطؤوا في حقّك، والتمس لهم الأعذار، قال
رسول الله ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟!.. كان إذا
خرج من بيته قال: إني تصدّقت بعرضي على الناس»^(٤).

(٢) رواه ابن ماجه.

(١) رواه الترمذي.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه أبو داود.

هل تريد النجاح؟ (٣)

١٥ - أعطِ الآخرين من قلبك وعقلك ومالك ووقتك، ولا تقدم لهم فواتير الحساب.. وإذا ساعدتَ غيرك فلا تطلب من الناس أن يساعدوك، وليكن عملك خالصاً لوجه الله تعالى.. وإذا أنت أسديت جميلاً إلى إنسان فحذار أن تذكره، وإن أسدى إنسان إليك جميلاً فحذار أن تنساه؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

١٦ - اعتبر كلَّ فشل يصادفك إحدى تجارب الحياة التي تسبق كلَّ نجاح وانتصار؛ فالليل مهما طال فلا بد من بزوغ الفجر، قال أحدهم: النجاح سلا لم لا تستطيع أن ترتقيها ويداك في جيبيك!..

١٧ - احمده الله تعالى على طبق الفول، ولا تلعن الأيام لأنها لم تقدم لك طبق الكافيار في كل يوم.. كن قنوعاً، وإياك والحسد، فالله تعالى قد اختص أناساً بنعمة أسداها إليهم، فلا تتمنَّ زوال النعمة عن الآخرين، بل اسأل الله تعالى من فضله.

١٨ - لا تنسَ في كل يوم أن تطلب من الله العفو والعافية؛ ففي الحديث الذي رواه الترمذي، يقول النبي ﷺ: «اسألوا الله العفو والعافية؛ فإن أحداً لم يعطَ بعد اليقين خيراً من العافية»^(١).

١٩ - اسأل الله تعالى علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً؛ فالعلم هو الخزانة التي لا يتسلل إليها اللصوص.. وألف دينار في يد الجاهل تصبح حفنة من التراب، وحفنة من التراب في يد متعلِّم تتحوَّل إلى ألف دينار؛ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لرجل من أصحابه: «يا كميل، العلم خير من

المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق.

والعلم يحطّم الغرور؛ والغرور هو قشرة الموز التي تتزحلق بها وأنت تتسلّق جبل النجاح؛ يقول رسول الله ﷺ: «سلوا الله علماً نافعاً، وتعوّذوا بالله من علم لا ينفع»^(١).

٢٠ - حاول أن تسعد كلّ من حولك، لتسعد ويسعد الآخرون من حولك؛ فأنت لا تستطيع الضحك بين الدموع، ولا الاستمتاع بنور الفجر وحولك من يعيش في الظلام.. وسعادة الإنسان تتضاعف بعدد الذين ينجح في إسعادهم.. وإذا اتسع رزقك، فحاول أن تسعد الناس ببعض مالك، وإذا ضاق رزقك، فحاول أن تسعدهم بالكلمة الطيبة.

٢١ - حاول أن تتذكّر الذين ساعدوك في أيام محنتك، والذين مدّوا إليك أيديهم وأنت تتعثر، والذين وقفوا معك عندما أدارت لك الدنيا ظهرها، والذين أخرجوك من وحدتك يوم تخلّى عنك بعض من حولك.. قال عليه الصلاة والسلام: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»^(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»^(٣).

٢٢ - حاول أن تتذكر أسماء الذين أسأت إليهم من غير قصد، اسأل الله تعالى أن يعفو عنك، وادعُ الله لهم أن يطلبوا منه الغفران لك، ولا تحاسب الناس؛ فحسابهم إضاعة للوقت.



(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه الترمذي .

(٣) رواه أبو داود .

هل تريد النجاح؟ (٤)

٢٣ - خذ بيد الضعيف حتى يستردَّ قوته، وقف بجانب اليائس حتى يبصر بارقة الأمل، وكن مع الفاشل حتى يدرك طريق النجاح.. حاول أن تضمّد جراح بعض الناس، وتسهم في ترميم بيوت آيلة للسقوط.. وتأمل قول المصطفى ﷺ في تجسيد العلاقة القائمة بينك وبين الآخرين: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه»^(١).

٢٤ - إذا زحف الظلام، فكن أحد حملة الشموع، لا أحد الذين يقذفون الفوانيس بالحجارة.. وإذا جاء الفجر، فكن من بين الذين يستقبلون أشعة النهار، لا أحد الكسالى الذين لا يدركون شروق الشمس.

٢٥ - حاول أن تسدّد بعض ديون الناس عليك؛ فبعضهم أعطاك خلاصة تجاربه خلال أعوام من الزمان مضت، وبعضهم أعطاك ثقته، فلم تقف وحدك في مواجهة عواصف الحياة، وبعضهم أضاء لك شمعة وسط الظلام، فأبصرت الطريق في النهار، وبعضهم ملأ عقلك، وآخرون ملؤوا قلبك.. وأعظم من ذلك شكر المولى تعالى المتفضل عليك بالنعم كلها.

٢٦ - إذا اقتربت من قمة الجبل، فلا تدع الغرور يفقدك صوابك، ولا تتوهّم أن الذين يقفون عند السفح هم أقزام؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

ولقد سئل الحسن البصري عن التواضع، فقال: التواضع هو أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً.

٢٧ - لا تفتش عن عيوب الآخرين؛ قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الرجل: هلك الناس؛ فهو أهلكهم»^(١).

٢٨ - لا تجعل لليأس طريقاً إلى قلبك، فاليأس يغمض العيون؛ فلا ترى الأبواب المفتوحة ولا الأيدي الممدودة؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا يَقْضُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

٢٩ - أيقن بأنك إذا أتقت عملك وأحببته وتفانيت فيه؛ تستطيع أن تحقق ما عجز عنه الآخرون، ولا تنسَ حديث رسول الله ﷺ: «إن الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»^(٢).

٣٠ - تذكر أن المؤمن يحتمل الجوع، ويحتمل الحرمان، ويحتمل العيش في العراء، ولكنه لا يستطيع أن يعيش ذليلاً.. والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

٣١ - حاسب نفسك قبل أن تحاسب، وأحصِ أعمالك قبل أن تُحصى عليك؛ قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإنه أهون لحسابكم، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهزوا ليوم تعرضون فيه لا تخفى منكم خافية».



مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو يعلى.



حسنةٌ تُنقذك من النار (١)

تخيّل أخي الحبيب أنك في يوم الحساب؛ وقد تساوت حسناتك مع سيئاتك، ووجدت أنه لا بدّ لك من البحث عن حسنةٍ واحدةٍ كي ترحل عن عذاب النار! ..

فأنت الآن على استعداد لتبذل كلّ ما تملك للحصول على تلك الحسنة! فتسعى في ذلك اليوم الطويل؛ اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة. . . والذي تدنو فيه الشمس من رؤوس العباد قدر ميل؛ يُطفأ نورها ويُضاعف حرّها. . .

أنت في هلع شديد، وخوف قاتل؛ مع مليارات البشر العراة في ذلك الوقت.

وفي ذلك الخضمّ الهائل من البشر؛ تبحث عن والدك العطوف كي تسأله تلك الحسنة التي بها سوف يرجح ميزان حسناتك فتنجو من النار. . . تبحث عنه، وتسال. . . وكلّ في شغل شاغل عنك. . . كلّ يريد أن ينجو بنفسه. . . وكلّ يبحث عما يبحث عنه! ..

تخيّل كم ستستغرق من الزمن كي تجده بين هؤلاء البشر! ..

وكم ستكون فرصتك لو وجدته وأخذت منه تلك الحسنة! .. تظن أن والدك العطوف - الذي كان يُغدق عليك الأموال في الدنيا - لن يبخل عليك الآن بتلك الحسنة! ولكن اليأس يدبّ إلى قلبك عندما تسمع منه تلك العبارة: نفسي. . . نفسي.

فتخطر ببالك أمك الرؤوم التي حرمت نفسها الكثير في الدنيا لتعطيك! تبحث عنها في ذلك الحر والعرق الذي يسيل منك. . . تستعطفها لعلّها تجود

عليك بتلك الحسنة؛ حسنة واحدة كنت مستغنياً عنها في الدنيا .. ولكنها تقول لك: نفسي .. نفسي .. لا أوثرك اليوم على نفسي .

فتتذكر زوجتك الحبيبة، التي طالما أغدقت عليها من الدلال والملبس والمأكـل .. وكم من السنين الطوال تستغرق في سبيل البحث عنها؟ وما إن تجدها حتى تسمع منها الإجابة نفسها .

فتذهب إلى كل من يخطر ببالك تستنجد به؛ إلى ولدك .. إلى ابنتك .. إلى أخيك وأختك .. وفي كل مرة تسمع الإجابة نفسها: نفسي .. نفسي .. سنين طوال وأنت تبحث عن حسنة واحدة فلا تجدها؛ وكنت تستطيع أن تحصل على العديد من تلك الحسنات في الدنيا في أقل من دقيقة واحدة! ..

أرأيت كيف أصبحت سوق الحسنات الآن غالية؟! ..

ولنفترض أنك قد حصلت على تلك الحسنة عند أحدهم؛ فكم أنت على استعداد أن تدفع مقابل تلك الحسنة؟ ألسـت مستعداً لتدفع كل ما تملك من غالٍ ونفيس في سبيلها؟ نعم، كيف لا وبعدها تدخل الجنة وتنجو من النار؟! ^(١).

يقول الله تعالى في شأن الكفار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٣٦].





حَسَنَةُ تُنْقِذُكَ مِنَ النَّارِ (٢)

لعلّك لا تكاد تصدّق أن تلك الحسنه التي كانت حقيرة في عينيك سوف يأتي عليها يوم العرض الأكبر فتساوي الدنيا وما فيها .

فيا من كنت تخاطر بأموالك في تجارة غير مؤكدة الربح ؛ أليست التجارة مع الله هي التجارة الأمثل؟! ..

فسارع باقتناء تلك الحسنات .. أقدم ولا تتردد ..

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمته الله : «أعرف كثيراً من الناس لا يعوزهم الرأي الصائب، فلهم من الفطنة ما يكشف خوافي الأمور، بيد أنهم لا يستفيدون شيئاً من هذه الفطنة ؛ لأنهم محرومون من قوة الإقدام، فيبقون في مكانهم محسورين ؛ بين مشاعر الحيرة والارتباك»^(١) .

أليس هذا الخوف من الإقدام على الحسنات هو بسبب الأهواء التي تملك قلوبنا، فأصبحنا نخطئ ونظن أننا من الذين أحسنوا صنعاً؟!
أتخاف - إن أنفقت في سبيل الله - أن تذهب الدنيا من بين يديك؟! كلا .. بل ستربح الاثنتين معاً: الدنيا والآخرة .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه : أن رجلاً تصدّق بناقة مخطومة في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ : «لَيَأْتِيَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَبْعِمِئَةِ نَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ»^(٢) .

فكم يحتاج استثمار أموالنا في الدنيا إلى جهد وتفكير؟ وبعد ذلك لا نعلم إن كنّا سنربح أم نكون من الخاسرين؟! ..

(١) محمد الغزالي، جدد حياتك .

(٢) رواه النسائي، وقال الألباني: صحيح .

أما تجارة الحسنات؛ فليست صعبة أبداً، وقد تكسبها وأنت جالس في مكانك! ..

ففي دقيقة واحدة تستطيع أن تكسب كنوزاً لا تُحصى؛ تستطيع أن تقرأ سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمس عشرة مرة؛ والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «والذي نفسي بيده؛ إنها لتعدل ثلث القرآن»^(١).

وفي دقيقة واحدة تستطيع أن تقول: «سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته» عشر مرات.

وفي دقيقة واحدة تستغفر الله تعالى أكثر من سبعين مرة؛ والاستغفار سبب لدخول الجنة.



ذنب يرفع.. وذنب يضع!

يقول ابن عطاء: قد يعمل العبد الذنب فيدخل به الجنة.. ويعمل الطاعة فيدخل بها النار!

قالوا: وكيف ذلك؟

قال: يعمل الذنب فلا يزال يذكر ذنبه، فيحدث له انكساراً ودُلاًّ ونُدماً، ويكون ذلك سبب نجاته!..

ويعمل الحسنة فلا تزال نُصبَ عينيه؛ كلما ذكرها أورثته عُجباً وكِبَرًا ومِنَّةً على الآخرين؛ فتكون سبب هلاكه!..

روي عن الإمام مالك: أنه كان يقول: «لا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد؛ فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية».

وإياك أن تقول: هذا من أهل النار.. وهذا من أهل الجنة.. لا تتكبر على أهل المعصية، بل ادعُ الله لهم بالهداية والرشاد.

كان رجل من العصاة يغطي حدود الله في البلد الحرام، وكان رجل من الأخيار يذكره بالله دائماً ويقول له: يا أخي اتقِ الله، يا أخي خَفِ الله.. كيف تفعل الفواحش والموبقات وأنت في أطهر بقعة من بقاع الأرض؟!..

وفي يوم من الأيام ذكره بالله؛ فما التفت إليه، وردَّ عليه ردّاً سيئاً، فما كان من ذلك الرجل الصالح إلا أن استعجل وقال له: إذن لا يغفر الله لمثلك - لشدة ما وجد من غلظة الجواب -.

انهالت هذه الكلمة على العاصي كالضربة القاضية، وقال: الله لا يغفر لي؟! الله لا يغفر لي؟! سأريك أيغفر الله لي أم لا يغفر!..

يقول من حضر ذلك المشهد: لقد رأينا ذلك العاصي بعدها بساعات وقد اعتمر من التنعيم، وما أن انتهى من طوافه، حتى سقط مغشياً عليه.. ومات بين الركن والمقام!..

جاء في بعض الأخبار: «أن الله ﷻ خاطب داود: يا داود! بَشِّرْ المذنبين، وأنذر الصديقين!..

فتعجب داود ﷺ، فقال: يا رب! كيف أبشِّر المذنبين، وأنذر الصديقين؟!..

فقال الله تعالى: يا داود! بَشِّر المذنبين ألا يتعاضمني ذنب أغفره (أي: ليس هناك ذنب عظيم لا أغفره).. وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم؛ فإني لا أضعُ حسابي على أحد إلا هلك!..

يا داود! إن كنتَ تزعمُ أنك تحبني؛ فأخرج حبَّ الدنيا من قلبك، فإن حُبِّي وحبَّها لا يجتمعان في قلب واحد.

يا داود! من أحببني يتهجَّد بين يديّ إذا نام النائمون، ويذكرني في خلوته إذا لهُى عن ذكرِي الغافلون، ويشكر نعمتي إذا غفل عني الساهون».

أما آن لمن عصى الله أن يقلع عن هواه، ويعود إلى مولاه؟!..

أنسيَ الإنسان ما منحه الله وأعطاه؟!..

قم في الليل مناجياً ربك: اللهم أنت الغفور، وأنا العاصي.. أنت الرحيم، وأنا الجاني.. ارحم خضوعي وذلتي بين يديك.





مَنْ يَشْتَرِي دُمُوعَ عَيْنَيْكَ؟

● يقول فرقد السبخي: بلغنا أن الأعمال كلها توزن؛ إلا الدمعة؛ تخرج من عين العبد من خشية الله؛ فإنه ليس لها وزن ولا قدر، وإنه لِيُطْفَأَ بالدمعة البحور من النار!..

أرأيت إلى عظمة هذه الدمعة التي تذرفها وأنت تذكر الله أو تناجيه في هدأة الليل، وجنح الظلام؟!..

أرأيت إلى بحور النار تُطْفَأُ بدمعة بكتها عينك من خشية الله؟!..

اذهب إلى السوق، واعرض على الناس دموع عينيك؛ أترأى تجد أحداً يشتريها منك؟!..

هذه الدمعة التي تطفئ بحور النار يوم القيامة؛ ليس لها عند الناس قيمة، ولكنها عند الله أمرٌ عظيم!..

ألم يقل الرسول ﷺ: «عينان لا تمسهما النار أبداً: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»^(١).

● يقول المعضل بن مهلهل: بلغني أن العبد إذا بكى من خشية الله؛ ملئت جوارحه نوراً، واستبشرت ببيكائه، وأخذت يسأل بعضها بعضاً: ما هذا النور؟ فيقال لها: هذا حظكم من نور البكاء!..

فهل شعرنا بهذا الإحساس يغمر جوارحنا ونحن نذرف دمعة حبٍّ وشوقٍ لخالق الأكوان؟!..

● كان عطاء السلمي كثير البكاء من خشية الله؛ سُئل مرة: لِمَ تُكثر

البكاء؟ فقال: لِمَ لا أبكي ووثاق الموتِ في عنقي، والقبر منزلي، والقيامة موقفي، والخصوم حولي يقولون: إما إلى جنة وإما إلى نار؟!! ..

إذا ضاقت بك السبل، وشعرت أنك قد ضللت الطريق، وأجهشت بالبكاء متضرعاً لرب السماء؛ تذكّر أن الله ينظر إليك، وأنه يسعى إليك ليتوب عليك، وليغفر ذنوبك ولو بلغت عنان السماء.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].



إِيَّاكَ أَنْ تَسْتَسْلِمَ..

● قد تمرُّ بك لحظات ضعف؛ فيخيل إليك أن قواك قد خارت، وأنه لم تعدْ فيك قدرة على المجاهدة والصبر ومواصلة العمل؛ فلا تستسلم لهذا الخاطر؛ فإنَّ للنفوس إقبالاً وإدباراً؛ فلعلَّ ذلك الإدبار يعقبه إقبالٌ.

● وقد تشعر أحياناً بإحباط، وضعف في الثقة، وشعور بالنقص، وأنك لا تصلح لشيء من الأعمال؛ فلا تستسلم لهذا الشعور.. تذكر أن الإخفاق ليس عاراً إذا ما بذلت جهدك بإخلاص، وتذكر أن المرء لا يُعدَّ مخففاً حتى يقبل الهزيمة، ويتخلَّى عن المحاولة.

فحاول مرة بعد مرة، وأعد الكرّة بعد الكرّة، وستصل إلى مبتغاك - بإذن الله -.

● وقد يعتربك شعور بالزهو والإعجاب، فتشعر بأنك نسيج وحدك؛ فلا تحتاج إلى ناصحٍ أو مشير!..

فإذا مرَّ بك ذلك الخاطر فلا تستسلم له، ولا تركز إلى ما أوتيت من ذكاء وعلم.

إياك والغرور؛ فإنه قاتلك، وقد اغترَّ إبليس من قبلك فطرد من رحمة الله.. تذكر ما فيك من نقص وضعف، وأيقن أن التوفيق من الله وحده.

● وقد تهجم عليك الهموم، وتتوالى عليك الغموم، فيخيّل إليك أنها ستلازمك طوال عمرك، وتظن أن أيامك المقبلة أيام سوداء لا نور فيها؛ فلا تستسلم لهذا الخاطر، ولا تحسبن الشر لا خير بعده، أو أنه لاصقٌ بك لا يزول؛ فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً.

● وقد تتحرَّى الصواب، وتحرص كلَّ الحرص على ألا تخطئ في

حق أحد، ثم لا تلبث أن تقع في الهفوة تلو الهفوة؛ فلا تظنَّ أن ذلك يبعدك عن الكمال والسعي إليه.

● وقد تقع في الذنب إثر الذنب، فيلقي الشيطان في روعك أن الخير منك بعيد، وأنت ممن كتبت عليه الشقاوة؛ فلا تستسلم لهذا الخاطر الشيطاني، وتذكّر أن كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطائين التوابون، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وبذلك تنقشع عنك غياهب اليأس^(١).



(١) لا تستسلم، للأستاذ محمد بن إبراهيم الحمد، (بتصرف).



توبة عاصٍ على يد ابنه الأصمّ

يقول صاحب القصة؛ وهو من أهل المدينة المنورة:

أنا شاب في السابعة والثلاثين من عمري، متزوج، ولي أولاد.. ارتكبتُ كلَّ ما حرَّم الله من الموبقات؛ أما الصلاة فكنْتُ لا أؤديها مع الجماعة إلا في المناسبات؛ وذلك أني كنْتُ أصاحب الأشرار من الناس!.. كان لي ولد في السابعة من عمره؛ اسمه مروان، أصمُّ أبكم، لكنه قد رضع الإيمان من ثدي أمه حافظة القرآن.

وذات ليلة كنْتُ أخطط ماذا سأفعل أنا والأصحاب.. لم يكن في البيت معي إلا مروان.. كان الوقت أذان المغرب، فإذا بابني مروان يكلمني (بالإشارة): يا أبتِ لِمَ لا تصلي؟ ثم أخذ يرفع يده إلى السماء، ويهددني بأن الله يراك!.. وكان ابني يراني أحياناً وأنا أفعل بعض المنكرات!..

دخل عليَّ ابني الأصم الأبكم وصَلَّى المغرب، ثم أحضر المصحف الشريف، وفتحته مباشرة، ووضع أصبعه على هذه الآية من سورة مريم: ﴿يَتَابَتِ إِنيْ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥]، ثم أجهش بالبكاء.. وبكيت معه طويلاً، ثم قَبَّلَ رأسي ويدي، وقال لي بالإشارة: صلِّ يا والدي قبل أن تُوضع في التراب، وتكون رهن العذاب!..

مكتبة الرمحى أحمد @ktabpdf تيليگرام

أصابني عندها خوف شديد، فقمْتُ فوراً بإضاءة أنوار البيت جميعاً؛ فإذا به يقول: دع الأنوار، وهيا إلى المسجد الكبير (يقصد به المسجد النبوي الشريف).

أخذته إلى هناك وأنا في خوف شديد، دخلنا الروضة الشريفة وكانت

مليئة بالناس، وأقيم لصلاة العشاء، وإذا بإمام الحرم يقرأ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

لم أتمالك نفسي من البكاء، ومروان بجانبني يبكي لبكائي، وبعد الصلاة ظللتُ أبكي وهو يمسح دموعي!..

عدنا إلى المنزل، فكانت تلك الليلة من أعظم الليالي عندي، فلقد وُلدتُ فيها من جديد، دخلت فيها على باب الرحمن، وهجرتُ فيها طريق الشيطان..

حضرت زوجتي وحضر أولادي، فأخذوا يبكون جميعاً وهم لا يعلمون شيئاً مما حدث.. فقال لهم مروان: أبي صلى في الحرم.

فرحتُ زوجتي بهذا الخبر فرحاً شديداً.

وأنا الآن - والله الحمد - لا تفوتني صلاة الجماعة في المسجد، هجرتُ رفقاء السوء، وذقتُ طعم الإيمان..

أصبحت حياتنا في البيت حياة سعيدة بعد أن كانت نكدًا وتعاسة، وزاد حبي لابني مروان؛ كيف لا وقد كانت هدايتي على يديه؟!..





اللذة تزول.. والإثم يبقى

يقول أحدهم: ليس عاراً على الإنسان أن يسقط أمام الألم، ولكن العار أن ينهار أمام اللذة!..

يروى عن علي عليه السلام: أنه قال: إذا تلذذت في الإثم؛ فإن اللذة تزول، والإثم يبقى.. وإذا تعبت في البر؛ فإن التعب يزول، والبر يبقى!

ولقد سألت الشيخ علي الطنطاوي رحمته الله عن أجمل حكمة قرأها في حياته، فقال: لقد قرأت لأكثر من سبعين عاماً؛ فما وجدت حكمة أجمل من تلك التي رواها ابن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر)؛ حيث يقول: «إن مشقة الطاعة تذهب ويبقى ثوابها، وإن لذة المعاصي تذهب ويبقى عقابها».

وفي هذا المعنى يقول كثير عزة:

تفنى اللذائذُ ممَّنْ نالَ صفوتَها مِنْ الحَرَامِ ويبقى الإثمُ والعارُ
وتذكَّرْ دوماً أن ليس هناك لذة تعدل لذة الانتصار على الذات أمام مغريات الحياة!..

ولكلِّ امرئٍ لذته:

فلذَّةُ العابدين.. في المناجاة.

ولذَّةُ العلماء.. في التفكُّر.

ولذَّةُ الأسخياء.. في الإحسان.

ولذَّةُ المصلحين.. في الهداية.

ولذَّةُ الأشقياء.. في المشاكسة.

ولذَّةُ اللثام.. في الأذى.

ولذة الضالين . . في الإغواء والإفساد .

فهلّا توقفت لحظةً تسأل نفسك : أين أجد لذتي؟ فاللذة التي تجعل للحياة قيمة ليست حيازة الذهب، ولا شرف النسب، ولا علو المناصب . .

وإنما هي البصمة الخيرة التي تتركها أثراً خالداً من بعدك . . هي العمل الطيب الذي عمله دون رياء، فيترك عند الناس الذكر الحسن . . هي علم ينتفع به، أو قرآنٌ علّمته لأولادك فراحوا يرتلون ويترسلون إليك بالثواب تنتفع به في حياتك وبعد مماتك . . هي سُنَّةٌ حسنة في فعل الخيرات سلكها من بعدك أناس آخرون . . هي إضافة ترضي الله في أي مجال من مجالات الحياة .





أيستقرضنا الله؟

لَمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيْسْتَقْرِضُنَا اللَّهُ وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنِ الْقَرْضِ؟! .

قَالَ ﷺ: «نَعَمْ؛ يَرِيدُ أَنْ يَدْخُلَكُمْ الْجَنَّةَ بِهِ» .

قَالَ: فَإِنْ أَقْرَضْتُ رَبِّي قَرْضًا؛ أَيْضَمُنُ اللَّهُ لِي بِهِ وَلِصَبِيَّتِي مَعِيَ الْجَنَّةَ؟ .

قَالَ: «نَعَمْ» .

قَالَ: فَتَاوَلَنِي يَدُكَ . .

فَتَاوَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ، فَقَالَ: إِنْ لِي حَدِيقَتَيْنِ؛ إِحْدَاهُمَا بِالسَّافِلَةِ، وَالْأُخْرَى بِالْعَالِيَةِ، وَاللَّهُ لَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا، قَدْ جَعَلْتُهُمَا قَرْضًا لِلَّهِ تَعَالَى .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْعَلْ إِحْدَاهُمَا لِلَّهِ، وَالْأُخْرَى دَعَاهَا مَعِيشَةً لَكَ وَلِعِيَالِكَ» .

قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ خَيْرَهُمَا، (أَي: أَحْسَنَهُمَا) لِلَّهِ تَعَالَى . . وَهُوَ حَائِطُ (أَي: بَسْتَان) فِيهِ سِتْمَةٌ نَخْلَةٌ .

قَالَ: «إِذْنُ يَجْزِيكَ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ» .

فَانْطَلَقَ أَبُو الدَّحْدَاحِ إِلَى الْحَدِيقَةِ (الْبَسْتَانِ)، وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ جَالِسَةٌ فِيهَا مَعَ صَبِيَّانَهَا، فَتَنَادَاهَا: يَا أُمُّ الدَّحْدَاحِ! أَخْرَجَنِي؛ فَقَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي هَذِهِ الْحَدِيقَةَ .

فَمَاذَا قَالَتْ أُمُّ الدَّحْدَاحِ؟ . .

هل قالت: لا يا أبا الدحداح.. كيف تفعل هذا؟! أليس الأولى أن تتركها لصبيانك من بعدك؟! لماذا لم تتصدق بربعها، بنصفها، وتترك لنا النصف الآخر؟!..

لا والله ما قالت شيئاً من هذا!..

إنما قالت: ربح بيعك، بارك الله لك فيما اشتريت!.

ثم أقبلت على صبيانها تنفض ما في أكمامهم، وتخرج ما في أفواههم من التمر، وخرجت معهم ودخلت الحديقة الثانية!.

فقال النبي ﷺ: «كم من عذق رдах (النخلة المثقلة بالتمر)، ودار فياح لأبي الدحداح!».

الله درك يا أبا الدحداح! كيف استجبت لأمر الله بتلك السرعة الفائقة؟! وكيف قدّمت بستانك الجميل المليء بشجر النخل صدقة لله، وطمعاً في جنته؟!.

هل فكّر طويلاً كما يفعل بعض الأغنياء عندما يأتيهم الثقات من الناس يطلبون المعونة في بناء مسجد أو مشروع من مشاريع الخير للمسلمين؟!..

هل طلب مديحاً أم قصيدة عصماء؟!..

لا والله! ولكنه فعله طلباً للجنة التي أعدّها الله لعباده المخلصين.

هنيئاً لك يا أبا الدحداح مرتين: هنيئاً لك على صنيعك، وهنيئاً لك على هذه الزوجة الصالحة!.. هنيئاً لك يا أم الدحداح على ذلك الموقف العظيم، وبمثلك تقتدي نساء المسلمين.

اللهم أعط منفقاً خلفاً

يقول عليه الصلاة والسلام: «ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»^(١).

فهل تريد أن تكون أنت وأسرّتك من الفريق الأول؟:

● ضع صندوقاً صغيراً - ويفضّل أن يكون شفافاً - في مكان بارز في البيت.

● ضع في هذا الصندوق مبلغاً يومياً ولو كان صغيراً.

● شجّع أبنائك على أن يضعوا المبلغ بأنفسهم داخل الصندوق حتى تشركهم في الأجر، وتعوّدهم على حب الخير.

● حاول أن توزّع المبلغ المتجمّع - كل شهر مثلاً - على المحتاجين بصحبة أبنائك؛ حتى يشعروا بلذة الإنفاق في سبيل الله، وبحب الفقراء، وحب الخير للمسلمين..

● تذكّر نعم الله عليك، واشكر الله على نعمائه، واستمتع بلذة العطاء في سبيل الله.

● إذا تصدّقت، فلا تفعل ذلك ليقال: إنك كريم.. وإذا أعطيت فأجزل العطاء، فإنك تتعامل مع أكرم الأكرمين.

● لا تستهن بالقليل إذا ما استمرّ دون انقطاع؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ»^(٢).

- يذكرك هذا الصندوق يومياً بأحوال المسلمين، ويغرس في نفوس أبنائك روابط الانتماء لأمة الإسلام، والتفكير بأوضاع المسلمين.
 - جاء في الأثر: «من لا يهتم بأمر المسلمين؛ فليس منهم»^(١).
 - كن قدوة لأبنائك في عمل الخير: ف «من سنَّ سنةً حسنة، عمل بها بعده، كان له أجره ومثل أجورهم، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سنَّ سنةً سيئة، فعمل بها بعده، كان عليه وزرها، ومثل أوزارهم، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(٢).
- فلننظر كيف نُعلِّم أبنائنا، وأهلينا، ومنَ حولنا، وبمن يقتدون؟! ..



(١) ضعيف الترغيب، للألباني (١٠٩٩).

(٢) صحيح الجامع (٦٣٠٦).

أم ربيعة الرأي (١)

أمّ رائعة، ضحّت بكل ما تملك من مال وجهد لتجعل من ولدها الصغير أعجوبة زمانه ..

تبدأ القصة عندما تزوّجت هذه المرأة من المجاهد (فروخ)، وكان مولى للصحابي والمجاهد الجليل الربيع بن زياد رضي الله عنه.

كان الربيع بن زياد من هؤلاء القادة المرموقين الذين استطاعوا أن يصنعوا النصر للمسلمين في كثير من المواقع في (سجستان) وغيرها؛ فلما كلّل الله ﷻ جهاده بالنصر؛ أطلق حرية غلامه (فروخ) وأعطاه نصيبه من الغنائم.

عاد (فروخ) إلى المدينة وهو يريد الزواج بفتاة مؤمنة تعينه على طاعة ربه، وتحفظ بيته ..

ولما صار يمتلك البيت والزوجة، إذا بالحنين إلى الجهاد يدفعه ليسترجع تلك اللحظات الرائعة؛ وهو يمتشق حسامه ويجاهد في سبيل الله.

كانت زوجته في شهورها الأولى من الحمل، جلس إلى زوجته وحدثها حديث القلب، فوجد نفسه أمام زوجة تعلم قيمة الجهاد وما أعدّ الله للمجاهدين؛ فلم تمنع ..

ثم طرح إليها صُرةً ثقيلة وقال لها: هذه صُرةٌ فيها ثلاثون ألف دينار؛ أنفقي على نفسك ووليدك بالمعروف حتى أعود إليكما إذا قَدَّرَ الله لنا البقاء إن شاء الله ..

ومضت الأيام .. ووضعت الزوجة طفلاً أطلقت عليه اسم (ربيعة). ولما بلغ عدة سنوات دفعت به إلى المؤدّبين ليحفظ شيئاً من كتاب الله .. واستطاع حفظ الكثير من سور القرآن خلال شهور قليلة.

شعرت الأم أن عليها أن تستثمر فيه تلك المواهب، فدفعت به إلى أيدي الفقهاء والعلماء ليقوموا على تعليمه ..

لم تبخل أم ربيعة على أي أحد يقدم جهده وعلمه لولدها الصغير، ممّا جعل هؤلاء يتسابقون لتعليم ربيعة .. كانت تبذل المال من أجل الوصول إلى غاية واحدة: أن يصبح ربيعة أحد الكواكب التي تضيء سماء الأمة فينفع الله به المسلمين.

وتمضي الأعوام .. ويبلغ ربيعة من العمر ثلاثين سنة! نعم؛ فقد ظن الجميع بما فيهم الزوجة والابن أن فروخ قد مات، وكانت المفاجأة الكبرى .. فقد عاد المجاهد فروخ الذي ناهز الستين من عمره بملابس الفرسان إلى المدينة! .. تغيّرت البيوت والشوارع كثيراً، ولكنه استطاع أن يجد بيته.

كان المساء قد حلّ .. دفع باب بيته وولج صحن الدار .. فتنبّه ربُّ الدار ربيعة، فلما رأى ذلك الفارس يقف منتصباً في صحن الدار؛ هبط مزمجرأً: كيف تقتحم بيتي يا عدو الله؟! .. أما تعلم أن للبيوت حرمة يجب أن تُصان؟! ..

وفروخ يقول: بل كيف لك أنت أن تسكن في بيتي أيها الدخيل؟! .. وتصارع الرجلان .. وفي لحظات امتلأ البيت بالجيران .. كان فروخ يظن أن أحداً سيعرفه .. فأخذ يصيح: يا ناس أنا فروخ؛ ألا يعرفني أحد؟ أنا صاحب الدار ..

وفي تلك اللحظة انطلقت كلمة أصابت الجميع بالوجوم والدهشة، صاحت الأم: إنه أبوك يا ولدي ..

ثم أشارت إلى الجمع: جزاكم الله خيراً، فهذا زوجي فروخ جاء إلينا بعد غياب .. يتبع ..

تعانق الأب والابن عناقاً حاراً، وراحت دموعهما تنهمر بشدة.

وجلس فروخ مع زوجته؛ قال لها: كيف حال الثلاثين ألف دينار يا زوجتي العزيزة؟ إن معي عشرة آلاف أخرى جئت بها، سوف نضمها إلى الثلاثين ألفاً ونشتري بها بيتاً جديداً.

اضطربت الزوجة ولم تعرف ماذا تقول!..

وفي تلك اللحظة تردد صوت الأذان..

انطلق فروخ إلى مسجد رسول الله ﷺ: ليصلي الفجر.. فوجد زحاماً شديداً، فاضطر للصلاة بالخارج.

وبعد الصلاة دخل فروخ مسجد رسول الله ﷺ فسلم عليه، ثم وقف في الروضة يصلي ويصلي.. فلما انتهى فروخ من صلاته وهم بمغادرة المسجد؛ استوقفته أعداد غفيرة من الناس يجلسون في باحة المسجد ينتظرون أحد العلماء الكبار ليلقي عليهم محاضرة.

جلس فروخ في أقرب مكان، وتكلم الشيخ فاهترت لمسامعه القلوب.. والطلاب يمسكون بأقلامهم ويسجلون ما يقول.

أعجب فروخ بالشيخ، إعجاباً شديداً، فلما انتهى الشيخ من محاضرتة ونهض قائماً؛ تراحم الناس عليه يصافحونه بحرارة.

اتجه فروخ نحو أحد الجالسين وهمس قائلاً: من الشيخ؟

رفع الرجل حاجبيه دهشة وقال: هل ثمة أحد لا يعرف الشيخ؟! إن اسمه يتردد في الآفاق.. يبدو أنك غريب عن المدينة؟

قال فروخ: لا؛ ولكنني كنت في رحلة طويلة ولم آت إلا الليلة.

ابتسم الرجل وقال: هذا يا عزيزي سيد من سادات التابعين، وعَلِمَ من أعلام المسلمين.. إنه المحدث الورع، والفقيه الإمام الذي يضم مجلسه كما رأيت مالك بن أنس، وأبا حنيفة النعمان، ويحيى بن سعيد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد وغيرهم..

هذا ربعة الرأي بن فروخ.. خرج والده للجهاد منذ سنوات طويلة ولم يعد إلا الليلة.. الناس يقولون ذلك.

ما كادت الكلمات تخرج من فم الرجل حتى كاد فروخ أن يُغشى عليه من فرط السعادة.. أسرع الخطأ نحو بيته وقلبه مليء بالاعتزاز والفخر: أن هذا العالم العظيم هو ولده..

دخل على زوجته، وقال: والله لقد أذهلني مشهد في غاية الروعة يا زوجتي العزيزة.. والله الذي لا إله غيره؛ لو وُزن بكل كنوز الدنيا لرجح!.. قالت الزوجة: وما ذاك؟

قال: ابننا ربعة بلغ مكانة عظيمة في العلم؛ حتى إن كبار العلماء كانوا يجلسون بين يديه يرتشفون منه العلم.

ابتسمت الزوجة وقالت: رأيت الثلاثين ألف دينار التي تركتها عند خروجك للجهاد؟..

مكتبة الرمحى أحمد @ktabpdf تليجرام

قال: نعم.

قالت: أنفقتها جميعها على تهذيب ولدك وتأديبه حتى صار كما رأيت.

قال: جزاك الله خيراً يا زوجتي العزيزة، وبارك الله فيك؛ فأنتِ بحق نعم الزوجة المؤمنة! (١).



(١) صور من حياة التابعين، أوردها ابن خلكان في: وفيات الأعيان، وردَّ القصة بعض العلماء.

ما من شك في أن عادة القراءة تُغرَس في البيت قبل المدرسة، وما من شك في أن القراءة أفضل العادات على الإطلاق؛ فكيف تنشئ أبنائك على حبِّ القراءة ونحن في زمن التلفاز والإنترنت، والفضائيات والمسلسلات؟ ..

١ - كن قدوة لأبنائك؛ فإن وجد الطفل في بيته مكتبة عامرة بالكتب والقصص .. ورأى أباه وأمه يمسكون بالكتاب من حين إلى حين؛ فإن ذلك سيدفعه على الأغلب لحبِّ القراءة والسير على طريق أبويه.

٢ - قدِّم لطفلك الكتب المناسبة لسنِّه وطبيعته؛ فمن غير المعقول أن تعطي طفلك كتاباً كبيراً خالياً من الصور أو الرسوم.

٣ - شجِّع أطفالك على تكوين مكتبة خاصة بهم مهما كانت صغيرة؛ فيها القصص الجذابة، والمجلات المشوّقة، واصطحب أطفالك إلى المكتبات ليشتروا الكتب أو المجلات تحت إشرافك.

٤ - تدرِّج مع أبنائك في اختيار الكتب؛ فابدأ بكتب ذات نصوص قليلة وصور كثيرة .. وهكذا.

٥ - انتبه إلى رغبات طفلك؛ فقد يهوى في البداية قصص المغامرات والبطولات .. لا تجبره على قراءة الكتب التي لا يرغب بها ..

٦ - اقرأ لطفلك من المراحل المبكِّرة من عمره .. حتى ولو كان رضيعاً؛ بحيث يتفاعل مع حركاتك وتعبيرات وجهك.

٧ - حاول أن تقرأ لطفلك قصة كل ليلة قبل أن ينام في سريره (بالطبع قد تشارك هذا مع الأم) .. حاول التفاعل مع القصة؛ مغيراً صوتك ..

وعندما يكبر تقرأ له ولإخوته في المساء ولو لبضع دقائق . .

٨ - قدّم لطفلك الكتب المناسبة في الأعياد وعند النجاح وفي كل مناسبة، وخذ له كتباً في الإجازة للسيارة والطائرة وغيرها .

٩ - لا تجعل في بيتك أكثر من تلفاز واحد؛ فتعدد أجهزة التلفاز يجعل أبناءك يقضون معظم أوقاتهم في مشاهدتها . . حدّد مدة ساعة ونصف يومياً لمشاهدة برامج التلفاز المفيدة، وساعة واحدة في اليوم أيام الدراسة، وإياك أن تجعل التلفاز في غرفة نوم الأطفال؛ فينامون وهم يشاهدونه! . .

١٠ - امدح جهود ولدك في القراءة، وسجّل اسم كل كتاب قرأه، وخذ به إلى المكتبة من حين لآخر^(١).



(١) سيدي كيف، (بتصرف).

إذا كنت تريد أن تصعد في درجات الجنان، وتكون مع السَّفرة الكرام البررة؛ فاتصل بآيات الله على الدوام، ألم يقل الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة»^{(١)؟!}

وفي حديث آخر: «يقال لصاحب القرآن يوم القيامة إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه»^(٢).

فكيف تتصل بآيات الله تعالى؟:

١ - احصل على المصحف المجزأ، وليكن الجزء المخصص لذلك اليوم معك في عملك..

استغل وقت فراغك، ولو ببضع آيات..

٢ - بكر إلى صلاتك، وليكن لك نصيب من آيات الله بين الأذان وإقامة الصلاة..

٣ - ضع مصحفاً في السيارة، واقرأ منه ولو بضع آيات قبل دخول بيتك، فتدخل البيت وأنت مع آيات الله.

٤ - ضع أشرطة القرآن الكريم قريبة منك في السيارة، وثبت محطة القرآن الكريم في مذياع سيارتك.

٥ - استمع إلى القرآن الكريم ولو لدقائق معدودات أثناء ذهابك إلى عملك، والعودة منه.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد.

- ٦ - بَكِّرْ إِلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَعَوِّضْ مَا فَاتَكَ خِلَالَ الْأُسْبُوعِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْمُبَارَكِ.
- ٧ - ضَعِي شَرِيْطَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي بَيْتِكَ وَأَنْتِ تَعْمَلِينَ فِي تَرْتِيبِ الْبَيْتِ، أَوْ وَأَنْتِ تَطْهِينِ الطَّعَامَ، فَكَمْ مِنْ وَقْتٍ يَضِيعُ سُدًى مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا، ثُمَّ نَنْدَمُ عَلَيْهِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَدَمٌ وَلَا حَسْرَةٌ عَلَى مَا فَاتَ!..
- ٨ - ضَعِ بَرْنَامِجَ الْمَصْحَفِ عَلَى شَاشَةِ الْحَاسُوبِ، وَلِيَكُنْ لَكَ نَصِيبٌ مِنْهُ وَلَوْ لَايَاتٍ مَعْدُودَاتٍ.
- ٩ - اقْرَأْ شَيْئاً مِمَّا حَفِظْتَ فِي قَلْبِكَ وَأَنْتِ تَمْشِي إِلَى عَمَلِكَ، أَوْ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ.
- ١٠ - ضَعِ مَصْحَفاً قَرِيباً مِنْ سَرِيرِ نَوْمِكَ، وَأَنْتِ مِنَ الْحِزْبِ الْمَقْرَرِ الْيَوْمِيِّ قَبْلَ النَّوْمِ.. لِتَجْعَلَ آخِرَ يَوْمِكَ بَيْنَ آيَاتِ اللَّهِ.



من هو الفقير الحقيقي؟

اتفق أكثر الناس على أن الفقير مَنْ لا درهم له ولا متاع، ولكن الفقير الحقيقي: من كان أسير الجهل والأهواء والشهوات، من تسربت إلى قلبه صفات النفاق والظلم والغرور، من فرغ قلبه من الشعور بكرامة الإنسان، من انطفأت في قلبه شعلة الإيمان..

يقول ميخائيل نعيمة:

«كل منافق أو سارق أو فاسق - فقير!..

كل غضوب أو حقود أو ناقم - فقير!..

كل حسود أو نمّام أو مُراءٍ - فقير!..

كل مزهوّ بمال أو جمال أو سلطان - فقير!..

كل من أكل خبزه بعرق جبين غيره - فقير!..

كل من أذلّ جاره ليعتزّ أو أجاعه ليشبع - فقير!..

كل مَنْ ركب هواه وجَهَلَ مبتداه ومنتهاه - فقير!..

وبعد.. أليس هؤلاء هم الفقراء الحقيقيين؟!..»

أليسوا فقراء في محاسن الأخلاق؟!..

اللهم لا تجعلنا من هؤلاء الفقراء ولا أمثالهم، واجعلنا من الفقراء إليك، الأغنياء بما رضوا من عطايك.

ألم يقل رسول الله ﷺ: «أقربكم إليّ مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً»^(١)؟!..

ألا يستحق هؤلاء دمة حزن عليهم أنهم من المحرومين من رحمة الله - إن هم لم يتوبوا إلى الله ويصلحوا أحوالهم؟! .

فكّر في نفسك لحظة: هل أنت واحد من هؤلاء؟ .

إن كان الجواب: «نعم»؛ فحاسب نفسك وتخلّص من هذه الصفة الذميمة فوراً، وعُد إلى الله .

وإن كان الجواب: «لا»؛ فاحمد الله على أنك غني بأخلاقك، غني بإيمانك، غني برحمة الله .

يقول عليه الصلاة والسلام: «ليس الغنى عن كثرة العرض (أي المال)؛ إنما الغنى غنى النفس»^(١) .

ويقول أحدهم: ليس الفقير من مَلَك القليل، بل من طَلَب الكثير! .

وفي هذا يقول المتنبي:

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ
ويقول بكر بن أذينة:

كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غَنِيَ النَّفْسَ نَعْرُهُ وَمِنْ غَنِيٍّ فَقِيرٍ النَّفْسَ مَسْكِينٍ



الحِلْمُ.. سيد الأخلاق

● خرج عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى المسجد ليلاً ومعه عَسْكَرُهُ، فَتَعَثَّرَ بِرَجُلٍ جالسٍ في الطريق، فقال له الرجل: أأعمى أنت؟! ..
فقال له عمر: لا! ..

فهَمَّ الحرس بالرجل ليضربوه، فنهاهم عمر وقال: قد سألتني سؤالاً وأجبته ..

لم يغضب عمر ولم يثار لكرامته، بل عفا وصفح وانتهى الأمر.

● وهذا عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما ترجمان القرآن، سبَّه رجل ذات يوم؛ فماذا فعل؟! ..

دعا خادمه وقال: قل لهذا الرجل: هل مِنْ حاجة فنقضها له؟.

فنكس الرجل رأسه واستحيا! ..

● وهذا أبو حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ شتمه رجل وهو في درسه، فلم يلتفت إليه ولم يقطع كلامه، ونهى أصحابه عن نهْره، فلما فرغ أبو حنيفة خرج إلى داره وقال للرجل: هذه داري؛ فإن بقي معك شيء فأتّمه حتى لا يبقى في نفسك شيء.. فاستحيا الرجل واعتذر.

● يقول المصطفى ﷺ: «إن امرؤ شتمك وعيّرَكَ بما يعلم فيكَ؛ فلا تعيّرهُ بما تعلم فيه، فإنّما وبال ذلك عليه»^(١).

● صبَّ أحد السفهاء على الإمام الجنيد ماءً قدراً وهو خارجٌ لصلاة الجمعة! .. فبلّله بالماء من رأسه إلى قدميه ..

فقال: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَتَقْصِيرٍ، وَأَحْمَدُ اللهَ عَلَى لُطْفِهِ وَكَرَمِهِ، فَلَعَلَّنِي فَعَلْتُ ذَنْباً جَازَانِي اللهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ أَغْضَبَ..
ثم عاد إلى البيت واغتسل، وَغَيَّرَ مَلَابِسَهُ وَعَادَ إِلَى الْمَسْجِدِ لِلصَّلَاةِ.

● مَرَّ يَهُودِيٌّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ وَمَعَهُ كَلْبٌ، فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمَ! لِحَيْتِكَ أَطْهَرُ أَمْ ذِيْلُ هَذَا الْكَلْبِ؟.

فَمَاذَا كَانَ جَوَابُ إِبْرَاهِيمَ؟ هَلْ شَتَمَهُ؟ هَلْ نَهَرَهُ؟ هَلْ قَالَ لَهُ: وَيْحَكَ يَا يَهُودِي! كَيْفَ تَقَارَنُ لِحَيْتِي بِذِيْلِ كَلْبِكَ؟!.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَئِنْ كَانَتْ لِحَيْتِي فِي الْجَنَّةِ؛ فَهِيَ أَطْهَرُ وَأَفْضَلُ مِنْ ذَنْبِ كَلْبِكَ! وَإِنْ كَانَتْ فِي النَّارِ، فَإِنَّ ذَنْبَ كَلْبِكَ أَطْهَرُ مِنْهَا وَأَفْضَلُ!..

فَمَا تَمَالَكَ الْيَهُودِي نَفْسَهُ حَتَّى نَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَقَالَ: وَاللهُ مَا هَذِهِ إِلَّا أَخْلَاقُ الْأَنْبِيَاءِ.

تَوَاضَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ لِلَّهِ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ يَهُودِي!.

مَا أَخَذَهُ الْكِبَرُ وَلَا الْعَنْجَهِيَّةُ، وَلَا اسْتَشَاظَ غَضَباً لِنَفْسِهِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ خَيْراً مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ!..

قَالَ ﷺ: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).



كيف تدخل قلوب أبنائك؟

ما مِنْ أحدٍ إلا ويبتغي بيتاً ترفرف عليه ظلال المحبة والسعادة، وهاك وصايا توطّد جسر المحبة بين الآباء والأبناء:

- ١ - احترم أبنائك؛ شجّعهم، عزز ثقتهم بأنفسهم؛ ينشؤوا أبناءً ناجحين في حياتهم.
- ٢ - علّم أبنائك التفاؤل في الحياة، والتوكل على الله بعد إتقان العمل، وعلمهم إخلاص النية لله في كل عمل.
- ٣ - عبّر لهم عن مشاعر فخرك بهم، وأنهم أبنائك وفلذة كبذك؛ أنشأتهم على الطريقة السليمة بإذن الله.
- ٤ - اترك لهم مجالاً من الحرية الشخصية، يتخذون قراراتهم بأنفسهم فيما يتعلق بأمورهم الشخصية من ملابس وألعاب، وغير ذلك، ولكن راقب تصرفاتهم عن بُعد، ووجههم بالحكمة إن حادوا عن الطريق.
- ٥ - خصّص وقتاً للحديث مع أبنائك ولو لبضعة دقائق، اقرأ عليهم ولو صفحتين من هذا الكتاب أو غيره من الكتب النافعة.
- ٦ - أنصت لهم، ولا تتجاهل حديثهم.. انظر إليهم بحنان وهم يحدثونك ويفرغون ما في جعبتهم من مشاعر وأحاسيس.
- ٧ - حدّثهم عن أشياء تعلّمتها منهم.. واستفدتها من سلوكهم.
- إذا علّمك ابنك الالتزام بصلاة الجماعة، فأخبره أن الفضل - من بعد الله تعالى - له في أن علّمك حضور الجماعة لكل صلاة.
- ٨ - لا تتاجر بعواطف أبنائك، ولا تجعل حبّك مشروطاً بتفوّقهم في

المدرسة، أو بالتزامهم بعملٍ ما؛ فالحب بينك وبينهم ينبغي أن يكون بلا حدود!

٩ - لا تَمَسَّنْ كرامة ابنك أو ابنتك بالإهانة؛ كأن تقول: يا قليل الأدب! أو ما شابه.. علِّمه أنك لا تحبُّ التصرف الذي فَعَلَ، وأنتَ ما زلتَ تحبه.

١٠ - أَسْمِعْ ابنك أو ابنتك كلمات الحبِّ والثناء ولو بشكل غير مباشر؛ كأن يكونوا في غرفة مجاورة..

١١ - ابدأ كل يوم صفحة جديدة، وانسَ أخطاء الماضي، وأعطِ ابنك في كل يوم فرصة جديدة فيزداد قرباً منك، ومحبة لك.

١٢ - أشعرهم باحترامك الكبير لأهمهم، وارفع مِنْ قدرها أمامهم؛ فإنهم لن يغفروا لك إساءتك لأهمهم.



تهادوا تحابُّوا

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

لعلَّ الحيرة تسيطر عليك كلما أردت أن تُسعد الآخرين بهدية في يوم من الأيام!.

تستوقفك المحبة وتساءلك بخجل بالغ: كيف أصل إلى قلوب الآخرين؟..

ويأتيك الهدي النبوي الشريف بإيقاع جميل: «تهادوا تحابُّوا»^(١).. فتدرك عندها أن الهدية مطيَّةٌ إلى قلوب مَنْ تحب.

وهي الطريق لتصفية القلوب، وتنقية الأجواء، وتوثيق عُرى المحبة والوفاء..

ويأتي السؤال الآخر: كيف نختار تلك الهدية؟ وكيف نجعلها رمزاً للمحبة والسعادة والحبور؟.

فالإنسان مغرم بالمفاجئات، يسعد بالهدية التي لم تخطر له ببال، وخصوصاً عندما تردفها كلمة طيبة، أو عطاء مؤثّر.

ولا بد عند اختيار الهدية من أن تراعي عُمر مَنْ تهدي، وجنسه، وثقافته، وهواياته.. ثم تختار الوقت الأمثل لتقديمها أو إرسالها إلى مَنْ تريد، حاول أن تجعل الهدية جذابة؛ غلّفها بحرصٍ بالغ، وأرفق معها بطاقة بكلمات مِنْ عندك، وبخطِّ يدك، وبدعوة صادقة من القلب بدوام السعادة والسرور.

اجعل هديتك مناسبة لمستوى من تهدي إليه؛ فلا تجعلها بخيسة الثمن، ولا ترهق من تهدي بغلاء سعرها؛ فلا يستطيع أن يرد الجميل بهدية

مماثلة! وإذا أتتك هدية فاستقبلها بابتسامة الشكر والثناء، وانظر إلى عيني من أهدى إليك بعين السعادة والامتنان.

فليست الهدية إلا وسيلة للتواصل والتحاب والتآلف.. افتح الهدية أمام من قدّمها إليك، وأثنِ عليها من دون مبالغة أو إسفاف.

لا تهملها وتضعها جانبا وكأنها لم تنل رضاك، ولا إعجابك!.. فما أجمل الهدية عندما تأتي في مناسبة ما، وما أروعها حينما تأتي من دون مناسبة!..

فلنتذكّر دوماً قول الحبيب المصطفى: «تهادوا تحابوا»^(١)، ولنجعل من هدايانا - مهما كانت بسيطة ورمزية - طريقاً إلى قلوب الآخرين، فنسقي بها شجرة المودة والوفاء، ويعبق في القلب أريج المحبة والإخاء.



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهنة الأنبياء والعلماء العاملين، وهي من أعظم الطاعات، ولكن لها أصول وإمكانيات؛ فإن كنتَ أمراً بالمعروف، فاعرف ما تقول أو تفعل؛ ابدأ بنفسك فانها عن غيها.. ابدأ بأولادك وأصحابك، ابتغ بعملك وجه الله، لا ليقال عنك: إنك صالح ناصح.. كن لبقاً لطيفاً؛ عملاً بقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

كن صبوراً واسع الصدر، ولا تكن قنوطاً يائساً، وكفى الداعية إلى الله فخراً أن يقوم بوظيفة الأنبياء والمرسلين في هداية الناس.

ويبقى بعد ذلك أن تعي أنَّ الدعوة همٌّ لا بد للداعية من حمله، وفنٌّ لا بد للداعية من تعلُّمه، وتجارب وخبرات يستفيد فيها اللاحق من السابق.

● أذنبَ رجلٌ فضربه الناس وشتموه، فاستنقذه أبو الدرداء وقال: ما الخبر؟

فذكروا أنه أذنب!..

فقال: أرايتم لو وقع في بئر؛ أفلا تستخرجوه منه؟!..

قالوا: بلى.

قال: لا تسبُّوه، ولا تضربوه، وإنما عظوه وبصِّروهم، واحمدوا الله الذي عافاكم من الوقوع في ذنبه!.

فبكى الرجل وتاب!..

● ومراً شابٌ يجرُّ ثوبه اختيلاً أمام أحد الصالحين، فهمَّ أصحاب

الرجل الصالح بالحديث عن سوء فعل هذا المختال في مشيئته .

فقال لهم: دعوه لي .. فقام إليه وقال له: يا بن أخي! لي عندك حاجة ..

قال: وما هي؟

قال: أن تتواضع وترفع ثوبك عن الأرض؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، ولا أريد أن يحسبك الناس مختالاً فخوراً.

فقال الشاب: حباً وكرامة .. فرفع ثوبه واعتدل في مشيئته ..

عاد الرجل الصالح إلى أصحابه قائلاً: أليس هذا أفضل من أن تغتابوه فتنالوا إثمه، أو أن تشتموه فيشتمكم؟! فالله تعالى يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

● ودخل واعظ على الخليفة المأمون .. فقال له: إني واعظك فمغلط لك في القول! ..

فقال المأمون: مهلاً؛ فإن الله قد أرسل من هو خير منك (موسى وهارون)، إلى من هو شر مني (فرعون)، وقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا نَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ [طه: ٤٤].



هل في القرآن حُبٌّ؟ (١)

لعلَّ البعض يعجب من عنوان كهذا! فكيف يكون الحب في القرآن؟ وما هو كنهه؟ وما هي أنواعه؟ ..

وربما ينسى البعض أن الإسلام هو دين الحب، وأن المؤمن لا يجد حلاوة الإيمان إلا إذا أحسَّ بحرارة الحب في قلبه .. وقد أمرنا ديننا بالحب، ودعانا إليه .

يقول الرسول ﷺ: «أحبُّوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبُّوني لحبِّ الله، وأحبُّوا آل بيتي لحبي»^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «وماذا أعددت لها؟» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكنني أحبُّ الله ورسوله، قال: «أنت مع من أحببت»^(٢). يقول أنس رضي الله عنه: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت»، فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبِّي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

وقيل للنبي ﷺ: الرجل يحبُّ القوم ولمَّا يلحق بهم .. قال: «المرء مع من أحبَّ»^(٣).

والإيمان في الإسلام قائم على المحبة، ومؤسس على المودة، يقول ﷺ: «والذي نفسي بيده، لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابُّوا، ألا أدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم؟ .. أفشوا السلام بينكم»^(٤).

(٢) رواه البخاري.

(٤) رواه أبو داود.

(١) رواه الترمذي.

(٣) رواه البخاري.

فجعل الفوز بالجنة مرتبطاً بالإيمان، وجعل الإيمان متوقفاً على المحبة والمودة.. فأحبب الخير لغيرك، فإن ذلك من كمال الإيمان؛ يقول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه - أو قال: لجاره - ما يحب لنفسه»^(١).

● حُبُّ الله تعالى للعبد:

والله جلَّ في علاه يحبُّ من أحبَّ دينه، وأتبع ملته وشريعته.. يحب ربي من أخلص له وأتاب إليه، ولاذ إلى رحابه.. يحبُّ من يتسامى في حبه، ويجاهد في سبيله لنصرة دينه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُورًا﴾ [الصف: ٤].

والله تعالى يحبُّ التَّوَّابِينَ، فتبَّ إلى الله تكن حبيباً لله؛ قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

إننا نخطئ في حق الله تعالى، ونقع في وحل المعصية، وبحر الشهوات، ونتلَطَّخ بأدران الإثم.. ثم يصحو الضمير ويستيقظ، وتطارد الخطيئة المذنب، ويحسُّ بثقلها على نفسه كأنها الجبل، ويتجسَّم أمام عينيه فظاعة ما ارتكب في حق الله تعالى، فتضيق عليه الأرض بما رحبت، فلا يلجأ إلا إلى الله تعالى، ففراره من الله إلى الله تعالى.. إليه الملجأ وإليه المال؛ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

والتوبة رجوع إلى الله؛ وما أحلى الرجوع إليه!..



هل في القرآن حُبٌّ؟ (٢)

أوحى الله تعالى إلى داود ﷺ: «لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم، ورفقي بهم، وشوقي إلى ترك معاصيهم؛ لमतوا شوقاً إليّ! هذه إرادتي في المدبرين عني، فكيف إرادتي في المقبلين عليّ؟! يا داود! أرحم ما أكون بعدي إذا أدبر عني، وأجل ما يكون عندي إذا رجع إليّ».

والله تعالى يلقي محبته على من يحبه، وأي منزلة أعلى، بل وأي درجة أكمل من أن يقول الله تعالى لعبده: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه: ٣٩]؟! .. فمحبته الله تعالى العزيز المتعال وهو في عليائه وكبريائه، للعبد وهو في ذلّه وضعفه؛ هي العطاء بعينه، وهي النعمة والمنة من الله تعالى ذي الكرم والجود؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

● والمؤمنون يحبّون:

ومحبتهم الأقوى هي لله تعالى؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

والحب تقرب وعطاء.. تقرب من المحب، وعطاء من المحبوب؛ يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»^(١).

● أحبب الله:

أحبب الله؛ فنحن مأمورون بحب الله؛ يقول سيدنا محمد ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه»^(١).

وهل هناك غير الله تعالى أحق بالحب؟ وهو الخالق البارئ، الذي خلقك أيها الإنسان فصورك ورغبتك، المنعم عليك بجميع النعم صغيرها وكبيرها! ..

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله:

«من أنست نفسه بالله؛ لم يجد لذة في الأنس بغيره..

ومن أشرق قلبه بالنور؛ لم يعد فيه متسع للظلام..

ومن سمت روحه بالتقوى؛ لم يرض إلا سكنى السماء..

ومن أحب معالي الأمور؛ لم يجد مستقراً إلا الجنة..

ومن أحب العظماء؛ لم يقنعه إلا أن يكون مع محمد ﷺ..

ومن أدرك أسرار الحياة؛ لم يرَ جديراً بالحب حق الحب إلا الله تبارك وتعالى».

ولا تجعلن محبة غير الله تعالى فوق محبة الله؛ فالله تعالى يتوعد من شغلته محبة غيره عن محبته جلّ في علاه؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].



هل في القرآن حُبٌّ؟ (٣)

والمحبُّ يطيع من أحبَّ، وينفَّذ أوامره في سعادة وسرور؛ يقول ابن المبارك:

تعصي الإله وأنت تُظهرُ حُبَّه هذا لعمري في القياسِ شنيعُ
لو كان حُبُّك صادقاً لأطعته إن المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ
وهكذا يكون طريق المحبة: أوله أمر إلهي، وآخره طاعة لله تعالى واستجابة لأمره.

● لماذا نُحبُّ رسول الله ﷺ؟

لأنه حبيب الله تعالى وخليته، وأحبُّ خلق الله إلى الله..
ولأن الله تعالى أدبه، فأحسن تأديبه..

ولأن الله تعالى علمه، فجَمَّل علمه بالخلق العظيم؛ قال تعالى:
﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

ولأنَّ الله تعالى اصطفاه على الناس برسالته الخالدة، وبعثه للناس رحمة للعالمين.

ولأنه صاحب الحوض المورود، والشفاعة العظمى؛ قال تعالى:
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ولأن الله تعالى وملائكته يصلون على النبي ﷺ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ولأن اتباع الحبيب الأعظم ﷺ هو الطريق والسبيل إلى محبة الله تعالى؛ لقول ربي جلّ في علاه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «إن هذه الآية حاكمة على كل من ادّعى محبة الله تعالى وهو ليس على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر، حتى يتبع الهدي المحمدي والدين النبوي، في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١)؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول؛ كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ.. إنما الشأن أن تُحَبَّ»^(٢).

ولا شك أن حبّ سنّة النبي ﷺ من حبّ رسول الله ﷺ؛ ورد في الأثر: «من أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة»^(٣).



(١) رواه مسلم.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٢/٢.

(٣) ضعيف الجامع (٥٣٦٠).

هل في القرآن حبٌ؟ (٤)

● الميول الغريزية عند الإنسان:

تناول القرآن الكريم مسألة الميول الغريزية عند الإنسان؛ فقد جاء في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْرُ الْمَقَابِلِ﴾ [آل عمران: ١٤]..

ومما يميل إليه الإنسان ويحبه:

حب النساء: ويمكن أن يكون مشروعاً كحب الرجل لزوجته، أو محرماً كحب الرجل للمرأة الأجنبية عنه.

وحب البنين: وقد يكون مذموماً إذا كان غريزة قصد بها المفاخرة، أو محموداً إذا قصد تكوين أسرة مسلمة تنشأ في طاعة الله.

وحب المال من الذهب والفضة: وقد أشار القرآن الكريم إلى حب امتلاك المال الكثير، وسواء كان سعي المؤمن لإنفاقه في سبيل الله، أو كان مقصده العبث به؛ فكلاهما مما يشتهي الإنسان ويحبه.

وحب الخيل المسوّمة: والقرآن ذكر الخيل؛ لأنها مركوب تلك الأيام، ولكن الأمر يتعداه إلى مراكب الناس في هذه الأيام.

● مقامات الحب:

من عرف الله تعالى أحبَّ الله، وعلى قدر معرفته بالله يكون حبه لله. والله تعالى يحبُّ، ومن أحبه الله كان مع الله؛ في معيته وتحت حفظه وعنايته جلّ في علاه؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

ومعية الله تعالى لمن يحبُّ هي معية خاصة يخصُّ بها أحبَّاءه وأولياءه.. معية نصر وتكريم، وعناية ورعاية، فضلاً عن المعية العامة التي هي معية العلم المحيط الشامل؛ ففي الحديث القدسي: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني»^(١).

والله تعالى يحبُّ، ومن أسمائه: «الودود».. وقد ذكر لفظ: «الودود» في القرآن الكريم مرتين: في سورة هود؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]، وفي سورة البروج حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]، والود: الحب، ومعنى الودود: المحب للمؤمنين (الذين يودهم ويودونه، ويحبهم ويحبونه).

فانظر في نفسك؛ هل يحبك الناس أم هم لك كارهون؟..

هل يحبك من حولك، ويفرح بلقائك؟..

تأكّد من حبِّ الناس لك حبّاً خالصاً لله تعالى؛ لا حبّاً من أجل مال أو متاع، ولا مراعات أو مداهنة..

يروى أن الله تعالى قال لداود عليه السلام: «يا داود! أبلغ أهلَ أرضي أنني حبيبٌ لمن أحببني، وجليسٌ لمن جالسني، ومؤنسٌ لمن أنس بذكري.. ما أحبني عبد من قلبه إلا قبلته لنفسي وأحببته حبّاً لا يتقدّمه أحد من خلقي» فكان حبيباً لله تعالى، تكن حبيباً لمن في الأرض والسماء.



هل فيك ذرّةٌ من كبر؟

لو سألت أكثر الناس: هل أنت متكبر؟ لقال لك على الفور: لا.. ولكن لو طرحْتُ عليك عدداً من الأسئلة، وأجبتَ عليها بـ «نعم»؛ لكان فيك كبرٌ خفيٌّ..

وقد ذكر أخِي الحبيب الأستاذ أحمد الشقيري في كتابه الممتع: (خواطر شاب) عدداً من الأسئلة؛ أجبَ عليها بصراحة تامة؛ فلا يراك أحد غير الله:

- ١ - عندما تُواجهُ بنقد من شخص ما؛ هل تغضب أم تشعر بعدم ارتياح، أو تبدأ بالدفاع عن نفسك فوراً وبأية وسيلة كانت؟..
- ٢ - هل تقاطعُ حديث الناس عندما لا تعجبك نقطة أو قولٌ معيّن؟..
- ٣ - هل تشعر بقلق ونوع من الخوف وأنت أمام شخص أعلى منك مكانة في الشركة أو في المنصب؟..
- ٤ - هل تشعر بخوف عند إبداء رأيك أمام الناس خوفاً من أن لا يوافقوك الرأي؟..
- ٥ - هل تتحدث أكثر مما تسمع؟..
- ٦ - هل طريقة تعاملك مع مديرك مختلفة تماماً عن طريقة تعاملك مع مَنْ هم دونك في العمل، فتعامل مع الناس حسب مناصبهم، وليس على أساس أنهم سواسية؟..
- ٧ - هل تأخذ الأمور بشكل شخصي عندما يجادلُك أحد في مجلس؟..
- ٨ - هل تغضب أو تتوتر عندما لا يؤيّدك الناس، ولا يتفقون مع وجهة نظرك؟..

٩ - هل ترغب دائماً في سماع المديح، وتبذل جهدك كي يمدحك الناس؟..

١٠ - هل تقارن نفسك بغيرك وتشعر بارتياح عندما تكون مع مَنْ هو دونك، بينما تشعر بتوتر عندما تكون مع مَنْ هو أفضل منك حديثاً أو موهبة.

لا تعجب يا أخي إن كنتَ من الراسبين في هذا الامتحان! فكثير منّا قد يرسب فيه.. وصدق رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من كِبَر»^(١).

ويأتي السؤال المهم: كيف أتواضع؟

وباختصار: اعكس الأسئلة السابقة تجد منهجاً واضحاً للتواضع..

- لا تقاطع الناس، ولكن أنصت إليهم..

- استمع أكثر مما تتحدث..

- لا تفرّق عند تعاملك مع طبقات الناس المختلفة..

- اعمل من أجل الله.. وليس من أجل سماع مديح الناس.

وأخيراً: إذا لم ينعكس تواضعك أمام الله إلى تواضع عملي أمام خلق الله؛ فاعلم أن تواضعك أمام الله فيه خلل!^(٢).



(١) رواه مسلم.

(٢) خواطر شاب، للأستاذ أحمد الشقيري، (بتصرف).

الجنة تناديكم (١)

ذِكْرُ الجنة حياة للقلوب، ونسيان الجنة موت للقلوب.. فهياً ننطلق معاً في رحاب الجنة التي تفتّحت أبوابها.

فمهما جال في خواطركم، أو تردد في أذهانكم؛ فإنّ في الجنة ما هو أعلى منه وأتمّ.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(١).

ومهما كان جمال الوصف فلا يعدُّ شيئاً؛ لأنّ الله تعالى إنما وصفها لنا على قدر عقولنا، وصورها على حسب فهمنا.

يقول ابن القيم رحمته: وكيف يقدرُ العقلُ البقاصر الضعيف قدر جنة؛ غرسها الرحمن بيده، وجعلها جزاءً لأحبابه، وملأها برضوانه ورحمته، وزينها وأتقنها بعظيم قدرته، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، ووصف ملكها بالملك الكبير؟!..

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ ٢٠ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا بِأَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمُ رَبُّهُمْ سُورَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢٠ - ٢١]، ومن الذي سقاهاهم؟.. ﴿وَسَقَنَهُمُ رَبُّهُمْ سُورَابًا طَهُورًا﴾ ٢١ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢١ - ٢٢].

● ما هي صفات أهل الجنة؟:

قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوَّطون، ولا يتفلون، ولا يتمخضون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، أزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ﷺ»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها»، فقام إليه إعرابي، فقال: يا رسول الله! لمن هي يا نبي الله؟! قال: «لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»^(٢).

أما أعظم نعيم الجنان؛ فهو التمتع بالنظر إلى وجه الرحمن؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٥) ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٥ - ٢٦].

فالحسنى: هي الجنة.. والزيادة: هي النظر إلى وجه الله الكريم.

ومن دعائه ﷺ: «اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة»..



(١) متفق عليه.

(٢) صحيح الترمذي (٢٥٢٧).

الجنة تناديكم (٢)

هل جاءك من خبر العيون والأنهار التي تجري تحت تلك الدور والقصور في الجنة؟ ..

فماؤها أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج .. شربها يزيد في نور الوجوه والأجسام، وينور القلوب والأرواح والأبدان.

قال الله جلّ في علاه: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

وما ظنّك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها وابتسامتها؟! .

سماهنّ الله بالحدود العيون .. والحدود: جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء، الجميلة البيضاء، شديدة سواد العيون .. يقلن: نحن الخالدات فلا نبید، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنّا له ...

تقول عائشة رضي الله عنها:

إنّ الحدود العيون إذا قلن هذه المقالة أجبنهنّ المؤمنات من نساء الدنيا:

نحن المصليات وما صليتنّ ..

ونحن الصائمات وما صمتنّ ..

ونحن المتوضّئات وما توضأتنّ ..

ونحن المتصدّقات وما تصدقتنّ ..

قالت عائشة: فغلبنهنَّ - أي نساء الدنيا المؤمنات غلبن الحور العين - .
 فأنتِ أكرم عند الله من الحور العين . . أنتِ أكرم وأجمل . .
 ولولا حياء المرأة لوصف الله ما أعدَّ لهنَّ في الجنان . .
 وأنتِ أيضاً أيتها المشتاقة المستبشرة! . . إذا أردتِ أن تكوني من أهل
 الجنان فاسمعي بعضاً من صفات نسائها . .

قال ﷺ: «ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة: الودود، الولود،
 العؤود، التي إذا ظلمت قالت: هذه يدي في يدك لا أذوق غمضاً، حتى
 ترضى»^(١).

وقال أيضاً مبشراً الصادقات القانتات المطيعات: «المرأة إذا صلَّت
 خمسها؛ وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، فلتدخل من
 أي أبواب الجنة شاءت»^(٢).

إنها الجنة . . التي اشتاق إليها الصالحون، وقدّم مهرها الصادقون . .

إنها الجنة . . فاعمل لها بقدر مقامك فيها، وبقدر شوقك إليها . .

إنها الجنة . . دار الموقنين بوعد الله، المتتهجدين في ظلام الليل،
 الصائمين في الهواجر^(٣).



(١) صحيح الجامع (٢٦٠٤).

(٢) مشكاة المصابيح، للألباني.

(٣) الجنة تنادي، للأستاذ خالد الراشد، (بتصرف).

هل يتحسّر أهل الجنة؟

كيف يتحسّر من نال مراده وفاز بالجنة؟ ..

يجيبك على هذا السؤال سيد الأولين والآخرين؛ فيقول عليه الصلاة والسلام: «ليس يتحسّر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله ﷻ فيها»^(١).

عجيب أمر هؤلاء! .. وهم في رياض الجنة يتحسّرون؛ على ماذا؟ على ساعة تركوا فيها ذكر الله تعالى!

فكم من الساعات تمر بنا دون ذكر لله تعالى؟! ..

فهل نتحسّر الآن في الدنيا على تلك الساعات؟! ..

يقول الإمام الأوزاعي: ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يوماً يوماً، وساعة ساعة، ولا تمرُّ به ساعة لم يُذكر الله فيها إلا انقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرّت به ساعة مع ساعة .. ويوم مع يوم، وليلة مع ليلة، دون ذكر لله أو استغفار، ودون تفكير أو اعتبار؟! ..

يقول رسول الله ﷺ: «سَبَقَ الْمَفْرَدُونَ»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»^(٢).

يقول الله تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ نَظْمِينَ الْقُلُوبِ﴾ [الرعد: ٢٨]؛ فمن أحبَّ شيئاً أكثرَ ذكره، فاذا ذكر الله ذكر المحبين .. ومن عَظُمَ شيئاً أَجَلَ قدره، فعَظُمَ الله تعظيم العارفين ..

(١) صحيح الجامع (٥٤٤٦)، ثم تراجع الشيخ وضعفه. انظر: السلسلة الضعيفة (٤٩٨٦).

(٢) رواه مسلم.

فالذكر ترياق المذنبين، وأنيس المنقطعين، وغذاء الموقنين، وشراب المحبين، فاذكر الله في الليل والنهار، في السفر والحضر، في الغنى والفقر، في الصحة والسقم، في السر والعلن، وفي كل حين... ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَخِّهٖ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

يقول الحسن البصري:

«تفقدوا حلاوة الإيمان في ثلاثة أشياء:

في الصلاة، وفي الذكر، وفي قراءة القرآن..

فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق».

فإن لم تكن تستشعر حلاوة الإيمان في هذه الأشياء؛ فتقرّب إلى الله تعالى بركعتين والناس نيام.. باستغفار.. بدعاء.. في جنح الظلام.



هل هذا جزاء نعم الله عليك؟!

● اعترف لله من قلبك بتلك النعم التي أنعمها عليك ..

اشكر الله تعالى على تلك النعم بذكر إنعامه عليك؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

جدد حبك لله ..

لا تستعمل هذه النعم فيما يكره المُنعم ..

أجر لسانك بذكره، وجوارحك بطاعته ..

كان النبي ﷺ يقول: «من قالَ حين يُصبح: اللهمَّ ما أصبح بي من نعمة؛ فمنك وحدك، لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر؛ فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي؛ فقد أدى شكر ليلته»^(١).

● لا تستعمل تلك النعم في معصية الله ..

مرَّ ابن المنكدر بشاب يراوغ امرأة؛ فقال: يا بنيَّ ما هذا جزاء نعمة الله عليك؟! ..

أي نعم الله عليك بالصحة والشباب، فترد له ذلك بالمعاصي والذنوب؟! ..

فكّر في نفسك؛ هل أنت من الشاكرين حقاً؟ ..

هل أنت من المحبين صدقاً؟ ..

هل أنت من المعترفين لله بأفضاله ونعمائه؟ ..

هل ظهر أثر الشكر على قلبك وجوارحك؟ ..

هل ظهر على أخلاقك وتعاملاتك؟ ..

يقول المبرد:

إذا كان شكري نعمة الله نعمةً عليَّ له في مثلها يجب الشكرُ
فكيف بلوغُ الشكر إلا بفضلِهِ وإن طالَتِ الأيامُ واتصلَ العمرُ
ومعنى هذا: أن الله ﷻ لا يُحمد إلا بتوفيقه، فينبغي أن يُحمدَ على
أن وفقك إلى شكره، ثم ينبغي في الحمد الثاني ما وجب في الحمد الأول؛
إلى حيث ما لا نهاية! ..

ولقد أحسن أبو العتاهية في قوله:

إذا أنت لم تزدْ على كلِّ نعمةٍ قد آتاها شُكراً فليستَ بشاكرٍ
والله تعالى يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

قال بعضهم: إذا كانت القلوب جُبلت على محبة من أحسن إليها؛
فوا عجباً لمن لا يعلم محسناً إلا الله؛ كيف لا يميل إليه بكل جوارحه؟! ..

كان عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول في دعائه:

اللهمَّ إني أعوذ بك أن أبدلَ نعمتكُ كفرًا، أو أن أكفرها بعد معرفتها،
أو أنساها فلا أثني بها.



أدعوك يا ربّ (١)

يا رب .. أعطني الأمل، وخذ مني اليأس ..

يا رب .. ازرع نضارة الحب في قلبي، وانزع أشواك الحقد من نفسي ..

يا رب .. امنحني القوة على أن أتغلب على شهواتي، وارزقني التعقل لأنتصر على غروري وأهوائي ..

يا رب .. قوِّ بصيرتي لأرى عيوب نفسي، وضع على عيني عصابة سوداء كي لا أبالغ في عيوب غيري ..

يا رب .. ساعدني على إسعاد أكبر عدد من الناس، فأزيد أيامهم السعيدة، وأختصر لياليهم الباكية ..

يا رب .. هبني لذة العفو، وجردني من شهوة الانتقام، لا تجعلني ضعيفاً أمام الأقوياء، ولا جباراً في مواجهة الضعفاء ..

يا رب .. ازرع في قلبي التسامح والرحمة، وانزع من نفسي التعصب والقسوة ..

يا رب .. املاً قلبي بالإيمان بك، وجوانحي بمحبتك، وجوارحي بالإخلاص لك ..

يا رب .. افتح عيني لأرى جمال ما صنعت في كل ما حولي ..

يا رب .. إذا أعمانني الغرور فبصّرني، وإذا ركبني الذلّ فارفعني، وإذا اضطرني الزمن أن أحنّي رأسي للقوة، فذكرني بأن القوة لا تدوم، وأن كلمة الحق هي التي تدوم ..

يا رب.. إذا وقعتُ فعَلِّمني كيف أقف، وإذا وقفتُ فذكّرني بالواقعين
على الأرض حتى أنحني وأساعدهم على الوقوف..

يا رب.. إذا نصرتني على خصومي فلا تتركني أشتت بهم..

يا رب.. لا تدعني أخلط بين القناعة والخمول، ولا بين العزة
والغرور، ولا بين التواضع والمذلة..

يا رب.. أعطني القوة على أن أنتصر للحق؛ سواء كان هذا الحق في
أيدي الأقوياء أو الضعفاء..

يا رب.. ساعدني أن أكون إحدى الشموع الصغيرة التي تبدد الظلام.

يا رب.. ساعدني على نشر التسامح بين الناس، وإقناعهم بأن
الانتقام هو سلاح الضعيف، والتسامح سلاح الأقوياء..

يا رب.. ساعدني على أن أرى عيوبي كبيرة لأتخلّص منها، وعيوب
الناس صغيرة حتى لا تعيش في ذاكرتي..

يا رب.. ساعدني على ألا أكره من يكرهني، وأن أزداد حباً لمن
يحبني..

يا رب.. إذا أخطأتُ في حق الناس؛ فساعدني على أن أعذر لهم
عن أخطائي، وإذا أخطأ الناس في حقّي؛ فساعدني لأغفر لهم زلاتهم..



أدعوك يا ربّ (٢)

يا رب .. ساعدني على أن أجد لذة في العطاء أكثر من متعة التجار
في تحصيل ديونهم ..

يا رب .. أسعد كل مَنْ حولي؛ حتى أتمتع بسعادتي، فأنا لا أستطيع
أن أضحك بين الدموع، ولا أن أستمع بنور الفجر وحولي مَنْ يعيش في
الظلام ..

يا رب .. إذا رماني الناس بالطوب، فساعدني على أن أجمع هذا
الطوب فأبني به عمارة، وإذا رموني بالزهور، فساعدني على أن أوزعها
على الذين علّموني وأمسكوا بيدي الصغيرة وأنا أكافح عند سفح الجبل ..

يا رب .. ساعدني على أن أذكر أخطائي لأتخلص من عيوبي، وأن
أنسى أخطاء إخواني لأحتفظ بهم ..

يا رب .. إذا نجحت؛ فلا تدع الغرور يقتلني، وإذا وقعتُ على
الأرض؛ فلا تدع الجهل يوهمني أن الناس قد حفروا لي تلك الحفرة ..

يا رب .. ساعدني على أن أف من جديد، وافتح عيني وعقلي حتى
لا أقع في حفر الأيام القادّيات ..

يا رب .. أعطني شجاعة الرأي لأقول رأيي، وشجاعة الخلق لأراجع
إذا كنتُ مخطئاً، فالأقوياء يؤمنون بأرائهم ويسمعون آراء الآخرين،
والضعفاء يتعصّبون لرأي من الآراء، ويوصدون عقولهم عن رأي
الآخرين ..

يا رب .. ساعدني على ألا أتخلّى عن مظلوم، وألا أخاف من ظالم،
وإذا انتصر الظلم فلا تتركني أعدو في موكب الهاربين ..

يا رب.. ساعدني على أن أقنع الناس أن التسامح ليس ضعفاً، وأن الحب أقوى من الكراهية، وأن الكسب الحلال أبرك من المال الحرام..

يا رب.. لا تدع اليأس يتسلل إلى قلبي؛ فاليأس يعمي العيون، فلا ترى الأبواب المفتوحة ولا الأيدي الممدودة..

يا رب.. ساعدني على أن أملأ قلبي بعرفان الجميل للذين ساعدوني على الاقتراب من قمة الجبل، وعلمني كيف أمسح دموع الناس، وأرسم على شفاههم البسمات والضحكات..

يا رب.. علّمني كيف أزرع الأمل في قلب يائس، وكيف أمدّ يدي لإغاثة ملهوف أو محتاج..

يا رب.. علّمني أن الرفعة في التواضع، وأن العالم هو الذي يعترف بجهله، وأن القوي هو الذي ينحني لرجل ضعيف يأخذ بيده..

يا رب.. ساعدني على أن أحول فشلي إلى نجاح، وأن أقنع الناس أن الفشل هو أول درجات النجاح، وليس آخر مراحل الكفاح..

يا رب.. ساعدني على أن أزرع الأمل في القلوب، وأضمد الجراح، وأمسح الدموع، وأضيء الشموع في وسط الظلام..



تدعو عليهم.. أم تدعو لهم؟

إذا رأيت أناساً يعصون الله؛ فماذا أنت فاعل؟..

كان معروف الكرخي جالساً يوماً مع أصحابه على نهر دجلة؛ فمرَّ زورقٌ فيه شباب يغتَوْن ويرقصون، ويضربون بالدفوف، ويشربون الخمر، فقال له أصحابه: إن هؤلاء يعصون الله، ويفعلون المنكر، فادعُ عليهم..

فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهم كما فرحتهم في الدنيا؛ فرّحهم في الآخرة، وأدخلهم الجنة!.

فقال له أصحابه: قلنا لك: ادعُ عليهم، فدعوتَ لهم أن يفرحوا في الآخرة! وكيف سيفرحون وهم عصاة كما رأيت؟!..

فقال الكرخي: إن استجابَ الله دعائي وأراد أن يُفرّحهم في الآخرة؛ هداهم إلى ما يحبُّ ويرضى، وأصلح أمرهم في الدنيا، ففرحوا في الآخرة ودخلوا الجنة!..

فإذا رأيتَ أناساً عصاة يفعلون ما لا يُرضي الله؛ فادعُ لهم بالهداية؛ لا تدعُ عليهم بالهلاك والخسران.. ألم يدعُ حبيبنا المصطفى ﷺ لقريش عندما أتاه مَلَكُ الجبال وعرض عليه أن يُطبق على مكة الأخشين (جبلين في مكة)؛ ألم يقل: «اللهم اهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون»؟!..

وقال أيضاً: «بل أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله وحده، لا يُشرك به شيئاً»^(١).

ذكر لي شابٌّ: أنه سافر للدراسة في فرنسا، وكان يسكن في الشقة

المقابلة شاب فرنسي، كان موزع الجرائد يضع الجريدة كلَّ يوم أمام باب الفرنسي، انتبه صاحبنا إلى تراكم الجرائد أمام بيت جاره، سأل عن الخبر، فعلم أنه مسافر! ..

أخذ يجمع الجرائد للفرنسي عنده في البيت .

وبعد ثلاثة أشهر عاد الفرنسي من سفره، فسلم عليه صاحبنا وهنأه بسلامة الوصول، ثم أعطاه الجرائد مرتبة حسب وصولها! ..

تعجب الفرنسي من هذا الفعل، وقال: كم تريد مني أجره على ذلك؟ .

قال صاحبنا: لا .. أنا ما فعلت هذا إلا لأن ديننا يوصينا بالجار! ..

واستمر صاحبنا في حسن معاملته لجاره الفرنسي .. سأله الفرنسي كتباً عن الإسلام، فأهداه .. ولم تمض بضعة شهور حتى دخل في الإسلام! ..

ترى لو أننا أحسنًا معاملة غير المسلمين من حولنا، أما كان قد دخل الآلاف بل الملايين منهم في الإسلام؟ .

أليست الدعوة إلى الله بالفعل قبل القول؟ ..

وللأسف الشديد فإن الطالب المسلم عندما يذهب إلى بلاد أجنبية بقصد الدراسة، سرعان ما يقع فريسة العادات السيئة، إلّا من رجم ربك ..

وإذا ضمّه مجلس تحاور في الدين؛ وجد نفسه أمة لا يستطيع دفع شبهة، ولا ردّ استهزاء بدينه؛ لأنه لم ينل من الثقافة الإسلامية ما يؤهّله للدفاع عن دينه .. فلم يطمع مبشرو الديانات الأخرى أن يترك المسلم دينه ليدخل في دينهم؛ ولكنهم رضوا بأن يجهل المسلم دينه، ليصبح معلقاً في فضاء فكري؛ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء! ..

هل الذكر هو تلك التسابيح التي يرددها المسلم في أوقات معينة فحسب؟ .

هل الذكر مجرد تمتمة باللسان فحسب؟ .

لا . . فذكر الله أنواع: ذكر اللسان، وذكر القلب، وذكر العمل . .

وذكر الله هو اتصال القلب به، والانشغال بمراقبته في كل خطوة يخطوها العبد، وفي كل عمل يعمل به؛ فلا يقوم بأمر إلا وهو ذاكر لله؛ هل هو في مرضاته؟ هل هو في حدود شرعه؟ . .

فإن تحرّيتَ الصدق فيما تقول؛ فأنت ذاكرٌ لله . .

وإن صدقتَ في وعودك؛ فأنت ذاكرٌ لله . .

وإن أحسنتَ عملك ونصحتَ للآخرين؛ فأنت ذاكرٌ لله . .

وإن أحسنتَ معاملة والديك؛ فأنت ذاكرٌ لله . .

وإن أحسنتَ معاملة جيرانك؛ فأنت ذاكرٌ لله . .

وإن سعتَ في طلب الرزق الحلال؛ فأنت ذاكرٌ لله . .

وكلُّ عمل تقوم به؛ وكل كلمة تلفظها - ما دامت ضمن حدود الشرع - فأنت فيها ذاكرٌ لله .

أما أن تؤدي العبادات، وتُسيء المعاملات؛ فقلبك غافل عن ذكر الله .

وتلك القراءات والأذكار التي تتلوها في صلاتك وعباداتك ألفاظ ينطق بها لسانك، ولا يستشعرها قلبك؛ فليس هذا بالذكر الصادق . . فالذكر

الصادق هو الذي يصدر عن قلبٍ واعٍ؛ ومراقبة دائمة لله ﷻ^(١).

أما الذكر اللفظي باللسان؛ فهو تلك العبارات المنزهة لله تعالى، الشاكرة، الحامدة، المكبرة، الموحدة؛ فهو أمرٌ مطلوب بنص الآية القرآنية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

يقول عليه الصلاة والسلام: «من أكل طعاماً ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة؛ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن لبس ثوباً فقال: الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة؛ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(٢).

فكم منا من يفطن إلى هذا الذكر العظيم الأجر؟!..

● آداب السوق:

كم من الناس يفطن - حين يدخل السوق - فيدعو دعاء السوق؟!.. وكمن من الناس يُحرم ذلك الأجر العظيم الذي يناله بكلمات معدودات؟!.. يقول عليه الصلاة والسلام: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير؛ كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة»^(٣).



(١) قطوف إسلامية، للأستاذ محمد الصائغ، ١٩٩٩م.

(٢) صحيح الجامع (٦٠٨٦)، وأبو داود (٤٠٢٣).

(٣) رواه الترمذي، وحسنه الألباني.

إذا كان الناس في الغرب قد تفوّقوا علينا بالتزامهم بالوعد، والتقيد بتنفيذ مواعيدهم بحرص بالغ ودقة تامة، ولا يتأخّرون عن مواعيدهم المضروبة فيما بينهم.. إذا كانوا كذلك فإن هذه الصفة من صميم الأخلاق الإسلامية؛ يقول الله تعالى مثنياً على إسماعيل عليه السلام: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٥].

يقول المفسّرون: إن إسماعيل عليه السلام وعد رجلاً أن يلقاه في موضع، فجاء إسماعيل وانتظر الرجل يومه وليلته، فلما كان في اليوم الآخر جاء فقال له: ما زلتُ هاهنا في انتظارك منذ أمس، ولم أكن لأبرح حتى تأتيني..

أليس للصلاة وقت محدد؛ فإن أدّيتها قبل ثوانٍ أو بعد ثوانٍ من وقتها لم تُحسب لك؟!..

أليس للصيام وقت محدد؛ فإن أفطرت قبل ثوانٍ من غروب الشمس لا تُعتبر صمت ذلك اليوم كله؟!..

فلماذا لا نتعلّم من عبادتنا، من أصول ديننا؟! لماذا لا نلتزم بالمواعيد؟!.. وكما يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: «فإن الناس يُكرّمون المتأخّر، ويعاقبون مَنْ أتى في موعده.. فلا يضعون الطعام إلا حين يأتي المتأخّرون، ولا يبدأ الحفل إلا حين يتكرّم عليهم غير المنضبطين بمواعيدهم!..»

وورد مثل هذا التأخير على النبي صلى الله عليه وآله؛ فقد أخرج أبو داود: عن عبد الله بن أبي الحمساء، قال: بايعتُ النبي صلى الله عليه وآله ببيع قبل أن يبعث، وبقيتُ له بقيّة، فوعدته أن آتية بها في مكانه، فنسيته.. ثم تذكرتُ بعد ثلاثٍ،

فجئتُ فإذا هو في مكانه .. فقال: «يا فتى لقد شققتَ عليَّ! .. أنا هاهنا منذ ثلاثٍ أنتظرك» .

تأخر عن الموعد ليس لدقائق أو ساعات، بل لثلاثة أيام! .. فيا ليت المسلمين اليوم يلتزمون بمواعيدهم؛ إذن لأراحوا أنفسهم، وأراحوا غيرهم ..

فللناس أعمال وأشغال، ومن الظلم أن تتأخر أنت في تنفيذ مواعيدك معهم .. ففي التأخر عن الموعد تعطيل لمصالحهم، وخرقٌ لمبدأ الوفاء بالوعد والعهد ..

يقول أحد الحكماء: «لا تَعِدَنَّ عدةً (أي: وعداً) لا تثق من نفسك بإنجازها .. فإذا لم تكن واثقاً من قدرتك على تنفيذ وعدك والالتزام بالموعد المحدد؛ فخير لك ألا تعطي وعداً» ..

ونحن الآن في عصر الجوال، لا عذر لأحد في أن يترك مُضيفه ينتظره! .. أو يترك صديقه في الشارع واقفاً في انتظار مَنْ واعدته، فإن كان هناك ظرف طارئ فيمكنك الاتصال بمنْ واعدتْ؛ أخبره بما حدث، يجدْ نك عذراً ..

يقول المثنى بن حارثة الشيباني:
لأنَّ أُموتُ عطشاً أحبُّ إليَّ من أنْ أخلف موعداً .

يقول الشاعر:

ولا خيرَ في وعدٍ إذا كان كاذباً ولا خيرَ في قولٍ إذا لم يكن فِعْلاً

سئل الحارث بن كلدة طبيب العرب يوماً: ما الدواء الذي لا داء فيه؟

فقال: هو ألا يدخل بطنك طعامٌ وفيه طعام!..

فإدخال الطعام على الطعام يورث الأدوية والأسقام.

وسئل آخر عن خير الدواء؛ فقال: هو أن يُقدّم إليك الطعام وأنت تشتهيهِ، وأن يُرفعَ عنك وأنت تشتهيهِ..

أليس هذا الدواء متوفراً في كل بيت؟! أترانا نحتاج إلى صيدلية نبتاع منها هذا الدواء؟!..

أليس بإمكان الواحد منا أن لا يأكل حتى يجوع، وإذا أكل أن لا يشبع؟!..

لا تجعل الطعام أكبر همك، فعليّ ﷺ يقول: من كان همّه ما يدخل جوفه، فقيّمته ما يخرج!.. ويروى أن عليّاً ﷺ كان إذا دُعي إلى طعام أكل شيئاً قبل أن يأتيه (أي: قبل أن يذهب إلى الدعوة)، فلما سُئل عن ذلك قال: قبيح بالإنسان أن يُظهر نهمه في طعام غيره!..

ولعلّ في هذا تذكرة إلى أولئك الذين يُدعَوْنَ إلى العشاء في الفنادق والحفلات، فيملؤون الصحون من أطايب الطعام والمأكولات وهم يحسبون أنهم سيأكلون كل ما ملؤوا من صحون، ثم يجدون أنفسهم غير قادرين على أكل ربع هذا الطعام، بل ربما عُشره.. ومن ثمّ ترى ذلك المنظر المؤلم؛ منظر الخادم يرمي بكل ما تبقى من طعام في سلة القاذورات!.

ولا يذكر هذا الإنسان أن هناك الملايين من الجوعى المسلمين الذين هم بحاجة إلى لقمة مما يُرمى في سلة المهملات ..

يُروى أن يوسف عليه السلام لَمَّا ملك خزائن مصر؛ كان يجوع ويأكل من خبز الشعير، فلما سئل: أتجوع ويبدك خزائن الأرض؟! .. قال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع! ..

سبحان الله! كم مَنّا من يفطن في كل يوم لأولئك الجائعين من المسلمين .. في إفريقية وغيرها من البلدان؟! أنذكر هؤلاء فنُخرج شيئاً من جيوبنا نتصدق عليهم - عن طريق المؤسسات الخيرية - فنشعر بلذة مواسة هؤلاء الجوعى أو العرايا من إخواننا المسلمين؟! ..



مكتبة الرمحى أحمد @ktabpdf تليجرام

القلق حالة نفسية تتَّصف بالخوف والتوتر وكثرة التوقعات، ويعاني منه كلُّ إنسان في مواقف معينة؛ فقد نقلق من أجل امتحان، أو مشكلة متوقعة في العمل، أو خلافات في الأسرة، أو مرض أحد الأبناء، أو ضائقة مادية.

وينجم القلق عن الخوف من المستقبل، أو توقع شيء ما، أو عن صراع في داخل النفس.

ويزداد حدوثه في الفترات الانتقالية من العمر، كالانتقال من مرحلة البيت إلى المدرسة، أو من مرحلة الطفولة إلى المراهقة، وعند الانتقال إلى سنّ الشيخوخة والتقاعد، أو سنّ اليأس عند النساء... وقد يحدث القلق كانفعال طارئ يزول بزوال السبب، إلا أنه قد يصبح مزمناً يبقى مع الإنسان لساعات أو أيام.

ومن أشكال القلق: قلق الإنسان على وظيفته وعمله، أو قلق المرء على صحته حين يمرض، وقلق الأم على ابنها إن تأخَّر عن موعد وصوله، أو قلق الطالب على نتائج امتحاناته، إلى غير ذلك من الأحوال.

وقد يشكو الإنسان القلق من الشعور بعدم الارتياح، وعدم الطمأنينة، أو الإحساس بالانقباض... كما قد يشكو من اضطراب الهضم وآلام البطن، أو الخفقان واضطرابات البول، أو برودة في الأطراف، أو اضطراب في الحياة الجنسية.

ومن الناس من يقلق لأتفه الأسباب، فتساوره الهموم والشكوك، ويعيش أيامه بين القلق والاكتئاب!..

فإذا أردت اجتناب القلق، فعليك بمراجعة نفسك، وإليك بعض النصايا التي يمكن أن تساعدك في التخلص من القلق:

- ١ - لا تقلق على المستقبل، ولا تخشَ قلة الرزق، فالرزق بيد الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].
- ٢ - دع التفكير في الماضي، ولا تندم على ما فات؛ يقول الرسول ﷺ: «وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»^(١).
- ٣ - ارضَ بقضاء الله وقدره، فالمؤمن لا يخشى مصائب الحياة، وكل أمره خير؛ يقول رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن؛ إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»^(٢).
- ٤ - أحصِ نِعَمَ الله عليك بدلاً من أن تحصي همومك ومتاعبك؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].
- ٥ - لا تكن أنانياً، وصبَّ اهتمامك على الآخرين، اصنع في كل يوم عملاً طيباً يرسم الابتسامة على وجه إنسان؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطعمه خبزاً»^(٣).



(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح الجامع الصغير (١٠٩٦).

وداعاً للقلق (٢)

- ٦ - اجعل عملك خالصاً لله تعالى، ولا تنتظر الشكر من أحد؛ قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(١).
وركّز جهودك في العمل الذي تشعر من أعماقك أنه صواب، ولا تستمع للوم اللائمين.
- ٧ - حاول أن تغيّر الأشياء السلبية إلى إيجابية.. ويضرب ديل كارنيجي مثلاً فيقول: «إذا ألقيت بين يديك ليمونة مالحة، فحاول أن تصنع منها شراباً سائغاً حلواً».
- فكر دوماً في السعادة، واصطنعها لنفسك تجد السعادة بين يديك.. ولا تفكر في محاولة الاقتصاص ممن أساء إليك؛ قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].
- ٨ - التزم في حياتك القواعد التالية:
- أ - لا تهتمّ بتوافه الأمور، ولا تعطِ الأمور أكثر مما تستحقّ، ولا تجعل صفائر المشاكل تهدم سعادتك.
- ب - احتفظ لنفسك بسجلّ تدوّن فيه الأخطاء التي ارتكبتها، واعلم أنه من العسير أن تكون دوماً على صواب.
- ج - تقبّل نصيحة الراشدين؛ فالرسول ﷺ يقول: «الدين النصيحة»^(٢).
- د - حين تعترضك مشكلة احسمها فور ظهورها.

هـ - أضف إلى عملك ما يزيد استمتاعك به .

و - لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد .

ز - تعود النظام والترتيب، وافعل الأهم ثم الأهم .

ح - لا تحمّل نفسك ما لا تطيق؛ قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، واسترخ قبل أن يدركك التعب .

٩ - تحرّى الحكمة في إنفاقك، ولا تقتّر على عيالك، قال ﷺ: «أفضل

دينار ينفقه الرجل: دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله ﷺ»^(١) .

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الاسراء: ٢٩] .

١٠ - لا تستسلم لعقدة الإحساس بالذنب، فالله غفور رحيم؛ قال تعالى:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] .

وقال تعالى في محكم كتابه: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] .

وإذا أصابتك لحظات من القلق والخوف؛ فلا تجزع ولا تيأس؛ فقد تكون ابتلاءً من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] .





إذا كنتَ هنيئَ النفس، أنيساً مع أهلك وذويك، محسناً إلى والديك وإلى من في جوارك ..

وإذا كنتَ تستقبل الصباح بالتسبيح لله، والمساء بالتمجيد له ..

وإذا كنتَ تحب رؤية الجمال فيما خلق الله ..

وإذا أدركت أن كلَّ شيء يسبح بحمد الله، وتأكدت أنك مخلوق للعظائم لا للتوافه ..

وإذا عرفت أن ابن آدم خطاء، فأصبحت تميل إلى السماح والعفو عمن أساء إليك .

وإذا رأيتَ نفسك في منجى من كل تعجرف وتسَلَط وعدوان؛ إذا تهيأ لك كل ذلك، مع عشرات الأمور التي لم أُشر إليها . أصبحت قادراً على أن تفهم حكمة الله وتدنو منه وتحبه وتشكره؛ أن أثرك على كثيرٍ من خلقه، وأنشأك على الكرامة ونبل المقاصد، فأصبحت تفهم كيف يكون الإنسان خليفة الله في الأرض، وغدوتَ مستعداً لأن تكون من عباد الله المخلصين^(١) .

يقول أحد الحكماء: من رُزق ستاً لم يُحرم ستاً:

من رُزق الشكر لم يُحرم الزيادة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] .

ومن رُزق الصبر لم يُحرم الثواب؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُوفِ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] .

ومن رزق التوبة لم يُحرم القبول؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥].

ومن رزق الاستغفار لم يُحرم المغفرة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

ومن رزق الدعاء لم يُحرم الإجابة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ١٠].

ومن رزق النفقة لم يُحرم الخلف؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبا: ٣٩].



أحسن إلى والديك ولو كانا كافرين!..



لبست العلاقة مع الوالدين في كثير من بلادنا ثوب «الاستحباب»، وخلعت ثوب الفرض أو الواجب الذي جاء به الإسلام! وكأن بعض الشباب فهم أنه يُستحب لهم طاعة الوالدين، وأن ذلك ليس فرضاً عليهم!..

ألم يقرن الله الإحسان إلى الوالدين بعبادته سبحانه؛ فقال: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ [النساء: ٣٦]؟!..

ألم يكرر الله ذلك في مواضع عدة في القرآن الكريم ليبين عظمة برّ الوالدين؛ فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]!..

فالإحسان إلى الوالدين عبادة..

والكلمة الطيبة مع الوالدين عبادة..

ونظرة الود إليهما عبادة..

وأى عمل تُدخل فيه السرور عليهما.. عبادة.

ولا تأتي كلمة الإحسان إلا في أمر يُزاد فيه على المفروض، وكأنّ الله تعالى لا يريد من الأبناء فرض البر لوالديهم فحسب، بل يريد منهم أن يصلوا إلى مقام الإحسان في برّهم لوالديهم؛ أليس الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه؟! ثم أليس برّ الوالدين عبادة أمرنا الله تعالى بها؟! فكيف يكون الإحسان في برّ الوالدين؟..

إنها علاقة جميلة فريدة، تكون بأن تُحسن إلى والديك وكأنك ترى الله تعالى في تعاملك معهما.. فإن لم تكن تراه، فاعلم أنه يراك، ويرى وما

تُخفي نواياك وأنت تتعامل مع والديك!.. أين هذا من علاقة الأبناء بآبائهم في أوروبا وأمريكا؟!..

والعجيب أن لفظ الإحسان إلى الوالدين قد تكرر في القرآن الكريم خمس مرات: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ تأكيداً على عظمة هذا الأمر، وعلى أن يبذل الأبناء أقصى ما يستطيعون في إحسانهم لوالديهم.. ألن يصبح هؤلاء الأبناء والبنات آباءً وأمّهات عمّا قريب؟! ألن يعاملهم أبناءؤهم بنفس الطريقة التي عاملوا بها آباءهم؟!..

وقد أوصى الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين حتى ولو كانا كافرين.. فهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يروي عن أمه أنها قالت: أليس قد أمر الله بالبر؟!.. والله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر!. فأبى سعد أن يطيع أمه، فنزل قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْتُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

فلا طاعة لهما في معصية الله، مع بقاء الصلة والإحسان إليهما..



تَفَنَّنْ فِي شُكْرِ وَالِدَيْكَ



شكر بالقلب .. فالوالدان سبب وجودك - من بعد الله - في هذه الحياة! .

وشكر باللسان .. ليس على الطريقة الأوروبية والأمريكية بأن تقول: «شكراً: Thank You» فقط، وإنما: شكر بالجوارح؛ من طاعة، وإكرام، وإسعاد للوالدين^(١).

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! أمي عجوز كبيرة، أحملها على ظهري، وأنحني عليها بيدي، أو أدّيتُ شكرها؟
قال: لا ..

قال: لِمَ يا أمير المؤمنين؟ ..

قال: إنك تفعل ذلك بها وأنت تدعو الله أن يُميتها، وكانت تفعل ذلك بك وهي تدعو الله أن يُطيل عمرك! .

روي عن وهب بن منبه: أنه قال: «أوحى الله إلى موسى: يا موسى وقرّ والدك؛ فإن من وقرّ والديه مددتُ له في عمره، ووهبتُ له ولداً يبرّه، ومن عَقَّهما، قَصَّرتُ عمره، ووهبتُ له ولداً يَعُقُّهُ» .

وبر الوالدين أفضل من الجهاد؛ فقد هاجر رجل إلى رسول الله ﷺ من اليمن .. فقال عليه الصلاة والسلام: «هل باليمن أبواك؟» .
قال: نعم ..

قال: «هل أذنّا لك؟» .

(١) المسؤولية عن برِّ الوالدين، (بتصرف).

قال: لا..

فقال عليه الصلاة والسلام: «فارجع إلى أبويك فاستأذنهما؛ فإن فعلا فجاهد، وإلا فبرهما»^(١).

● كيف تبرهما بعد الموت؟

سأل سائل رسول الله ﷺ: هل بقي من برّ أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟

فقال عليه الصلاة والسلام: «نعم!.. الصلاة عليهما (أي الدعاء نهما)، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما»^(٢).



(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أبو داود.

واخفض لهما جناح الذلّ

شبه الله تعالى الابن بالطائر، والطائر إذا أراد التحليق رفع جناحيه، وإذا أراد أن يهبط إلى الأرض خفض جناحيه، فكأن هذا الابن طائرٌ بين يدي والديه، يحطّ من كبريائه أمامهما مهما كانت مرتبته ومنزلته، ويحنو عليهما كما يحنو الطائر على فراخه الصغار.

● وهذا الإمام أبو حنيفة يخبرنا بأن أمه حلفت يميناً.. فسألته عن فتوى اليمين، فلم تطمئن لجوابه - وهو إمام المذهب الحنفي - وطلبت منه أن يسأل لها أحد القصاصين (الذي كان يعظ الناس بقصصه وهو ليس أهلاً للفتوى).

فذهب أبو حنيفة إليه وقال له: إن أُمِّي قد حلفت يميناً وأمرتني أن أسألك، ولا أريد أن أخالف أمرها!..

فقال له القاص: علّمني الجواب.. فأخبره أبو حنيفة بذلك، وأعاد القاص الجواب، وقال: أخبر أمك أنني أفتيك به.

فعاد أبو حنيفة إلى أمه وأخبرها بالجواب.. فرضيت بقول القاص!

أليس في هذا منتهى التواضع للوالدين؟!.. تأمره أمه أن يذهب إلى شخص عادي جاهل بالفقه؛ رغم كل علم أبي حنيفة وشهرته بين الناس! فلا يتضايق ولا يتبرّم، ولا يقل لها: ﴿أَفِي﴾ [الإسراء: ٢٣]..

● وقد روي عن بعض السلف: أنه كان يتمرّع بقدمي أمه ويُقبلهما، وحين سئل عن ذلك، قال: كنتُ أتمرّع في الجنة.. إشارة إلى قول رسول الله ﷺ: «الزمها فإن الجنة عند رجلها»^(١).

● وقال هشام بن حسان (محدث البصرة) للحسن البصري: إني أتعلّم القرآن، وإن أُمِّي تنتظرني على العشاء.. فقال الحسن: أن تتعشّى العشاء مع أمك تقرُّ به عينها، أحبُّ إليَّ من حجة تحجُّها تطوعاً.

أليس هذا ما ينبغي أن يتربّى عليه أولادنا؟!..

تعشّوا مع أمهاتكم..

أفطروا مع آبائكم وأمهاتكم..

أسعدوهم بهدية من حين لآخر..

قدّموا لهم ما يحبّون..

أفرحوا قلوبهم بما يشتهون..

أسعدوهم تناولوا رضا رب العالمين، ويرزقكم أبناء بارّين..



لا تسافر دون إذن والديك

يا بني! .. لا تسافر دون إذن والديك، تذكر قول ابن يعقوب عليه السلام حين قال: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي﴾ [يوسف: ٨٠]؛ فلن تجد أبوين يقفان في وجه ابنهما إن طلب الولد الإذن بالسفر لطلب العلم.. وإن حصل ذلك حاورهما بالحُسن؛ واسأل أحداً من أقربائك أن يتفاهم مع والديك..

وعندما يكون الشاب على مفترق طرق؛ يريد الدراسة الجامعية في الخارج؛ فكثيراً ما يكون الأبناء في هذه الفترة من العمر تنقصهم الحكمة والنظرة الشاملة، فيقوم الوالدان بإرشاد أبنائهما إلى ما فيه الخير.

وقد تتعارض الرغبات، وهنا يظهر الابن البار بوالديه؛ يسمع مشورتهم، ويطيع أمرهما؛ حتى ولو ظنَّ الابن أن رأي والديه لا يلائم هذا العصر.

إذا وصل الأمر إلى اختلاف الرغبات؛ فليستشر الابن والوالدان أشخاصاً حكماً خبراء في هذا المجال؛ يوفقون فيما بينهم، ويرشدونهم إلى خير السبل إن شاء الله.

ومهما كان الأمر فلا ينصح الأبناء أن يتركوا آباءهم في هذا السن المبكر (سن دخول الجامعة) ويسافروا إلى دول أخرى للدراسة فيها بعيداً عن إرشادات الأبوين، وحنان الأهل.

وهل يطمئن الأهل على ابنهم في هذا السن المبكر: أن يسافر إلى دولة بعيدة، يعيش بمفرده يتعرَّض لهذه الموجات العاتية من فساد الفضائيات وحُمى الإنترنت؛ يرى الفتيات المتبرجات في الجامعة، في الشوارع، وفي كل مكان.. يواجه كل هذه المغريات، وهو أعزب في عنفوان الشباب؟!..

ماذا يفعل هذا الشاب أمام تلك الإغراءات؟! ..

أَيُغْرَقُ فِي هَذِهِ الْأَهْوَالِ وَالْمَتَاهَاتِ؟ أَمْ يَقَاوِمُ وَيَقَاوِمُ، وَيَلْتَجِي إِلَى اللَّهِ سَائِلًا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحْمِيَهُ مِنْ تِلْكَ الْمَغْرِيَّاتِ، وَيَهَيِّئَ لَهُ صَدِيقًا طَيِّبًا يَشُدُّ مِنْ أَزْرِهِ، وَيَصْمُدُ مَعَهُ، يَحَارِبُ الشَّهَوَاتِ وَالْمُنْكَرَاتِ، وَيُلْجَأُ إِلَى رُكْنِ رَكْنٍ؛ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ! ..



مَنْ نَطِيعٌ إِذَا اخْتَلَفَا؟

إذا تعارضت رغبة الأب والأم؛ فأيهما نقدّم ونطيع؟ ..

لعلَّ حديث رسول الله ﷺ يجيب على هذا السؤال؛ فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم مَنْ؟ قال: «أمك» قال: ثم مَنْ؟ قال: «أمك» قال: ثم مَنْ؟ قال: «أبوك»^(١).

فجميع ما يمكن أن يعانيه الأب محسوسٌ من قبل الابن؛ يرى أباه يتعب في عمله، ويلبّي طلباته، ولكنه لم يرَ أمه تحمله في بطنها تسعة أشهر، ولم يعايش آلام أمه حين ولدته، ولم يرَ سهر أمه الليالي الطوال وهو يبكي من الألم أو المرض؛ لا يذكر شيئاً عن أمه وهي تنظف أقذاره، أو تحمله على كتفها ليل نهار...

ولكن ما المقصود بهذا التفاضل بين الأبوين؟ ..

أهو في الطاعة وامتنال الأوامر، أم في الصحبة والإحسان إليهما؟ .. يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: الطاعة للأب، والبر للأم.. «وطاعة الوالدين واجبة، ولكن يترجح حق الأب على الأم في طاعة أوامره؛ لأنه ولي الأمر وإليه يعود النسب، وذلك دون الإنقاص من حق الأم في الطاعة والتعظيم..»

ويترجّح حق الأم على الأب في التودد إليها، وإكرامها، والقيام بخدمتها، والإحسان إليها، وذلك دون الإنقاص من حق الأب في التودد والإكرام والإحسان»^(٢).

(١) رواه البخاري.

(٢) المسؤولية عن الوالدين، ربيع حسن كوكه، (بتصرف).

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله:

الأم أقوى عاطفة نحو الصغير ..

والأب أقوى إدراكاً لمصلحته ..

ومن رحمة الله به توفيرهما له معاً! ..

ويأتي أعرابي إلى رسول الله ﷺ ويقول: إن أبي يريد أن يجتاح مالي (أي: يأخذ مالي).

فقال ﷺ: «أنت ومالك لوالدك، إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أموال أولادكم من كسبكم؛ فكلوه هنيئاً»^(١)

كيف تتعامل مع والدك المسن؟ (١)

والدك.. والدتك.. في طريقهما إلى الشيخوخة، وأنا وأنت ستنبعهم لا محالة - إن كتب الله لنا العمر -، فالله تعالى يقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

هما ينتظران منك أن تقابلهما بالتقدير والعرفان، لسنوات طوال قضياها في رعايتك، بذلا كل ما في وسعهما كي تكبر وتنضج، وتبدأ في العطاء..!

ولكن، عليك أن تعرف خصائص هذه المرحلة من العمر؛ كي تعرف كيف تعاملهما، وتحسن إليهما.

فهما لا يستطيعان تغيير أسلوب حياتهما بعد هذا العمر المديد، ولا يستطيعان التكيف والتأقلم..

ويصبح المسنُّ أقل استجابة، وأبطأ في تفاعلاته مع الأحداث، قد يبدو غير قادر على التعبير عن مشاعره، وقد يظهر أمام الأبناء بارداً في مشاعره وانفعالاته.

ربما لا يستطيع أن يفرح بسرعة، ولا أن يحزن بسرعة، فيظن الأبناء أنه غير مبالي ولا مكترث بما يحيط به! وكثيراً ما يضعف السمع والبصر عند المسنين، وتضعف أجسادهم، ويصابون بالوهن، بل ربما يصاب البعض منهم بالخرَف؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَوَّلِ آئِلَتِهِ لَبِئْسَ لِمَنْ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [النحل: ٧٠]، وتكثر أمراضهم؛ من مرض السكري إلى ارتفاع ضغط الدم إلى هشاشة العظام وغيرها..

وبسبب كل هذا يحجمون عن الاختلاط بالناس، وقد يلتزمون الصمت

إذا جلسوا في مجلس، فتضعف مشاركتهم لضعف سمعهم أو عدم قدرتهم على مواكبة الأحداث.. وغير ذلك.

وقد يخطئ المسنُّ في استعمال أدويته، فيأخذ جرعة أكبر أو أقل، وهذا ما يجعلك مسؤولاً عن أدويتهم كي لا يصابوا بمكروه لا سمح الله..
ويقلُّ النوم عند المسنين؛ فهم ينامون مبكرين، ويستيقظون مبكرين، وقد يستيقظ المسنُّ في الليل مرات عديدة للتبول؛ فاحرص على صحته وسلامته.

تذكّر: أن أباك وأمك أمانة عندك، وأنها فرصة لك كي تكسب رضاها.. تُسعدهما وتفرحهما، فتنال رضا الله في رضاها، وتفوز بأعلى الجنان..



كيف تتعامل مع والدك المسن؟ (٢)

- ١ - أبوك وأمك يحتاجان إلى حنانك وعطفك كما كنتَ محتاجاً إليهما في صغرك؛ فلا تبخل عليهما بالعطف والحنان؛ قال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].
- ٢ - لا تصطدم معهما في رأي معين، وقد يحتاج الأمر إلى عدة محاولات للإقناع..
- ٣ - لا تلحّ على المسنّ، ولا تطالبه بالإسراع في أمر ما.
- ٤ - تذكّر أن المسنّ يستمتع بالحديث عن الماضي السحيق، عن تجاربه في الحياة، عن الأحداث التي عاشها في الماضي، فأصغِ إليه وأظهر له التفاعل والإعجاب.
- ٥ - حين تتحدث مع مسنّ ضعيف السمع، فارفع صوتك حتى يسمعك بشكل جيد، ولا تتكلم مع الآخرين بصوت منخفض في حضرته؛ فإن ذلك قد يؤذيه..
- ٦ - لا تنزعج من فتور تفاعل المسنّ لأمر معين؛ فهو يحتاج إلى وقت أطول للتفاعل مع الأحداث.
- ٧ - لا تنسَ أن دعوة الوالد لولده دعوة لا تُرد، فاحرص على أن تنال الكثير من تلك الدعوات.

● يصرخ في وجه أمه!:

والله لقد حَزَنْتُ أَشَدَّ الحزن حينما سمعتُ شاباً يصرخ في وجه أمه العجوز في الغرفة المجاورة لعيادتي في المستشفى!..

يصرخ فيها قائلاً: إلى متى آتي بك إلى المستشفى؟! ألا تنتهين من زيارات الأطباء؟!..

دخلت إليه وقلت: وا عجباً من فعلك يا بني!..

أنسيّت كم أَتتُ أُمك بك إلى المستشفى وأنت صغير؟!..

أنسيّت كم سهرت من ليالٍ وأنت تصرخ من الحمى والألم؟!..

أنسيّت كم تعبّت من أجلك حتى وصلتَ إلى ما أنت فيه؟!..

أنسيّت كم خافت عليك وأنت تقطع الطريق إلى المدرسة؟!..

أنسيّت كم تلهفت لرؤياك وأنت عائد من المدرسة؟!..

أنسيّت.. أنسيّت.. أنسيّت؟!..

أيهون عليك أن تصرخ الآن في وجه أُمك العجوز؟!..

كيف تجرؤ على الإساءة إليها وقد بلغت من الكبر عتياً؟!..

ألا تخشى أن تغضب عليك فلا ترضى بعدها أبداً؟!..

ألا تعلم أنها لو غضبت عليك لما ذقتَ طعم الجنة أبداً؟!..

أخذ الشاب يجهش في البكاء كأنه طفل صغير! أحسّ في تلك الكلمات وكأنها صفةٌ على وجهه أيقظته من سبات عميق! انهال على وجه أمه يقبله؛ قبّل يديها، وقبّل رجليها.. فما شاهدت في حياتي منظرًا كهذا قط!..

لا تفعل يرحمك الله..

سمع أبو هريرة رضي الله عنه رسول الله ﷺ يقول:

«كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما..

فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك..

فقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك..

فتحاكما إلى نبي الله داود، ف قضى به للكبرى..

فخرجنا على سليمان بن داود، فأخبرناه فقال: ائتوني بالسكين أشقّه

بينهما!..

فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله! هو ابنها..

ف قضى به للصغرى»^(١).

فالأم الحقيقية هي الصغرى؛ لأنها رضيت أن يؤخذ ابنها منها طالما أنه سيبقى حياً سليماً!..

فقد ضحّت هذه الأم بفراق ابنها من أجل أن يبقى على قيد الحياة... وهذا بالطبع ما تريده كل أم.

أرأيت يا أخي! لو تكررت هذه القصة فيك مع أمك لما فعلت إلا ما فعلته هذه الأم!..

فهل حقاً نجازي أمهاتنا ولو بالكلمة الطيبة، بالقُبلة الحانية على جبينها، بتقبيل يديها، بطلب الدعاء منها كل صباح وكل مساء؟!..

هل نتفقُ حالها - إن كُنّا بعيدين عنها - ولو بكلمة على الهاتف أو الجوال؟! ..

هل نعطيه شيئاً من الراتب الشهري؛ مهما كان هذا الجزء قليلاً؟ ..

هل نفطن إلى حاجياتها وشؤونها؟! ..

حكى لي طبيب بيطري كان في زيارة منزلية للكشف على «فَرسٍ» لأحد الأثرياء، ولما انتهى من فحص الفرس أعطاه صاحب الفرس أتعاب «الكشفيّة» ما يعادل مئتي دولار، وقبل أن يخرج من المنزل نادى ابنُ صاحب الفرس: يا أبتِ إن جدتي - أمك - تئن من الألم من بطنها في الداخل؛ فهل نطلب لها الطبيب؟ ..

فماذا كانت إجابة الأب؟ .. هل قال لابنه: ائتها بأفضل طبيب في البلد مثلما فعل مع «الفرس»؟ هل ترك كل شيء ودخل يتفقّد حال أمه؟ لا والله! لقد قال بكل برودة وجفاء: خذها إلى (المستشفى الحكومي المجاني) في البلد! ..

بالطبع ليس هذا طعناً في المشافي الحكومية، ولكن لماذا يُنفق كلّ هذا المال على معاينة فَرَسه، ولا ينفق رُبعه على معاينة أمه عند طبيب اختصاصيّ؟! ..

لماذا يُسرّف هؤلاء على متاع الحياة الدنيا، ويخلون على أمهاتهم وأبائهم؟! ..

يقول شكسبير: لا توجد في العالم وسادةٌ أنعم من حضن الأم، ولا وردة أجمل من ثغرها! ..



«لا تغضب». . حديث شهير لرسول الله ﷺ، وإذا كنا نريد أن نحقق هذا الهدى النبوي الشريف، فلا بدّ لنا من معرفة أسرار الغضب، ولماذا نغضب؟.

وسبب الغضب - ببساطة شديدة - شعورنا بفقد السيطرة على أعصابنا في موقف أو حوار ما، أو أن هناك من يستفزنا أو يهيننا بكلمة أو تصرف أو موقف.

إذا ازدحم الطريق وتالت طوابير السيارات أمام الإشارة فلا تغضب؛ لأن غضبك لن يحوّل الإشارة الحمراء إلى خضراء، ولكنه يحرق أعصابك؛ يتسرّع نبضك، ويزيد ضغط الدم عندك. .

وإذا تأخرت عن موعد بسبب ازدحام السير؛ فلا تغضب، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل. . احرص على إعطاء نفسك وقتاً أطول في المرة القادمة للطريق الذي ستسلكه.

وإن غضبت لأنك شعرت بأن فلاناً من الناس قد انتقدك أو تكلم بنبرة قاسية معك، فأحسن الظن فيه، فربما كان يريد نصحك ولم يجد الأسلوب المناسب، أو أن نبرة كلامه المعتادة نبرة عالية وحادة.

يقول توماس كارليل: «حين نستشعر الغضب في نقاش ما؛ فعندئذ نتوقف عن البحث عن الحقيقة، ونكدح في سبيل تأييد الذات».

فإذا كنت في نقاش؛ ففتش عن الحق أيّاً كان. . ورحم الله الإمام الشافعي حيث قال: ما جادلتُ أحداً إلا تمنيتُ أن يُظهرَ الله الحقَّ على لسانه دوني! . .

يروى أن جارية لميمون بن مهران أته ذات يوم بوعاء فيه مرقّة حارة
وعنده ضيوف، فتعثّرت وانسكبت المرقّة عليه، فأراد ميمون أن يضربها.
فقالَت الجارية: يا مولاي استعمل قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾
قال لها: قد فعلتُ..

فقالَت: اعمل بما بعده: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.. فقال: قد عفوتُ
عنك..

فقالَت الجارية: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.. قال ميمون: قد أحسنتُ
إليك، وأنتِ الآن حرّة لوجه الله..

والرسول عليه الصلاة والسلام يبشّر الكاظمين الغيظ؛ فيقول: «من
كظم غيظاً وهو يقدر على أن يُنفذه، ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً»^(١).

فإذا تعوّدت أن تغضب من كل ما لا يرضيك، فلن تهدأ ثورة الغضب
عندك..

والذي يغضب عندما يُلام؛ يعني هذا اعترافاً منه بأنه يستحقّ ذلك
اللوم.

قال حكيم: ستتعلم الكثير من دروس الحياة؛ إذا لاحظت أن رجال
الإطفاء لا يكافحون النار بالنار!..



غَنَّتْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ!..

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»^(١)..

فَمَنْ مَاتَ مَلِيئاً بُعِثَ مَلِيئاً، وَمَنْ مَاتَ سَكَرَاناً بُعِثَ سَكَرَاناً..

وَلَكِنْ مَا بَالُ مَنْ غَنَّتْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ؟..

كَانَتْ إِحْدَاهُنَّ فِي الْمَسْتَشْفَى تَتَحَدَّثُ، تَتَحَرَّكُ.. يَقُولُ الدَّكْتُورُ عَبْدُ الْمُحْسَنِ الْأَحْمَدُ: كُنْتُ آخِرَ مَنْ كَشَفَ عَلَيْهَا، وَحِينَ نَزَعْتُ السَّمَاعَةَ مِنْ أُذُنِي وَإِذَا بِهَا تَقُولُ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ: اللَّهُ يَعَافِيكُمْ كَيْفَ نَتِيجَةُ التَّحَالِيلِ؟.. فَوَاللَّهِ لَقَدْ مَلَلْتُ مِنَ الْمَسْتَشْفَى؛ مَتَى أَخْرَجَ؟..

أَرْسَلْنَا تَحَالِيلَهَا إِلَى الْمُخْتَبَرِ فِي الْأَرْضِ..

وَأَرْسَلَ مَنْ فِي السَّمَاءِ: ﴿مَنْ يَدْرِيءَ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨] رَسُولاً لَا يَعْصِي لَهُ أَمراً؛ فَمَا هِيَ إِلَّا لِحَظَاتٌ..

الْعَيْنَةُ تُفَحِّصُ فِي الْمُخْتَبَرِ، وَمَلَكُ الْمَوْتِ عِنْدَهَا فِي الْغُرْفَةِ.. لِحَظَاتٍ وَأَنَا أَقْلَبُ فِي مَلَفِّهَا خَارِجَ الْغُرْفَةِ.

إِذَا بِالْمَرْمُضَةِ تَأْتِي مُسْرَعَةً فَزَعَةً.. دَخَلْتُ الْغُرْفَةَ، فَرَأَيْتُ فَتَاةً غَيْرَ الَّتِي رَأَيْتُ مِنْذُ لِحَظَاتٍ؛ اللَّوْنُ شَاخِبٌ، وَالْبَصَرُ خَاشِعٌ شَاخِصٌ.. الْأَطْرَافُ مَمْدُودَةٌ، وَالشِّفَاهُ تَرْتَعَشُ.. وَإِذَا بِنَبْضَاتِ الْقَلْبِ تَتَبَاطَأُ، وَضَغْطُ الدَّمِ يَهْبِطُ.. أَسْرَعَ الْأَطْبَاءَ لِإِنْقَازِ حَيَاتِهَا وَبَذَلُوا كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُونَ، خَشِيتُ أَنْ تُغْلَقَ الصَّحِيفَةُ بِغَيْرِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) كَمَا أُغْلِقْتُ صُحُفَ آخَرِينَ مِنْ قَبْلِهَا..

يقول الدكتور الأحمد: قلت لها: قللي: لا إله إلا الله ..

فإذا بالشفاه ترتعش كأن عليها جبلاً لا يتزحزح! ترتعش بلا أحرف! ..

كررتها الثانية .. الثالثة .. وإذا بالمرأة تعالج السكرات؛ بدأت أسمع حشرجة، وبعض الحروف تخرج ..

كررتها: لا إله إلا الله ..

فإذا بها تُغني بصوت متحشرج بعض كلماتٍ من إحدى الأغاني! ..

لم يدعها المَلَكُ تَكمَل، فخرجت الروح وهي تُغني ..

ماتت .. غنت قبل أن تموت ..

وتعرض يوم القيامة على الجبار مُغنية^(١) ..

والله! لو تصطرخ في كل يوم وتعض الأصابع وتبكي الدم: ربّ أخرجني، والله لا أسمع إلا ما يرضيك، ولا أرى إلا ما يرضيك، وأقوم الليل ولا أنام، وأصوم النهار حتى أموت .. هل ترجع؟! ..

﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩) ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].



لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مقتدراً

لا تظلم أحداً في حياتك ..

فإن كنتَ أباً، فلا تظلم أولادك ..

وإن كنتَ مسؤولاً، فلا تظلم مَنْ هم دونك ..

وإن كنتَ كبيراً، فلا تظلم مَنْ هم أصغر منك ..

ويحذّر رسول الله ﷺ من دعوة المظلوم؛ فيقول: «اتقوا دعوة المظلوم؛ وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب»^(١).

ويقول أيضاً: «المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يُسلمه»^(٢).

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له: إذا دعيتَ قدرتك إلى ظلم الناس، فاذكر قدرة الله عليك.

وقال معاوية: إني لأستحيي أن أظلم من لا أجِدُ له ناصرًا عليّ إلا الله.

وقال النجاشي: الملكُ يبقى مع الكفر، ولا يبقى مع الظلم ..

ويقول عليه الصلاة والسلام: «اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنَّك ولو بعد حين»^(٣).

يقول الشاعر:

لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مُقتدراً فالظلمُ آخره يُفضي إلى الندمِ

(١) صحيح الجامع (١١٩).

(٢) رواه البخاري.

(٣) السلسلة الصحيحة، للألباني (٧٨٠).

تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ
 قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسُّوْطِ، فَسَمِعْتُ
 صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ!..» فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ..
 قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي، إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَإِذَا بِهِ يَقُولُ: «اعْلَمْ أَبَا
 مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ..».

قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السُّوْطَ مِنْ يَدَيَّ..

فَقَالَ: «اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى الْغُلَامِ!».

قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا.

وَفِي لَفْظٍ: فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُوَ
 حَرٌّ لَوْجَهَ اللَّهِ تَعَالَى...

فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لِلْفَحْتِكَ النَّارَ، أَوْ لِمَسَّتْكَ النَّارُ»^(١).

فَإِيَّاكَ أَنْ تَضْرِبَ أَبْنَاءَكَ.. أَوْ خَدَمَكَ.. وَاحْذَرِ أَنْ تَظْلِمَ أَحَدًا مِنْ
 أَقْرَبَائِكَ..

يَقُولُ الشَّاعِرُ:

وُظِّلْتُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدَّ مُضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمَهْنَدِ



وهذه قصة واقعية؛ بعثت بها زوجة ضابط في الشرطة إلى جريدة الأهرام؛ تقول صاحبة القصة:

أنا زوجة، وأم لفتاة جامعية، ولابن متزوج، نعيش في أحد أحياء القاهرة حياة رغيدة، استعنتُ طوال حياتي الزوجية في تربية أولادي بالمربيّات.. لا أذكر عددهنَّ؛ فلم تكن تمكثُ إحداهنَّ أكثر من شهر أو شهرين بسبب قسوة زوجي العدواني؛ فقد كان يتفنن في تعذيب أي مربية تعمل عندنا!..

وقبل خمسة عشر عاماً جاءنا مزارع من أبناء بلدته يصطحب معه ابنته الطفلة ذات الأعوام التسعة لتعمل عندنا في البيت مقابل عشرين جنيهاً في الشهر، كانت تعمل منذ الصباح الباكر حتى منتصف الليل، تسقط هلكى من التعب وتستغرق في النوم، ولكن عند أي هفوة أو نسيان ينهال عليها زوجي ضرباً بقسوة شديدة!.. وكنتُ أشاركه التفنن في تعذيبها مثل ما قبلها من الخادmates!..

واستمرت الفتاة في تحمُّل العذاب في صمت وصبر، ولم تنم ليلة دون أن تبكي.

أما أبوها فقد انقطع عن زيارتها، وبدأ يرسل أحد أقاربه لاستلام أجرتها الشهرية، ولم ترَ أمها إلا في ثلاث مناسبات!.. واستمرت الفتاة معنا في حياتها الشقية، وشيئاً فشيئاً بدأنا نلاحظ أن الأكواب والأطباق تسقط من يديها، وأنها تتعثر كثيراً في مشيتها؛ أي: إنها أصبحت شبه كفيفة!.. ورغم ذلك كنّا لا نرحمها، وظلت تقوم بكل أعمال نظافة المسكن.

خرجت الفتاة ذات يوم من البيت بعد أن أصبحت كفيفة تقريباً ولم

تعد.. ولم نهتمَّ بالبحث عنها هذه المرة! ومضت السنون، وتزوج ابني من فتاة رائعة الجمال، واكتملت سعادتنا حين عرفنا أنها حامل.. وضعت مولودها؛ فإذا بنا نكتشف أنه كفيف لا يُبصر، وتحوّلت الفرحة إلى سحابة من الحزن القاتم!.. بدأت رحلتنا الطويلة مع الأطباء، ولكن دون جدوى.

قررت زوجة ابني ألا تحمل مرة أخرى خوفاً من تكرار الكارثة، لكن الأطباء طمأنوها أن هذا مستحيل؛ فلا قرابة بين الزوجين.. وحملت زوجة ابني مرة أخرى، وأنجبت طفلة شقراء، وتوقفت قلوبنا حتى زفّ لنا الطبيب بأنها ترى وتبصر.. وبعد سبعة أشهر، لاحظنا أن نظرها مُركّز في اتجاه واحد!.. عرضناها على اختصاصي العيون، فإذا بالصدمة الثانية أنها لا ترى إلا مجرد بصيص من الضوء، وأنها معرضة لفقد بصرها!.. رأى زوجي ذلك، فأصيب بالاكتئاب الشديد، فأدخلناه مصحة نفسية للعلاج.

أحسستُ بهوم الدنيا تطأ صدري بقسوة، وفجأة تذكرتُ الفتاة المسكينة التي هربت من جحيمنا كفيفة بعد أن أمضت معنا عشر سنوات.. ذقت خلالها أهوال الصعق بالكهرباء، والضرب، والحرمان.. سألتُ نفسي: هل هذا عقاب الله لنا على ما فعلنا بها؟!..

رحتُ أبحث عن تلك الفتاة في كل مكان؛ حتى عثرنا عليها تعمل خادمة بأحد المساجد، أحضرتها لتعيش معي ما بقي لي من أيامي.. وكما كانت سعيدة لإعادتها إلى بيتنا رغم كل قسوة الذكريات.. واستقرت الفتاة معنا، وأصبحت أرواحها وأخدمها هي وحفيديّ الكفيفين، أسأل الله أن يغفر لي ما كان.

وأقول لمن نضبت الرحمة من قلوبهم: إن الله حيٌّ لا ينام، فلا تقسوا على أحد؛ فسوف يجيء يوم تندمون فيه على ما فعلتم في قوتكم وجبروتكم!..

ماذا تريد من صديقك؟

تريد من صديقك أن يؤاخيكَ في الله؛ لا لمصلحة دنيوية ولا لغاية خاصة في نفسه! ..

تريد من صديقك ألا يجاملك في الحق إن أنت أخطأت، ولا يتردد في مواجهتك بالصواب ..

تريد من صديقك أن يحفظ سرَّكَ؛ فلا يفشيهِ لأحد من الناس ..

تريد من صديقك ألا يغتابك، ولا يتكلم عنك بسوء ..

تريد من صديقك أن يكون ظاهره كباطنه في كل الأمور ..

تريد من صديقك أن يساعدك عندما تحتاجه، ولا يتردد في ذلك أبداً ..

تريد من صديقك أن يتحمل تقلبات أخلاقك، ولكن من دون إفراط أو تفريط ..

اختر صديقاً أفضل منك خُلُقاً، وأوسع علماً وعقلاً؛ ليرفعك إليه بدلاً من أن تنحدر إليه ...

ويقول رسول الله ﷺ: «خياركم من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقهُ، ورغبكم في الآخرة عملهُ»^(١).

فتش عن الصالحين في كل مكان، اتخذ منهم صديقاً، ورحم الله الإمام الشافعي؛ حيث يقول:

أَحَبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَنْ أُنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةً
وَأَكْرَهُ مَنْ تَجَارَتْهُ الْمَعَاصِي وَلَوْ كُنَّا سِوَاءَ فِي الْبِضَاعَةِ
يَقُولُ لِقَمَانِ الْحَكِيمِ فِي وَصَايَاهُ:

يَا بَنِي! عَلَيْكَ بِمَصَادَقَةٍ مِنْ إِذَا مَاشَيْتُهُ زَانِكَ (أَي: إِذَا مَشَيْتَ مَعَهُ زَادَكَ
رَفْعَةً وَقَدْرًا) . . وَإِذَا غَبَّتْ عَنْهُ صَانِكَ . .

احرص على صحبة مَنْ إِذَا أَتَيْتَهُمْ أَعَانُوكَ، وَإِلَى الْخَيْرِ قَرَّبُوكَ، وَعَنِ
الشَّرِّ أَبْعَدُوكَ . . . احرص على صحبة الأخيار؛ فَإِنَّهُمْ عَوْنٌ لَكَ بَعْدَ اللَّهِ . .

وَلَقَدْ أَكَدْتُ الدِّرَاسَاتِ أَنَّ لِلصَّدِيقِ تَأْثِيرًا كَبِيرًا عَلَى صَدِيقِهِ؛ فَهُوَ الَّذِي
يُمْكِنُ أَنْ يَقُودَهُ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ فَيَزِدُّهُ إِيمَانًا وَصَلَاحًا، أَوْ يَقُودَهُ إِلَى طَرِيقِ
الضَّلَالَةِ وَالْفُسَادِ فَيَهْوِي بِهِ فِي الْمُهْلِكَاتِ؛ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يَخَالِلُ»^(١).



عيوبك في عين صديقك

وما أجمل أن يُهديك صديقك عيوبك؛ فتنبّه إليها وتُصلح نفسك! ..
ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: رحم الله امرأً أهدى إليَّ
عيوبي .

يقول أحدهم: أخُ لك كلما لقيكَ وجد عيباً فيكَ؛ خيرٌ لك من أخٍ
كلما لقيكَ وضع في يدك ديناراً .
أجل إنَّ مَنْ يُرشدك إلى عيوبك خيرٌ لك ممّن يُغرقك بالهدايا
والأموال ..

قال حاتم الأصم: إذا رأيتَ من أخيك عيباً ..
فإن كتمته عنه فقد خُتته ..
وإن قلته لغيره فقد اغتبهته ..
وإن واجهته به أوحشته ..

ولكن تَلطف في نصحه، ونعريفه بعيبه، فلا تفعل ذلك أمام الناس ..
يقول الإمام الشافعي: من وعظ أخاه سرّاً فقد نصحه وزانه، ومن
وعظه علانية فقد فضحه وشانه ..

يقول الشاعر:

تغمّدني بنصحك في انفرادي وجنبني النصيحة في الجماعة
فإنَّ النصيحَ بينَ الناسِ نوعٌ مِنَ التَّوبِخِ لا أرضى استِماعه
ويقول ليوناردو دافنشي: «لَمْ صديقك سرّاً، ولكن مجّده أمام
الآخرين» .

واحفظ عرض أخيك؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «من ذَبَّ
عن عرض أخيه؛ ردَّ الله عنه عذاب النار يوم القيامة»^(١).

وبالطبع لا بدَّ من أن تصفح عن هفوات صديقك حتى لا تخسره..
يقول أحد الشعراء:

أَغْمَضُ لِلصَدِيقِ عَنِ الْمَسَاوِي مَخَافَةً أَنْ أَعِيشَ بِبَلَا صَدِيقٍ
قيل لخالد بن صفوان: أيُّ إخوانك أحبُّ إليك؟

قال: الذي يغفرُ زللي، ويقبلُ عللي، ويسدُّ خللي!..

ويقول سقراط: من السهل جدًّا أن تضحِّي من أجل صديقك، ولكن
الصعوبة أن تجد الصديق الذي يستحق هذه التضحية!..



(١) صحيح الترغيب، للألباني (٢٨٤٨).



احذِرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّةٍ

لا تُفْرِطْ فِي الثِّقَةِ بِالْأَصْدِقَاءِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ قُدْرَةُ عَلَى إِيْذَانِكَ هُوَ ذَاكَ الصَّدِيقُ الَّذِي انْقَلَبَ عَدُوًّا لَكَ؛ فَقَدْ أَوْدَعَتْهُ أَسْرَارُكَ وَهَمُومُكَ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِفْشَائِهَا بَيْنَ النَّاسِ؛ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

احْذِرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً واحذِرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّةٍ
فَلَرَبِّمَا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ يَتُّ فَكَانَ أَعْلَمَ بِالْمَضَرَّةِ

ويقول ابن المقفع: من أعظم الغلط الثقة بالناس، والاسترسال بالأصدقاء؛ فإن أشدَّ الأعداء وأكثرهم أذى الصديق المنقلب عدوًّا؛ لأنه قد أطلع على خفي السرِّ!..

يقول عليه الصلاة والسلام: «أحبُّ حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»^(١).

لا تُعْنِ أَخَاكَ عَلَى أَخِيكَ فِي خُصُومَةٍ؛ فَإِنَّهُمَا يَصْطَلِحَانِ عَنْ قَلِيلٍ، وَتَكْتَسِبُ الْمَذْمَةَ!.. يَقُولُ الشَّاعِرُ:

كَمْ صَاحِبٍ عَادِيَّتُهُ فِي صَاحِبٍ فَتَصَالِحَا وَبَقِيَتْ فِي الْأَعْدَاءِ

ولقد وصَّى حكيم ابنه فقال: يَا بَنِيَّ اصْحَبْ مَنْ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَمْسَةً؛ فَإِيَّاكَ أَنْ تَصْحَبَهُمْ:

لا تَصْحَبَنَّ كَذَاباً؛ فَإِنَّ الْكَذَّابَ كَلَامُهُ كَالسَّرَابِ يَبْعُدُ الْقَرِيبَ وَيَقْرُبُ الْبَعِيدَ..

ولا تصحبنَّ أحمقاً؛ فإنَّ الأحمق يرى أنه ينفعك، وهو يضرُّك ..
 ولا تصحبنَّ طماعاً؛ فإنه يبيعك بأكلة أو شربة ..
 ولا تصحبنَّ بخيلاً؛ فإنَّ البخيل يرُدُّك عندما تكون بحاجة إليه ..
 ولا تصحبنَّ جباناً، فإنه يخذلك عند الشدائد ..

ويقول آخر: لا خير في صحبة من تجتمع فيه هذه الخصال:
 مَنْ إذا حدَّثك كذبك، وإذا ائتمنته خانك، وإذا ائتمنتك اتَّهمك، وإذا
 أنعمت عليه كفَّرك، وإذا أنعم عليك منَّ عليك ...
 وأقول: لا خير فيمن توجد فيه إحدى هذه الخصال؛ فلا تنتظر حتى
 تكتشف في صديقك كل هذه الخصال.

وحذّر لقمان ابنه من مجالسة الفجار فقال: يا بني لا تجالس الفُجَّار،
 ولا تماشيهم، واتق أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبك منهم، وجالس
 الفضلاء والعلماء؛ فإنَّ الله يحيي القلوب الميتة بالفضيلة كما يحيي الأرض
 بوابل المطر ..

ألم يغفر الله تعالى لعبد خطَّاء مرَّ فجلس مع قوم يذكرون الله؟! ..
 فيقول تعالى في الحديث: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»^(١).



ليحذر الشاب أن يقع في مستنقع اللواط ..

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ»^(١).

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ: لو أَنَّ لُوطِيًّا اغْتَسَلَ بِكُلِّ قَطْرَةٍ مِنَ السَّمَاءِ لَقِيَ رَبَّهُ غَيْرَ طَاهِرٍ.

وعن علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللهُ، قال: من أمكن من نفسه يُفعل به، طرح الله عليه شهوة النساء.

وقال علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللهُ: إذا استغنى الرجل بالرجل، والنساء بالنساء، كان الخسف، والمسوخ، والقذف من السماء.

ولم يثبت عن رسول الله ﷺ أنه قضى في هذه الجريمة؛ لأنه عمل لم تعرفه العرب، ولكن ثبت عنه رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: «اقتلوا الفاعل والمفعول به»^(٢).

وحكم به أبو بكر الصديق رَحِمَهُ اللهُ، وكان علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللهُ أشدّ الصحابة في الحكم عليه؛ فقد ثبت عن خالد بن الوليد رَحِمَهُ اللهُ: أنه وجد في بعض نواحي العرب رجلاً يُنكح كما تُنكح المرأة، فكتب إلى أبي بكر الصديق رَحِمَهُ اللهُ، فاستشار أبو بكر الصحابه رَحِمَهُ اللهُ؛ فكان علي بن أبي طالب أشدهم قولاً فيه، فقال: ما فعل هذا إلا أمة من الأمم واحدة؛ وقد علمتم ما فعل الله بها، أرى أن يُحرق بالنار.. فكتب إلى خالد، فحرقه.

(١) أخرجه الترمذي، وأحمد، وابن ماجه.

(٢) رواه الأربعة.

يقول رسول الله ﷺ: «ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرّون على أن يغيروا ثم لا يغيروا، إلا يوشك أن يعمّهم الله بعقاب»^(١).

وقال النبي ﷺ: «إن الله ﷻ لا يعذب العامة بعمل الخاصة؛ حتى يروا المنكر بين ظهرائهم وهم قادرّون على أن ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة»^(٢).

ولقد حسم النبي ﷺ هذه الحقيقة في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: أن رسول الله ﷺ، قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»^(٣).

وفي صحيح مسلم: أن النبي ﷺ، قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون؛ فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»^(٤).



(١) رواه أبو داود.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، وإسناده حسن.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم.

وصية والد لولده عند الزواج

أي بني! إنك لن تنال السعادة في بيتك إلا بعشر خصال تمنحها لزوجك؛ فاحفظها عني واحرص عليها:

أما الأولى والثانية: فإنّ النّساء يحبّبن الدلال، ويحبّبن التصريح بالحب، فلا تبخل على زوجتك بذلك؛ فإنّ بخلت جعلت بينك وبينها حجاباً من الجفوة ونقصاً في المودة.

وأما الثالثة: فإنّ النّساء يكرهنّ الرجل الشديّد الحازم، ويستخدمن الرجل الضعيف اللين؛ فاجعل لكل صفة مكانها؛ فإنّه أدعى للحب وأجلب للطمأنينة.

وأما الرابعة: فإنّ النّساء يُحبّبن من الزوج ما يحبّ الزوج منهنّ من طيب الكلام، وحسن المنظر، ونظافة الثياب، وطيب الرائحة؛ فكن في كل أحوالك كذلك.. وتجنب أن تقترب من زوجتك - تريدها نفسك - وقد بلل العرق جسدك، وأدرن الوسخ ثيابك؛ فإنّك إن فعلت جعلت في قلبها نفوراً، وإن أطاعتك فقد أطاعك جسدها ونفر منك قلبها.

أما الخامسة: فإنّ البيت مملكة الأنثى، وفيه تشعر أنّها متربّعة على عرشها، وأنها سيدة فيه؛ فإنّك أن تهدم هذه المملكة التي تعيشها!..

وإنّك أن تحاول أن تزيجها عن عرشها هذا، فإنّك إن فعلت نازعتها ملكها، وليس لملك أشدّ عداوةً ممن ينازعه ملكه وإن أظهر له غير ذلك.

أما السادسة: فإنّ المرأة تحبّ أن تكسب زوجها ولا تخسر أهلها، فإنّك أن تجعل نفسك مع أهلها في ميزان واحد؛ فإنّك أنت وإمّا أهلها؛ فهي وإن اختارتك على أهلها فإنّها ستبقى في كمدٍ تُنقل عدّواه إلى حياتك اليومية.

أما السابعة: فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ، وَهَذَا سِرُّ الْجَمَالِ فِيهَا وَسِرُّ الْجَذْبِ إِلَيْهَا، وَلَيْسَ هَذَا عَيْباً فِيهَا «فَالْحَاجِبُ زَيْنَةَ الْعَوْجِ»! فَلَا تَحْمِلْ عَلَيْهَا إِنْ هِيَ أَخْطَأَتْ حَمَلَةً لَا هَوَادَةَ فِيهَا، تَحَاوِلْ تَقْيِيمَ الْمَعْوَجَ، فَتَكْسِرْهَا؛ وَكْسِرُهَا طَلَاقُهَا، وَلَا تَتْرَكْهَا إِنْ هِيَ أَخْطَأَتْ حَتَّى يَزْدَادَ اعْوِجَاجُهَا وَتَتَفَوَّقَ عَلَى نَفْسِهَا، فَلَا تَلِينَ لَكَ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَا تَسْمَعْ إِلَيْكَ، وَلَكِنْ كُنْ دَائِماً مَعَهَا بَيْنَ بَيْنٍ.

أما الثامنة: فَإِنَّ النِّسَاءَ جُبِلْنَ عَلَى كُفْرِ الْعَشِيرِ وَجُحْدَانِ الْمَعْرُوفِ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ لِأَحَدَاهُنَّ دَهْرًا ثُمَّ أَسَأْتَ إِلَيْهَا مَرَّةً؛ قَالَتْ: مَا وَجَدْتَ مِنْكَ خَيْرًا قَطْ؛ فَلَا يَحْمِلُكَ هَذَا الْخُلُقُ عَلَى أَنْ تَكْرَهَهَا وَتَنْفِرَ مِنْهَا؛ فَإِنَّكَ إِنْ كَرِهْتَ مِنْهَا هَذَا الْخُلُقَ رَضِيتَ مِنْهَا غَيْرَهُ..

أما التاسعة: فَإِنَّ الْمَرْأَةَ تَمُرُّ بِحَالَاتٍ مِنَ الضَّعْفِ الْجَسَدِيِّ وَالتَّعَبِ النَّفْسِيِّ؛ حَتَّى إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَسْقَطَ عَنْهَا مَجْمُوعَةً مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي افْتَرَضَهَا فِي هَذِهِ الْحَالَاتِ؛ أَسْقَطَ عَنْهَا الصَّلَاةَ نَهَائِيًّا فِي حَالَةِ الْحَيْضِ وَفَتْرَةِ النَّفَاسِ، وَأَنْسَأَ لَهَا الصِّيَامَ خِلَالَهُمَا حَتَّى تَعُودَ صِحَّتُهَا وَيَعْتَدِلَ مَزَاجُهَا.. فَكُنْ مَعَهَا فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ رَبَانِيًّا؛ كَمَا خَفَّفَ اللَّهُ ﷻ عَنْهَا فَرَائِضَهُ، أَنْ تَخَفَّفَ عَنْهَا طَلِبَاتُكَ وَأَوَامِرُكَ.

أما العاشرة: فَاعْلَمْ أَنَّ الْمَرْأَةَ أَسِيرَةٌ عِنْدَكَ، فَارْحَمْ أَسْرَهَا، وَتَجَاوَزْ عَنْ ضَعْفِهَا؛ تَكُنْ لَكَ خَيْرُ مَتَاعٍ وَخَيْرُ شَرِيكَ.. وَالسَّلَامُ.



رسالة إلى مَنْ تَخَلَّى عن أبُوْتِهِ

بعض الآباء ينصرف عن زوجه وأبنائه إلى لهوه وأصدقائه! ..

أيها الزوج الكريم! ما لك تفرّ من زوجك وعيالك؟! ما لك تحجب نور عينيك عن أعينهم؛ فلا يرونه حتى في حلقة المساء؟! ..

الكلّ يفتقد وجودك المؤنس لهم؛ تُقبّل الصغير، وتوجّه الكبير، وتمازح الزوجة الملهوفة إلى ضحكائك.

أهملتَ حقوقاً لهم عليك، وظننتَ أنك قد أنجزت مهمتك بإغراقهم بالمأكّل والملبس. . نحن لا ننكر هذا الفضل، بل أنت مشكور عليه، ولكن هناك غذاء آخر هم محتاجون إليه. . إنه غذاء الروح.

لا تنسَ أيها الأب الكريم، أن أسرتك من دون راع، قد تأكلهم أطماع الطامعين، ولا تظننّ أن الجسد يحيا من دون رأس؛ فأنت في العائلة كالرأس من الجسد، إن غاب عنه ارتحلت عنه الروح وفارقتة الحياة.

لا تقسُ على رعاياك الصغار الذين لا حول لهم ولا قوة، وتذكر: أن كل راعٍ مسؤول عن رعيته يوم القيامة.

ألا ترى أنك تلقي كامل المسؤولية على الزوجة المسكينة؛ تجبرها على تحمّل أعباء التربية لوحدها؟! ..

أرجوك! عُد إلى جِمْى بيتك الضائع من دونك، وقبل ذلك عُد إلى ربك وتب من عصيانك؛ قف بمحراب الصلاة، وتهجد في ظلمة الليالي لتحيا الإيمان في قلبك وتنشع الرحمة في كيانك.

كلمة أخيرة أبثها إليك من حرقه الأسى الذي يلسعني كلما رأيت الحزن والشوق في عيون أطفالك وفي صدر زوجتك: ارحم مَنْ في الأرض

يرحمك مَنْ في السماء، تقَرَّبْ إلى ربك الذي أعطاك خيراً ولم تؤدِّ فيه شكراً ولا اهتماماً، أدُرْتَ ظهرك للنعم، وتركت أسرتك تتخبط من غير هُدى^(١).

وهذه قصة رجل ذهب إلى عمله صباحاً مخلفاً الزوجة والأولاد، فقام أحدهم بعبث وشقاوة الأطفال وأخذ سكيناً يلعب به؛ فخرق كنباً وكرسيّاً هناك.. جاء الأب من عمله، وعندما رأى ما فعل الأطفال؛ غضب جداً؛ أخذ أكبرهم وربطه من يديه ورجليه بالحبال وأوثقه بشدة..

ظلَّ الطفل يبكي ويتوسَّل، ولكن دون جدوى.. مع أبٍ أعماه الغضب.. حاولت الأم إطلاق ابنها؛ فقال الأب: إن فعلتِ فأنت طالق.

وظلَّ الطفل يبكي ويبكي حتى أعياه البكاء، فاستسلم إلى ما يشبه النوم العميق.. بدأ لون أطرافه يتغير ويتحوَّل إلى اللون الأزرق..

خاف الأب ففكَّ قيد الطفل، ثم سارع بنقله إلى المستشفى فقد كان في غيبوبة.. قرر الأطباء أنه لا بد من بتر أطراف يديه ورجليه؛ فقد أصيب بنقص شديد في التروية في أطرافه..

قررُوا البتر فوقَّع الأب على القرار وهو يبكي ويصيح!..

كانت المصيبة عندما خرج الابن من العملية؛ أخذ ينظر إلى أبيه ويقول: أبي.. أبي.. أعطني يديّ ورجليّ.. وأقسم أنني لن أعود مرة أخرى إلى مثل هذا العمل!..



الشيخ الوقور.. وركاب القطار (١)

هل سمعتم بقصة الشيخ الوقور وركاب القطار؟ ..

قصة شائعة ومعبرة، وخاصة بكل واحد منا! ..

فأنا وأنت وهو وهي قد عايشناها لحظة بلحظة! ..

حصلت هذه القصة في أحد القطارات .. ففي ذات يوم أطلقت صافرة القطار مؤذنة بموعد الرحيل، صعد كل الركاب إلى القطار فيما عدا شيخ وقور وصل متأخراً، لكن من حسن حظه أن القطار لم يفتحه .. صعد ذلك الشيخ الوقور إلى القطار، فوجد أن الركاب قد استحوذوا على كل مقصورات القطار .. توجه إلى المقصورة الأولى، فوجد فيها أطفالاً صغاراً يلعبون مع بعضهم، فأقرأهم السلام .. تهللوا لرؤية ذلك الوجه الذي يشع نوراً، وتلك الهيبة والوقار: أهلاً أيُّها الشيخ الوقور! .. فسألهم إن كانوا يسمحون له بالجلوس ..

فأجابوه: مثلك نحملة على رؤوسنا .. ولكن! ولكن نحن أطفال صغار في عمر الزهور نلعب ونمرح مع بعضنا، ونخشى ألا تجد راحتك معنا ونسبب لك إزعاجاً، كما أن وجودك معنا قد يقيد حريتنا، اذهب إلى المقصورة التي بعدنا فالكلُّ يود استقبالك ..

توجه الشيخ الوقور إلى المقصورة الثانية، فوجد فيها ثلاثة شبان يغنون ويرقصون، فأقرأهم السلام .. رحبوا به وأبدوا سعادتهم برؤيته: أهلاً بالشيخ الوقور! .. فسألهم إن كانوا يسمحون له بالجلوس ..

فأجابوه: لنا كل الشرف بمشاركتك لنا في مقصورتنا .. ولكن! ولكن كما ترى نحن في نزهة نريد أن نقضيها بالغناء والرقص، ونخشى أن

نزعجك أو ألا ترتاح معنا، توجه إلى المقصورة التي تليها... فكل من يرى وجهك الوضاء يتوق لنيل شرف جلوسك معه...

أمري إلى الله.. توجه الشيخ الوقور إلى المقصورة التالية، فوجد شاباً وزوجته يبدو أنهم في شهر العسل.. كلمات رومانسية، ضحكات، مشاعر دفاقة بالحب والحنان.. أقرأهما السلام.. فتهللوا لرؤيته: أهلاً بالشيخ الوقور!.. فسألهما إن كانا يسمحان له بالجلوس معهما في المقصورة..

فأجاباه: مثلك نتوق لنيل شرف مجالسته.. ولكن! ولكن كما ترى نحن زوجان في شهر العسل، جوّنا رومانسي، شبابي.. نخشى ألا تشعر بالراحة معنا، أو أن نتخرج من متابعة همساتنا أمامك.. كل من في القطار يتمنى أن تشاركهم مقصورتهم..

توجه الشيخ الوقور إلى المقصورة التي بعدها، فوجد شخصين في أواخر الثلاثينيات من عمرهما، معهما خرائط أراضي ومشاريع، ويتحدثان حول أسعار البورصة والأسهم، والخطط المستقبلية لتوسيع تجارتها.. فأقرأهما السلام.. فتهللا لرؤيته، فسألهما: إن كانا يسمحان له بالجلوس..

فقالا له: لنا كل الشرف في مشاركتك لنا.. ولكن! - يا لها من كلمة مدمرة تنسف كل ما قبلها - كما ترى نحن في بداية تجارتنا، وفكرنا مشغول بالتجارة والمال وتحقيق ما نحلم به من مشاريع.. حديثنا كله عن التجارة والمال، ونخشى أن نزعجك أو ألا تشعر معنا بالراحة، اذهب إلى المقصورة التي تليها؛ فكل ركاب القطار يتمنون مجالستك... وهكذا حتى وصل الشيخ إلى آخر مقصورة..

الشيخ الوقور.. وركاب القطار (٢)

وجد الشيخ الوقور في المقصورة الأخيرة عائلة مكونة من أب وأم وأبنائهم.. لم يكن في المقصورة أيّ مكان شاغر للجلوس؛ قال لهم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردوا عليه السلام، ورحبوا به: أهلاً أيها الشيخ الوقور..

وقبل أن يسألهم السماح له بالجلوس، طلبوا منه أن يتكرّم عليهم ويشاركهم مقصورتهم.. محمد اجلس في حضن أخيك أحمد، أزيحوا هذه الحقائب عن الطريق، تعال يا عبد الله اجلس في حضن والدتك، أفسحوا مكاناً له.. حمد الله ذلك الشيخ الوقور، وجلس على الكرسي بعد ما عاناه من كثرة السير في القطار..

وعندما توقف القطار في المدينة المنشودة؛ دُهِش كل الركاب للحشود العسكرية والورود والاحتفالات التي زينت محطة الوصول، ولم يلبثوا حتى صعد ضابط عسكري ذو رتبة عالية جداً، وطلب من الجميع البقاء في أماكنهم حتى ينزل ضيف الملك من القطار؛ لأن الملك بنفسه جاء لاستقباله.. ولم يكن ضيف الملك إلا ذلك الشيخ الوقور.. وعندما طلب منه النزول رفض أن ينزل إلا بصحبة العائلة التي استضافته، وأن يكرمها الملك.. فوافق الملك واستضافهم في الجناح الملكي لمدة ثلاثة أيام؛ أغدق فيها عليهم من الهبات والعطايا، وتمتعوا بمناظر القصر المنيف، وحدائقه الفسيحة..

هنا تحسّر الركاب على أنفسهم أيّما تحسّر.. هذه هي حسرتهم العظمى يوم لا تنفع حسرة..

والآن مَنْ هو الشيخ الوقور؟ ولماذا قلت في بداية سرد القصة: وكم

هي خاصة بكل واحد منّا! فأنا وأنت وهو وهي قد عايشناها لحظة بلحظة؟..

لم يكن الشيخ الوقور إلا الدين..

إبليس توعّد بإضلالنا، ولكنه أيقن أنه لو حاول أن يوسوس لنا بأن الدين شيء سيّئ، أو أنه لا نفع منه؛ فلن ينجح في إبعادنا عن الدين، وسيفشل حتماً.. ولكنه أتاننا من باب التسويف..

آه ما أجمل الالتزام بالدين! ولكن ما زالوا أطفالاً.. ما زالوا شباباً يجب أن يأخذوا نصيبهم من اللهو والمرح، وعندما يكبرون يلتزمون بالدين..

التسويف هو داء نعاني منه في أمورنا كلها، نؤمن بالمثل القائل: «لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد» ولكننا لا نطبّق ما نؤمن به على أرض الواقع؛ لذا نفشل في بناء مستقبلنا في الدنيا كما في الآخرة..

فالعمر يمضي ونحن نردد: غداً سأفعل.. سأفعلها ولكن بعد أن أفرغ من هذا.. ما زلت صغيراً؛ إذا كبرت سأفعلها.. بعد أن أتزوج سألتزم بالدين.. بعد أن أتخرّج.. بعد أن أحصل على وظيفة.. بعد أن.. بعد أن..

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ أَلْهَكُمُ الْكَاثِرُ ﴿٢﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿التكاثر: ١ - ٨﴾.

أَيُّكُون صَاحِبُ الْمَالِ زَاهِدًا؟..

يظن بعض الناس أن الزهد هو أن تترك الدنيا، وتجلس في صومعة بعيداً عن الناس.

قيل لسفيان الثوري: أيكون صاحب المال زاهداً؟.

قال: نعم؛ إذا كان إن زيدَ في مالِه شكرًا!.. وإن نَقَصَ شكر وصبر!..

يقول علي عليه السلام: لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله تعالى؛ فهو زاهد!.. ولو أنه ترك الجميع ولم يُرِدْ به وجه الله تعالى؛ فليس بزاهد!..

● جاء ملك إلى زاهد وقال له: علمتُ عن شدة زهدك فأتيتك.

فقال له الزاهد: ألا أدلك على مَنْ هو أزهد مني؟.

قال: بلى. قال: أنت.. لأنني زهدتُ في الدنيا الفانية، وزهدت أنت في الجنة الباقية!..

فهل نزهد في جنة الخلود من أجل متاع بسيط؛ من أجل زيادة في المال من حرام، أم من أجل متعة ساعة في الحرام؟!.

بالطبع لا نريد أن نترك الدنيا للكافرين، لا نريد لهم أن يتفوقوا علينا في العلوم والاختراعات والاقتصاد والإعلام وشتى المعارف.. ولكن نريدها كلها مسخرة لله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْمَالِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

● رأى الخليفة هشام بن عبد الملك سالم بن عبد الله بن عمر عند الكعبة، فقال له: سلني حاجتك..

فقال: والله إني لأستحيي أن أسأل في بيته غيره..

فلما خرج من المسجد قال هشام: الآن خرجت من بيت الله، فاسألني..

فقال: من حوائج الدنيا أم الآخرة؟

قال: من حوائج الدنيا..

فقال سالم: ما سألتها مَنْ يملكها؛ فكيف أسألها من لا يملكها؟!..

● سئل أحد الصالحين عن من يترك أكل اللحم والبيض والطيبات زهداً في الدنيا..

فقال: ما للزهد وترك الطيبات؟! فليتركْ تأكل ما تشاء، وتتقي الله حق تقواه..

فالله لا يكره أن تأكل من الحلال إنْ أنتَ اتقيت الحرام، ولا يكره لك الطيبات - بالطبع من دون إسراف - إنْ أنتَ تجنبت محارم الله..

انظر إلى برك بوالديك، إلى صلتك للأرحام، هل تعطف على جارك؟ هل تساعد المساكين؟ هل تكظم غيظك إنْ غضبت وتُحسن إلى مَنْ أساء إليك؟ هل تصبر على البلاء وتشكر الله في النعماء؟... فأنتَ إلى كل تلك الخصال الحميدة أحوج من أن تأكل أو تترك الطيبات من الطعام.



كيف تجعل منزلك على طريق الهدى والصلاح؟.

كيف يكون منزلك طريقاً إلى الجنة؟.

١ - اشترِ أو استأجر بيتاً قريباً من المسجد؛ فذلك يشجّعك على حضور الصلوات في جماعة..

٢ - تعرّف على جيرانك قبل أن تسكن المنزل؛ فإن كانوا صالحين فاحرص على البيت وإن كان أغلى كلفة؛ فالجار السوء يمكن أن ينكّد عيشك، وينغصص عليك حياتك..

٣ - لا تجعل نوافذك - إن كنت تبني منزلاً - تُشرف على بيوت جيرانك، واحرص على عرضهم مثلما تحرص على عرضك..

٤ - اجعل للنساء باباً وللرجال باباً - إن أمكن - واحرص على ألا يكون هناك اختلاط بين الرجال والنساء..

٥ - لا تبالغ في الزخرفة، ولا تتطاول في البنيان، ولا تسرف في زينة بيتك..

٦ - اجعل في بيتك مكاناً مسجداً تصلي عنده..

٧ - لا تُكثر من الأثاث الذي لا تحتاجه؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام يحذّر مما زاد على الحاجة من الفراش واللباس؛ إذ يقول: «فراش للرجل، وفراش لامرأته، وفراش للضيف، والرابع للشيطان»^(١).

٨ - اجعل لكلّ من أبنائك فراشاً خاصاً، ولا تجعلهم يختلطون أثناء النوم؛

فالرسول ﷺ يقول: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع»^(١).

٩ - لا تغيّر أثاث المنزل إلا إذا احتجتَ إلى تغييره؛ فبعض الناس يغيّر أثاثه كل سنة أو أقل؛ وهذا من الإسراف الممقوت..

إذا شعرتَ بالملل من الأثاث؛ فغيّر مكانه وموضعه يعطيك منظرًا آخر^(٢)..

١٠ - إياك أن تضع أكثر من تلفاز واحد، لا تضع (دشاً) لابنك في غرفته؛ فإن ذلك يجعله مدمناً على الفضائيات..

١١ - اجعل الحاسوب في مكان مفتوح يستطيع الكل أن يراه..

١٢ - خصص مكاناً - مهما كان صغيراً - للمكتبة، تكون في متناول اليد.

وأخيراً: املأ بيتك بالحب والعطف والحنان لزوجك وأبنائك وبناتك، وسَلِ الله تعالى أن يديم على أهل بيتك سعادة الدارين...



(١) رواه أبو داود، وأحمد.

(٢) خطوة خطوة نحو الهدف، (بتصرف).

لَمْ يُسْرِفُوا.. وَلَمْ يَنْفَقُوا

هذه صفة من امتدحهم الله تعالى عندما ينفقون: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

فالاعتصام هو التوسط بين التقتير والتبذير، فلا يجاري المرء من هو أغنى منه في إسرافه وبذخه، فيصبح أسيراً للديون المتراكمة، ويحتقره كل من رأى صنيعه!..

ولا يبخل في الإنفاق على نفسه وأهله، أو يشح بالإحسان على البائسين والمحتاجين؛ فيكون عرضةً إلى ضرر أطماعهم، ويعيش بلا راحة أو اطمئنان!..

ويكفي المقتصد فخراً أن يعيش عزيز النفس؛ محبوباً عند الله، مبعجلاً عند الناس؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

أعرف أشخاصاً يتقاضون راتباً كبيراً جداً.. وما تأتي نهاية الشهر إلا وأحدهم لا يجد في يده شيئاً من راتبه!.. فأتعجب أين ينفقون كل تلك الأموال؟!..

قال تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا ۖ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٧].

يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد!..

وقال معاوية رضي الله عنه: ما رأيت تبذيراً إلا وإلى جنبه حق مضيع.

ألا يعلم أولئك المبذرون والشحيحون أن هناك أناساً مسلمين يموتون من الجوع في كل يوم؟!..

وقد يقول قائل: «هؤلاء بعيدون عَنَّا».. ولكن؛ أليسوا إخوة لنا في الإسلام؟! ألسنا مسؤولين عنهم يوم القيامة؟! ثم أليس في بلادنا مَنْ لا يدخل بيته قطعة من اللحم إلا كل حين؟! بل ربما لا يدخله اللحم أبداً!..

أتى قومٌ قيسَ بن عبادَةَ يسأَلونه شيئاً من المال، فصادفوه في بستانه يتبع ما سقط من الثمار على الأرض، فيعزل جيده ورديته!..

وحين فرغ من ذلك كلّموه في شأنهم، فأعطاهم المال الذي طلبوه، فتعجّبوا من صنيعه، وقال بعضهم: صنيعةٌ هذا منافٍ لترقيع عيشك!.. ظناً منهم أنه بخيل يقتّر على نفسه! فقال: بما رأيتم من فعلي أمكنني أن أقضي حاجتكم!..

يقول عليه الصلاة والسلام: «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم»^(١).

قال أحد الفضلاء: من ربّى ابنه على الاقتصاد؛ أفاده أكثر من أن يخلف له ثروة وفيرة!..



اغرس في أبنائك مكارم الأخلاق (١)



انظر إلى أخلاق ولدك أو ابنتك، تعهّدهما بالرعاية والصيانة من كل سوء، ادعُ الله لهما دوماً بالهداية والتوفيق، ارضَ عنهما . . واسأل الله أن يحفظهما من كل مكروه . .

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمته الله:

«الأب الجاهل يفرح بجمال ولده، ولا يبالي بقبح أخلاقه . .

والأب العاقل يفرح بأخلاق ولده، وإن كان من أقبح الناس . .».

فالأطفال كالإسمنت المبلل، أيُّ شيء يسقط عليه يترك أثراً . . فانتبه إلى تصرفاتك، إلى حديثك؛ فكل كلمة وكل عمل أو فعل سوف يؤثر في أبنائك وبناتك .

وبعض الأطفال يكره المدرسة، ولا يريد أن يتعلّم، ولا بدّ من تحبيب الطفل بالعلم والدراسة بشتى الوسائل . . أخبره كيف يصير في المستقبل عندما يتعلّم . . أعطه مثلاً من أقاربه الناجحين . .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «مَنْ لم يجلس في الصغر حيث يكره، لم يجلس في الكبر حيث يحبُّ» . . فلا نجاح في الحياة إلا بالعلم والعمل .

وإليك بعض النصائح لتغرس في أبنائك مكارم الأخلاق:

١ - كن صادقاً كل الصدق مع أولادك، أجب على أسئلة أولادك ببساطة وصدق، وشجّع أولادك على الصدق، واحذر الطريقة الفظة بإمساكهم متلبّسين بالكذب! . . وعند مشاهدة مشهد في التلفاز، أوضح لأبنائك النتائج المترتبة على الخداع والغش والسرقة .

إذا كسر أحد أبنائك إنياء في البيت فلا تسأل بلهجة ساخطة: «من فعل هذا؟» فاللهجة الساخطة تدفع الصغير إلى الكذب، وأفضل من هذا أن تقول: «سيتضح لي مَنْ كسر الإنياء، وسأكون مسروراً من قول الحق».

ذكر أبنائك بقول رسول الله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»^(١).

وقوله ﷺ: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»^(٢).

٢ - امدح أطفالك على كل محاولة فيها جرأة حميدة.. كافئ أقل بادرة للشجاعة فيهم حتى ولو بدرت في السنوات الأولى.

أظهر الشجاعة أمام أطفالك وتحدث عنها، ولتكن شخصيتك نموذجاً لهم، ويحسن بك أن تخبر أطفالك بالصعوبات التي مرّت في حياتك دون تبجّح، بل بطريقة نزيهة تجعلهم يعلمون أن هناك أشياء صعبة حتى على الناس الكبار.

علّمهم أن الشجاعة هي أن تفعل ما هو صحيح وضروري، أن تبادر إلى عون الآخرين، أن تفكر باتخاذ القرار الصحيح قبل مواجهة الموقف، وأن تستعين بالله قبل الشروع في أي عمل.



(١) صحيح الترغيب، للألباني (٣٠٠٤).

(٢) رواه أبو داود، صحيح أبي داود (٣٥٣٥).

اغرس في أبنائك مكارم الأخلاق (٢)



٣ - ذَكَرْ أولادك بالمبدأ القرآني: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

عَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ لَوْ اتَّبَعُوا هَذَا الْمَبْدَأَ لَمَا كَانَتْ هُنَاكَ خُصُومَاتٌ وَمُحَاكِمَاتٌ، وَلَا نِزَاعَاتٌ وَمُشَاجِرَاتٌ..

عَلِّمُهُمْ أَنَّ مَعَامَلَةَ النَّاسِ تَحْتَاجُ إِلَى تَوَاضُعٍ، وَتَأَنٍّ، وَضَبْطِ نَفْسٍ، وَأَنَّ التَّوَاضُعَ قُوَّةٌ لَا مَهَانَةَ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنَا بِالتَّوَاضُعِ مِنْ دُونِ إِذْلَالٍ وَلَا بَغْيٍ؛ قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، وَلَا يَبْغِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ»^(١).

وَأَنْ عَلِّمْنَا الرِّفْقَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا؛ وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ»^(٢).

وَأَنْ الْهُدُوءَ وَضَبْطَ النَّفْسِ مِنَ الْفَضَائِلِ الْعَظْمَى، وَالرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ تَحْرَمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ تَحْرَمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيْنَ لَيْنٍ سَهْلٍ»^(٣).

وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَكُونُ فَظًّا غَلِيظًا؛ فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٤ - عَلِّمْ أولادك أَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْمَلَ، وَيَجِدَّ فِي عَمَلِهِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وَأَنَّ

(١) رواه أبو داود، وابن ماجه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي.

رسول الله ﷺ يقول: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده»^(١).

وأن على الأولاد أن يعملوا بجِد ونشاط في دراستهم كي يستطيعوا الاعتماد على أنفسهم عند الكبر فيأكلوا من عمل أيديهم. . . وكن قدوة لغيرك، وأشعرهم أنك دوماً تسعى في سبيل الأفضل والأرقى في عملك وفي كل مجالات الحياة.

ادرس أطفالك واعترف بمواهبهم، وساعدهم على أن يدركوا ذاتهم؛ فهناك حقيقة يسلم بها المربون تقول: «ليس الأطفال معجونة غضارية نعلبها كما نشاء»؛ فالأصح أن نقول: إنهم عبارة عن «شتول صغيرة» لها خصائصها الذاتية، فلا نستطيع أن نحول شتلة رمان إلى شجرة إجاز، ولكن علينا أن نسعى ونساعد كل شجرة كي تنمو نموها الخاص بها.

دع أولادك يحطّطون أرقامهم القياسية بدلاً من مقارنة أنفسهم بالآخرين. . . فنشجعهم على أن يكونوا هذا العام في المدرسة في مركز أعلى مما كانوا عليه في العام الماضي.

امتدح فيهم كل جهد يبذلونه، وعلمهم أن يقولوا إذا عجزوا: أنا لا أستطيع أن أفعل كذا أو كذا، ولكنني أستطيع أن أفعل هذا وذاك.

اقترح على أطفالك أكثر مما تأمرهم كلما استطعت، وسلهم فيما إذا كان أحدهم يحتاج إلى المساعدة بدلاً من فرض مساعدتك.

اسأل طفلك عن موطن الضعف الكبير عنده، عن مشكلته الكبرى حسب رأيه، وساعد طفلك على أن يدرك أن لكلّ هم يقلقه حلاً مؤكداً من الحلول، والله تبارك وتعالى يقول في محكم تنزيله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ - ٦].

اغرس في أبنائك مكارم الأخلاق (٣)



٥ - علّم أولادك الاعتدال في كلّ أمر مباح من طعام وشراب وكلام ورياضة ومصرف . . وعلّمهم أن يعرفوا حدود الجسم والعقل، وأن يتجنّبوا التطرف وفقدان التوازن، فقد وصف الله تعالى أمة الإسلام بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

قل لهم: إن الإفراط في الطعام يجعلك تبدو أكثر سمينة، والإفراط في اللعب ربما يُتعبك أو يُنْهك جسدك، والإفراط في مشاهدة التلفاز يمنعك من الدراسة، وله سلبيات أخرى.

اسمح لأطفالك أن ينفقوا بأنفسهم أموالهم الخاصة، وشجّع أولادك على أن يتبرعوا ولو بنسبة مئوية صغيرة للفقراء والمساكين.

٦ - اغرس في أولادك العفة عن الحرام، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [٥ - ٦]؛ فالآباء المتعففون الشرفاء، يخلّفون أبناء عفيفين شرفاء مثلهم، وليتذكر الشباب أن أعلى هدية تقدم للزفاف، عفة تسبق الزواج وترافقه، وإخلاص للشريك بعده ويسايره.

ورغم أن بعض الآباء لم يكونوا في شبابهم يعرفون العفة والالتزام بها، إلا أنك تجدهم الآن يتوقون بصدق، ويأملون بإخلاص أن يكون أبنائهم في نجاة من الفاحشة في عصر الأيدز الرهيب! . . فكن أيها الأب نموذجاً في العفة لأطفالك، ولا تنس أن تبين لهم: أن في العفة وعداً بالسعادة لكلّ الذين حفظوا نقاوتهم وضبطوا أنفسهم إلى أن وصلوا إلى الزواج.

ولا شك في أن تعليقاتك على ما يشاهدونه في التلفاز والمسلسلات،

أو في الكتب والمقالات؛ ينبغي أن تكون مدروسة، فتؤكد دون تصنع جمال الحشمة ومهابة الالتزام بالدين، ونتائج التمسك بالأخلاق الحميدة، فينال الإنسان رضا الله أولاً، ويحفظ صحته ثانياً، ويسعد في دنياه وآخرته.

وزمام العفة ليس موجوداً من أجل القضاء على حرية الإنسان أو تدميرها كما يزعم أهل الهوى، وإنما هو أداة للانتفاع بها وتوجيهها في صالح البشر، وبغير زمام العفة فإن من الجائز في كل لحظة أن تنطلق الغريزة (الثاوية في أعماق الإنسان) إلى حيث تهلكه وتهلك معه.

٧ - ذكّر أولادك دوماً بالمبدأ القرآني في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وأكد لنفسك وللآخرين أنك رجل منضبط تفي بوعودك، وجدير بالاعتماد عليك. . وإذا أردت أن تكون جديراً بالثقة فعليك أن تبدأ بأبسط الأمور؛ حدد أقوالك؛ فتعد «زيداً بأنك ستذهب إليه في الساعة السابعة مساءً» بدلاً من القول العام «سأمر عليك بعد المغرب». . وتقول لولدك: «سأذهب مهما كنت مشغولاً؛ لأنني أريد أن أكون معك وأنت تلقي خطابك في المدرسة» بدلاً من القول: «ذكرني فإنني عازم على الذهاب لحفلك في المدرسة».

اشكر أولادك عندما يبكّرون في الذهاب إلى المدرسة صباحاً، وعندما يتقيدون بالوقت في مواعيدهم.



اغرس في أبنائك مكارم الأخلاق (٤)



٨ - إذا أردنا أن نجعل أولادنا قادرين على احترام الناس فعلينا أن نبدأ نحن فنعاملهم باحترام، ونكلمهم باحترام، ونشعرهم أنهم محترمون؛ يقول رسول الله ﷺ: «ليس من أمتي من لم يجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقّه»^(١)، ويقول رسول الله ﷺ: «ما أكرم شابّ شيخاً لسنّه؛ إلا قيّض الله له من يكرمه عند سنّه»^(٢).

وللأسف فإن كثيراً من الآباء يعاملون صغارهم وكأنهم «أشياء» لا كبشر! ويقولون: «ما دام الصغار صغاراً فليبقوا صغاراً».. وترى الأب في كثير من الأحيان لا يشرح لولده لماذا يجب أن يفعل كذا أو كذا، ظاناً أن الأطفال لا يفهمون، والحق أنهم يفهمون أكثر مما نتصور!..

علّم أولادك أن الاحترام يعني التصرف بلطف والتحدث بأنس، والمساورة إلى كسب رضا الناس بادئين برضا الله تبارك وتعالى.

٩ - علّم أولادك مغزى حديث رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»^(٣)؛ ذكّرهم أن رجال الأنصار كانوا أساتذة الإيثار في العالم قاطبة؛ القديم منه والحديث، حينما آووا ونصروا المهاجرين من مكة، وقاسموهم كل ما يملكون؛ فأنزل الله فيهم قرآناً يتلى إلى يوم القيامة: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].. علّمهم أن يشعروا بما يحتاج إليه الآخرون، وأن السعادة في إسعاد الآخرين.

(١) رواه أحمد، والحاكم، والطبراني.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

(٣) رواه الترمذي.

١٠ - ذَكَرَ أولادك من حين إلى آخر أن الإنسان اللطيف المهذب أقرب إلى قلوب الناس وأدعى إلى كسب مودتهم ومحبتهم .

وذكرهم بحديث رسول الله ﷺ حينما يصف المؤمن فيقول: «المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»^(١)، وأن الله تعالى خاطب نبيه ﷺ صاحب الخلق العظيم بقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

حاول أن تكون ودوداً دمثاً مع الجميع بما فيهم أطفالك، وأكثر من عبارات التهذيب: «جزاك الله خيراً»، «شكراً»، «من فضلك»، «معذرة»، واستعن باللباقة في كل أفعالك .

١١ - كن عادلاً بين أولادك، حتى يدركوا أنهم متساوون في كل شيء، فلا تكافئ واحداً دون آخر، ولا تعاقب طفلاً وتترك الآخر .

والخلاصة: فإن غرس هذه البذور في أطفالك لا يكون مرة في العمر، بل عليك أن تتعهد هذه الغراس الفتية في أبنائك حتى تشبَّ معهم وترافقهم في حياتهم، فيكون أحدهم نعم الولد الصالح يسعد أباه في دنياه وبعد مماته! . .



شاب.. فتح يثرب

هذا شابٌّ من أصحاب محمد ﷺ؛ يصف المؤرّخون شبابه فيقولون: «كان أعطرَ أهل مكة».. وُلد في النعيم، وشبَّ في العطور؛ ولكن كيف تحوّل إلى أسطورة من أساطير الإيمان؟.. إنه مصعب بن عمير رضي الله عنه.

سَمِعَ مصعب أن رسول الله ﷺ ومن آمن معه يجتمعون في دار «الأرقم ابن أبي الأرقم» فذهب هناك ذات مساء..

لم يكد مصعب يسمع الآيات من قلب رسول الله ﷺ، حتى سرى الإيمان إلى فؤاده..

اشتاطت أم مصعب غضباً لإسلامه، فحبسته في دارها حيناً، ثم أخرجته من دارها.

خرج مصعب من النعمة الوافرة إلى شظف العيش، وأصبح الفتى المتأنق المتعطر لا يرى إلا مرتدياً أخشن الثياب! قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: جئتُ إلى رسول الله ﷺ فجلستُ إليه في المسجد وهو مع بعض أصحابه، فطلع علينا مصعب بن عمير في بُردة مرقعة بفروة غنم، وكان أنعمَ غلام بمكة وأرفههم عيشاً!.. فلما رآه النبي ﷺ ذكر ما كان فيه من التنعُّم، ورأى حاله التي هو عليها، فذرفت عيناه وبكى، ثم قال:

«انظروا إلى هذا الذي نوّر الله قلبه؛ لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، ولقد رأيْتُ عليه حُلَّةً اشتراها بمئتي درهم، فدعاه حبُّ الله ورسوله إلى ما ترون»^(١).

اختاره الرسول الكريم ﷺ لأعظم مهمة في حينها؛ أن يكون سفيره

إلى يثرب (المدينة) . . ألقى بين يديه مصير الإسلام في المدينة التي ستكون دار الهجرة بعد حين .

جاءها يوم بعثه الرسول ﷺ إليها وليس فيها سوى اثني عشر مسلماً هم الذين بايعوا محمداً ﷺ في بيعة العقبة . . ولم تمض سوى بضعة أشهر حتى عاد إلى النبي ﷺ مع سبعين مؤمناً ومؤمنة . . أسلم على يديه أسيد بن حضير الذي دنت لصوته الملائكة وهو يقرأ القرآن في جوف الليل . . وأسلم على يديه سعد بن معاذ الذي اهتز لموته عرش الرحمن . .

ومرة أخرى يختار الرسول ﷺ مصعب ليحمل لواء المسلمين في غزوة أحد؛ فلما اضطرب المسلمون بعد التفاف خالد بن الوليد ظلّ مصعب ثابتاً حاملاً اللواء، فأقبل ابن قميئة فضربه على يده اليمنى فقطعها، فضمّ اللواء باليسرى، فضرب يده اليسرى فقطعها، فضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ هذه الآية التي سينزل الوحي فيما بعد يرددها ويكملها ويجعلها قرآناً يتلى . . ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فسقط شهيداً . .

لم يترك مصعب إلا ثوباً بالياً؛ قال خباب: «كنا إذا غطينا به رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا به رجله بدا رأسه»! فقال لنا النبي ﷺ: «غَطُّوا به رأسه، وضعوا على رجله من الإذخر» (نبات الإذخر).

مات شهيداً أحد . . مات سفير الإسلام، مات ولم يشهد فتح مكة التي ضاقت بإيمانهم، فخرج منها ليصنع بيديه الرجال الذين يفتحونها بإيمانهم؛ فسلام عليك يا مصعب! . . ولتكن قدوة لكثير من الشباب . .

قالت نملة (١)

في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ اللَّيْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مِنكُمْ﴾ [النمل: ١٨] لفتات ولفتات ..

فعندما جاء سليمان ﷺ، ومعه جنوده؛ أحسَّتْ نملة بالخطر الداهم على قومها وبني جنسها، فصاحت تلك النملة منذرة بني قومها: إن الخطر قادم، فهيا أنقذوا أنفسكم: ﴿لَا يَحِطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

ما أروع هذه النملة! وما أعظم هذا الموقف الذي وقفته! ..

حملت همَّ أمتها، أدركت خطورة مسؤوليتها، أحسَّتْ بقدوم الخطر قبل وصوله، فقامت صائحة معلنة لبني قومها: إن الخطر قادم فهلئوا أنقذوا أنفسكم! ..

عجيب أمر هذه النملة! .. هل هربت بنفسها عندما أحست الخطر؟! ..

هل قالت: ماذا أستطيع أن أفعل وأنا نملة وحيدة؟! ماذا أفعل بهذا الجيش القادم؟! وأمة النمل أمة كثيرة، وأنا نملة وحيدة فماذا أفعل؟! .. بالله عليكم أليس الخطر الذي يهدد أمتنا أعظم من الخطر الذي هدد نمل سليمان؟! ..

كم منّا من يحسُّ إحساس هذه النملة، ويسعى منقذاً لأمته، متلهِّفاً على حياة أمته؟! ..

من منا يقوم وينام، وهو يحمل هموم هذه الأمة التي يحدق بها الخطر يمنية ويسرة؟! والله إنه ليس بخطر واحد، ولكنها أخطار من كل صوب: ﴿ظَلَمْتُمْ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: ٤٠].

ثم انظروا . . ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ نملة هنا نكرة، لم يقل الله جلَّ وعلا : «قالت النملة»، إنما قال : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ إذاً هي نكرة، هل هي الملكة أم غير الملكة؟ المهم : أنها وردت في القرآن بصيغة النكرة، فهي نملة من هذا الوادي الطويل العريض، ومع ذلك لم تحقر نفسها، أما نحن فنتساءل ماذا فعل أهل الحل والعقد؟ ماذا فعل فلان وفلان؟ أسألك يا أخي الكريم : أنت ماذا فعلت؟ . .

نملة نكرة، أنقذت أمة . . نملة حملت همّ أمة فأنقذتها؛ وهي نكرة لا شأن لها، وأنقذ الله جلَّ وعلا هذا الوادي على يديها .

من السهل جداً أن تحمّل غيرك المسؤولية فيما يحدث بالأمّة، ولكن لنكن صريحين، وجريئين : ماذا قدّمنا؟ وماذا فعلنا؟ . .

نملة نكرة فعلت، ونحن لا نستطيع أن نفعل لأمتنا ما فعلته هذه النملة مع بني قومها! . .



قالت نملة (٢)

● ثم نأتي إلى نقطة أخرى: هل جلست هذه النملة تحلل نوايا سليمان كما يتفلسف البعض في الحديث عن نوايا إسرائيل؟ هل قالت: إن سليمان قد احتقركم، إنكم جند ضعيف فلا يبالي بكم؟ هل جلست أو جلس قومها يتساءلون؟.. بل إنها لو سكنت لفعلت خيراً.. فكيف وقد برأت سليمان ﷺ وجنوده، قالت: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]؛ أنا لا أتهمهم في نياتهم، مع أنهم سيحطمونكم، سيقتلونكم، سيقضون عليكم.. لكن ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

هل قال النمل: أنت تريدين السلطة، تريدين العلو، تريدين الشهرة؟.. لا.. بل استجاب النمل ودخلوا مساكنهم، ونجوا بدعوة هذه النملة الصغيرة.

● ومن خصائص النمل جديتها وصبرها عند بناء بيوتها؛ حتى إن البيت من بيوت النمل يسقط فتعاود فوراً بناءه مرة أخرى، ثم يسقط فتعاود بناءه مرة ثالثة ورابعة حتى يستقيم البيت^(١).

يذكر المؤرخون أن تيمورلنك - القائد المعروف - هُزم في معركة من المعارك، ففترَّق الجيش وتشتت، فما كان من تيمورلنك إلا أن هام على وجهه حزناً كبيراً؛ ذهب إلى إحدى المغارات، وجلس فيها يتأمل فيما وصل إليه حال جيشه.. وبينما هو مستغرق في تفكيره إذا بنملة تريد أن تصعد على حجرة ملساء، فسقطت، حاولت المرة الثانية وسقطت، والثالثة وسقطت، بدأ يرقب هذا المخلوق الصغير.. تابع تيمورلنك النملة حتى

صعدت في المحاولة السابعة عشرة؛ فقال: والله عجيب! نملة تكرر المحاولة قرابة عشرين مرة، وأنا أُهزم وجيشي من المرة الأولى؟! .. ما أضعفنا وما أحقرنا! ..

نزل من المغارة وصمَّم على أن يجمع فلول جيشه، وأن يدخل المعركة، وأن لا ينهزم ما دام فيهم حي واحد، ومنظر النملة ماثل في رأسه ..

جمع قومه وتعاهدوا على دخول المعركة، وعلى ألا ينهزموا ما دام فيهم حي واحد .. دخلوا المعركة بهذه النية، وبهذا التصميم .. فانتصروا في المعركة.

● وأجمع علماء الأحياء على أن النملة من أكثر المخلوقات جدية وحزماً؛ فهل رأيتم يوماً من الأيام نملة نائمة في الطريق؟ هل رأيتم يوماً من الأيام نملة واقفة تتفرج؟ أبداً ما ترى النملة إلا جادة في مسيرتها وجادة في كل حركة من حركاتها.

ونحن أحوج ما نكون لهذه الجدية؛ نحتاج إليها في طلب العلم، في أعمالنا ووظائفنا، وكل أمور حياتنا .. ألا يكفيننا ما نحن فيه من ذل وتخلف؟! ..

● ومن صفات النملة: التعاون؛ فإذا رأيتم عشراً من النمل يمشون؛ فهل ترون كل واحدة تمشي وحدها؟ أم أن النمل يخطُّ خطاً واحداً، فتجد عشرين أو ثلاثين نملة أو أكثر قد خطت خطاً واحداً مع بعضها البعض:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افرقن تكسرت أحادا

أليست هذه دروس لنا نستفيد منها؟! فهل من معتبر؟! ..

أَمَّنْ يَجِيبُ الْمَضْطَرُ إِذَا دَعَاهُ؟

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: تأملتُ حالة عجيبة؛ وهي أن المؤمن تنزل به النازلة، فيدعو ويبالغ في الدعاء، فلا يرى أثراً للإجابة!.. فإذا قارب اليأس، نُظر حينئذٍ إلى قلبه؛ فإن كان راضياً بالأقدار غير قنوط من فضل الله تعالى، فالغالب تعجيل الإجابة عند ذاك، وذلك يتجلى في قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ؟﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقد جرى ذلك ليعقوب رَحِمَهُ اللهُ؛ فإنه لما فُقدَ ولده يوسف رَحِمَهُ اللهُ، وطال الأمر عليه لم يئس من الفرج، وأخذ ولده الآخر، ولم ينقطع أمله من فضل ربه: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾ [يوسف: ٨٣].

فلا تستطلْ مدة الإجابة؛ فالله يريد أن يرى تضرعك، ويريد أن يؤجرك على صبرك.. يبتليك بالتأخير لتحارب وساوس الشيطان..

ويختبرك أحياناً بمزيد من المرض، ليرى قوة عزيمةك، وصبرك على البلاء؛ فإن صبرتْ فأنت من المطيعين، وإن انهزمتْ - لا سمح الله - كنت من الخاسرين؛ فليس بعد الصبر إلا الفرج..

ألسنا مأجورين إن شاء الله على هذا الصبر وهذا الامتحان؟!..

يقول علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللهُ: إنك إن صبرتْ؛ جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعتْ؛ جرى عليك القلم وأنت مأزور (أي: أثم).

يقول الشاعر:

إذا بُليتَ فثق بالله وارض به إن الذي يكشف البَلَوَى هو الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرة ما لامرئٍ حيلةٌ فيما قضَى الله
اليأسُ يقطعُ أحياناً بصاحبه لا تيأسنَّ فإنَّ الصانعَ الله

فلا تيأس يا أخي الحبيب، واصبر على بلواك؛ تنل عظيم الثواب..
 يقول الفضل بن سهل: إن في العلل (الأمراض) نعماً ينبغي للعاقل أن
 يعرفها:

تمحيص الذنب..

والتعرض للثواب..

والإيقاظ من الغفلة..

والتذكير بنعمة الصحة..

والاستدعاء للتوبة..



مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تليجرام

● كان إبراهيم بن أدهم يمشي في البصرة، فاجتمع إليه الناس فقالوا: ما بالنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟ وإن الله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

فقال: يا أهل البصرة! قد ماتت قلوبكم بعشرة أشياء، فكيف يُستجاب لكم؟! ..

- ١ - عرفتم الله؟ ولم تؤدوا حقَّه! ..
- ٢ - وقرأتم القرآن؟ ولم تعملوا به! ..
- ٣ - وادَّعيتُم حبَّ رسول الله ﷺ؛ وتركتم سنَّته! ..
- ٤ - وادَّعيتُم عداوة الشيطان؛ وأطعتموه! ..
- ٥ - وادَّعيتُم دخول الجنة؛ ولم تعملوا لها! ..
- ٦ - وادَّعيتُم النجاة من النار؛ ورميتُم فيها أنفسكم! ..
- ٧ - وقلتم: الموتُ حقٌّ؛ ولم تستعدوا له! ..
- ٨ - واشتغلتم بعيوب الناس؛ وتركتم عيوبكم! ..
- ٩ - ودفنتُم الأموات؛ ولم تعتبرُوا! ..
- ١٠ - وأكلتم نعمة الله؛ ولم تشكروه عليها^(١).

تُرى هل راجعنا أنفسنا كل يوم في هذه الأشياء العشرة قبل أن نسأل الله فلا يُستجاب لنا؟! ..

● من أي القلوب قلبك؟:

قال رسول الله ﷺ: «القلوب أربعة:

قلبٌ أجرد فيه مثل السراج يُزهر..

وقلبٌ أغلف مربوطٌ على غلافه..

وقلبٌ منكوسٌ..

وقلبٌ مُصَفَّحٌ...

فأما القلب الأجرد: فقلب المؤمن، سراجُه فيه نوره..

وأما القلب الأغلف: فقلب الكافر..

وأما القلب المنكوس: فقلب المنافق؛ عَرَفَ ثم أنكر..

وأما القلب المصَفَّح: فقلب فيه إيمان ونفاق؛ فَمَثَلُ الإيمان فيه كمثَلُ

البقلة؛ يمدُّها الماء الطيب؛ وَمَثَلُ النفاق فيه كمثَلُ القرحة؛ يمدُّها القيح والدم.. فأَيُّ المادتين غلبت على الأخرى؛ غلبت عليه»^(١).

يقول مصطفى صادق الرافعي رَحِمَهُ اللهُ:

إن الخطأ الأكبر أن تُنْظَمَ الحياةَ من حولك، ثم تترك قلبك في

فوضى!..



(١) تفسير ابن كثير: ٨٥/١، وإسناده جيد حسن (الدرر السنية).



لا تكن روبيضة!..

● يقول عليه الصلاة والسلام: «سيأتي على الناس سنوات خداعات..»

يُصدَّقُ فيها الكاذب، ويُكذَّبُ فيها الصادق..
ويؤتمنُ فيها الخائن، ويُخَوَّنُ فيها الأمين..
وينطقُ فيها الروبيضة».

قيل: وما الروبيضة؟

قال عليه الصلاة والسلام: «الرجل التافه يتكلَّم في أمر العامة»^(١).

يقول ابن منظور في (لسان العرب):

«الروبيضة: هو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور، وقعدَ عن طلبها. والغالب: أنه قيل للتافه من الناس لربوضه في بيته، وقلة انبعاثه في الأمور الجسيمة»^(٢).

ألا تجد أخي الحبيب من يجلس في مجلس؛ يتكلَّم بالتافه من الكلام؟!..

أو تجد صحفياً يكتب مقالاً مطوَّلاً عن توافه الأمور؟!..

أو من يخرج على الفضائيات التافهة يتحدث عن أمور لا تفيد ولا تُجدي.. بل ربما تضرُّ وتؤذي؛ يضلِّل الناس، أو يشوِّش أفكارهم.

(١) صحيح الجامع (٣٦٥٠).

(٢) لسان العرب: ١٥٣/٧.

● أيّ الجلساء خير؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قيل: يا رسول الله! أيّ جلسائنا خير؟

قال: «مَنْ ذَكَرَكُمْ اللهُ رُؤْيَتْهُ..»

وزاد في علمكم مَنْطَقُهُ..

وذَكَرَكُمْ بِالْآخِرَةِ عَمَلُهُ..»^(١).

فكم من جلسائنا من تنطبق عليه هذه الصفات؟! ثم ألا ينبغي أن نسعى لمجالسة أمثال هؤلاء؟!..

إذا جلست مع أصحابك، أو أقاربك، ودار ما دار من حديث؛ فلا تنسَ أن تنهي تلك الجلسة بما علّمنا حبيبنا رسول الله ﷺ؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «من جلس مجلساً كثر فيه لَغْطُهُ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك؛ إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك»^(٢).

كم من الوقت يستغرق ذلك الذكر؟ إنها ثوانٍ معدودات! ولكن كم من الناس من يفوته هذا الفضل العظيم.. عفو وغفران من رب العالمين.



(١) رواه أبو داود، والترمذي.

(٢) صحيح الترغيب، للألباني (١٥١٦).

درهم يأتيك بسبعمئة درهم

إذا كان الله تعالى يعدنا على الصدقة بسبعمئة ضعف؛ فلماذا نتردد في عمل الخيرات والإحسان إلى الفقراء؟! ..

يروى أن الوزير المهلبى (المتوفى عام ٣٥٢هـ)، كان فقيراً في أول عمره، لا يملك شيئاً من حطام هذه الدنيا. . سافر مرة وهو فقير، فلم يجد ما يأكله؛ اشتهى اللحم ولم يكن معه ثمن اللحم؛ فقال:

أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ فـهـذا العيشُ ما لا خـيـرَ فـيـهِ
أَلَا مَوْتُ لذيذُ الطَّعمِ يَأْتِي يُخَلِّصُنِي مِنَ العيشِ الكـريـهِ

وكان معه في السفر رجل يقال له: أبو عبد الله الصوفي، فلما سمع منه هذه الأبيات؛ اشترى له لحماً بدرهم وطبخه وأطعمه، ثم افترق الرجلان. . .

ومرّت الأيام. . حتى صار المهلبى وزيراً للخليفة (معز الدولة بن بويه) في بغداد، وضاعت الحال برفيق سفره أبي عبد الله الصوفي؛ حتى لم يعد يجد ثمن اللحم، فذهب إلى الوزير، وكتب إليه رقعة يقول فيها:

أَلَا قُلْ لِلوِزِيرِ قَدْتُهِ نَفْسِي مَقَالَ مُذَكِّرٍ مَا قَدْ نَسِيهِ
أَتَذَكَّرُ إِذْ تَقُولُ لَضِيْقِ عَيْشٍ: أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ؟

فلما قرأ الوزير المهلبى هذا الخطاب؛ تذكّر أحواله الماضية. . تذكّر فقره وجوعه. . تذكّر من أطعمه اللحم يوم اشتهاه! فاضت عيناه بالدموع، وتذكّر نعم الله عليه. . كيف صار وزيراً بعد أن كان فقيراً، فأمر له بسبعمئة درهم. . وكتب تحت التوقيع: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ليعلمه أن

الدرهم الذي اشترى له به اللحم قد ضاعفه الله تعالى سبعمئة ضعف! ثم أكرمه وقلّده وظيفة عنده! ..

ألم يقل الشاعر:

من يفعل الخير لا يُعَدُّ جوازَه لا يذهبُ العرفُ بينَ الله والنَّاسِ

● لا تنتظر الشكر من أحد:

قال أحد الحكماء: من انتظر لمعروفه شكراً فقد استدعى عاجل المكافأة..

● صناعة المعروف من السرف المحمود:

يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه: «في كل شيء سرف إلا في ابتناء المكارم، أو اصطناع معروف، أو إظهار مروءة».

تذكر قول أحد الحكماء: «صاحبُ المعروف لا يقع، وإذا وقع وجد متَّكأً».



يحدّثنا التاريخ عن أوقاف جعلها الأمراء والأثرياء المسلمون منارات خير لعامة الناس، قبل أن يتفاخر الغرب بما عندهم من مؤسسات خيرية للإنسان والحيوان..

- فكان هناك وقف للحيوانات المسنّة والعاجزة عن العمل في دمشق؛ تَأْكُل فيه الحيوانات حتى تموت، دون أن يضطر أصحابها لقتلها تخلصاً من نفقاتها..

- وكان هناك وقفٌ على تـمريض القطط والكلاب والحيوانات المريضة..

- ووقف لتزويج الشباب والفتيات العاجزين والعاجزات عن نفقات الزواج..

- ووقف لاستئجار مبصرين ليقودوا العميان.. فكان لكل أعمى قائد يقوده..

- وتحدّث الرحالة ابن بطوطة عن وقف «الزبادي» في دمشق؛ فقد حدث أن رأى بعينه صبيّاً كانت بيديه زبدية (وعاء)، فانكسرت، فبكى خوفاً من بطش أهله به.. فأخذه الناس إلى ناظرٍ «وقف الزبادي»، فأعطاه زبدية مثلها، فعاد إلى أهله دون أن يشعر أهله بما كسر!..

- ويروى أنه كان في مدينة «فاس» في المغرب وقفٌ للثياب؛ فمن كان مارّاً في البلدة، وتمزّق ثوبه أو أصابه شيء؛ ذهب إلى ذلك المكان فيأخذ ثوباً بدلاً عن ثوبه الذي تمزّق أو فسد!..

- ويروي التاريخ أنه كان هناك في طرابلس وقف لاستئجار شخصين يذهبان كل يوم إلى المستشفى، فيقفان بجانب المريض يتحدثان بكلام

خافت يسمعه المريض؛ بحيث يوهمانه أنهما يتكلمان سرّاً عنه؛ فيقول أحدهما للآخر: ما رأيك في هذا المريض اليوم؟.

فيقول الآخر: إنني أراه اليوم أحسن مما كان في الأمس؛ فوجهه مشرق وعيناه متألقتان..

ثم ينصرفان، وقد سمع المريض كلامهما؛ بعد أن أوحيا إليه ما يجعله يعتقد في نفسه التقدم نحو الشفاء.. أليس هذا ضرباً من العلاج بالإيحاء الذي ثبت أنه يزيد من معنويات المريض، ويزيده ثقة بأنه يتمثل للشفاء؟!..

أين نحن في مشافينا مما كان عليه المسلمون قبل أكثر من ألف عام؟!..

ألسنا أجدر بإعادة تلك الأوقاف إلى ما كانت عليه؟!..

ألسنا أجدر بحماية الحيوان؛ والرسول ﷺ يقول: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها حتى ماتت...»^(١)؟!..

ألا يستطيع البعض منّا تأسيس أمثال تلك الأوقاف ولو على مستوى صغير، ومن ثمّ يبارك الله فيه ويزداد خيراً وحبوراً؟!..

فالوقف نظام فريد تميّز به الإسلام؛ وهو أن تُوقَفَ أرضاً أو بناءً، فلا يباع ولا يملكه أحد، وتُصَرَّفَ غلّته وعائداته على جهة من جهات الخير؛ كالمساجد والمدارس والمستشفيات وطلبة العلم وأصحاب الحاجات..

يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه: «لم أرَ خيراً للميت ولا للحَي من تلکم الجبوس الموقوفة».



● قال أحدهم: مساكين أهل الدنيا! خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها! .. -

قيل: وما أطيب ما فيها؟

قال: محبة الله تعالى، ومعرفته، وذكره! ..

● يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لولا ثلاث في الدنيا لما أحببت البقاء فيها:

- لولا أن أحمل أو أجهّز جيشاً في سبيل الله.. فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «من لم يغز أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة»^(١)..

- ولولا مكابدة الليل (أي: قيام الليل).. فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم»^(٢)..

- ولولا مجالسة أقوام يتتقون أطايب الكلام كما يتتقى أطايب التمر..

فما قيمة الدنيا لولا العمل الصالح الذي يجد الإنسان ثوابه يوم لا ينفع مال ولا بنون؟! ..

● دخل ابن السمّاك يوماً على هارون الرشيد؛ فقال له الرشيد: عظني.. ثم دعا الرشيد بماء ليشربه..

فقال ابن السمّاك: ناشدتك الله؛ لو منعك الله من شربه؛ ما كنت فاعلاً؟.

قال الرشيد: كنت أفديه بنصف مُلكي.

قال: فاشربْهُ..

فلما شرب الخليفة قال له ابن السماك: ناشدتك الله! لو منعك الله من خروجه؛ ما كنت فاعلاً؟..

قال الرشيد: أفديه بنصف مُلكي.

قال ابن السماك: إن مُلكاً تُفتدي به شربة ماء لخليق ألا يُنَافَسَ عليه!

لماذا لا نتذكر نعمة كأس الماء في كل يوم؟..

أرأيتم إلى الذي يصاب بالعطش الشديد في يوم قائف وسط صحراء قاحلة؛ ماذا يفعل؟! ألا يفتدي كأس الماء بكل ما يملك؟!..

ثم أرأيتم مريضاً مصاباً بانحباس في البول ناجم عن تضخم شديد في البروستاتة، وقد امتلأت مثانته بِلُثْرَيْنِ أو ثلاثة من البول؟!.. والله لقد رأيت هذا المشهد مرات عديدة؛ فلا تجد شيئاً في الدنيا يعدل فرحة المريض عندما يُدْخِلُ الطبيب القسطار في إحليله، فيتدفق البول عبر القسطار، ويشعر المريض عندها بارتياح عجيب!..

رحم الله والدي؛ كان يدعو دوماً: «اللهم ذكّرنا نِعَمَكَ بدوامها».

● وإذا أتنك الأموال في الدنيا من كل جانب فتذكّر أن ذلك قد يكون استدراجاً؛ فلا تنسَ فضل الله عليك، وأنفق في سبيل الله..

يقول علي بن أبي طالب عليه السلام: من وُسّع عليه في دنياه، ولم يعلم أنه مُكْر به؛ فهو مخدوع..

أستحيي أن يجود الله لي بشيء فأبخل..



ارو شجرة العطاء عندك؛ فهي عادة طيبة تَسْعِدُ بها ويسعدُ بها الآخرون.. فالعطاء سعادة وعبادة لرب العالمين، ومن تعود العطاء والصدقات؛ حَلَّت عليه البركات في ماله وأهله وولده..

مرَّ عمر بن عبيد بن معمر بزنجيٍّ يأكل عند حائط (في بستان) في المدينة المنورة، وبين يديه كلب؛ فكان كلما أكل لقمة طرح للكلب لقمة! فقال له: أهذا الكلب كلبك؟ قال: لا.. قال: فلماذا تطعمه مثلما تأكل؟!..

قال: إني أستحيي من ذي عينين ينظر إليَّ أن أستفرد بالطعام دونه.

قال: أحرُّ أنت أم عبد؟..

قال: أنا عبد لبعض بني عاصم.

فأتى عمر ناديمهم فاشترى العبد واشترى الحائط (أي البستان)، ثم جاءه فقال: هل شعرت أن الله قد أعتقك؟..

قال: الحمد لله وحده، ولمن أعتقني بعده.

قال: وهذا الحائط لك.

قال: أشهد الله أنه وقَّفَ على فقراء المدينة.

قال: ويحك! أتفعل هذا مع حاجتك وفقرك؟!..

قال: إني أستحيي من الله أن يجود لي بشيء فأبخل به عليه!

فهل يفكر الموسرون الذين أغدق الله عليهم بالنعمة والخيرات أن يشكروا الله بالصدقات من الطيبات؟!..

يقول أحدهم: «البيت الذي يُغلق أمام الفقير، يُفتح أمام الطبيب» . .
 فلا تنسَ أثر الصدقة العظيم في رد البلاء؛ تصدّق قبل أن تمرض أو يمرض
 أحدٌ من أهلِكَ، وتصدّق بعد المرض . . تخيل كم رَدّت هذه الصدقة من
 مصائب أو أمراض؛ تذكر قول رسول الله ﷺ: «الصدقة تطفئ غضب
 الربِّ»^(١).

فكم رأينا أناساً أفنوا حياتهم في جمع المال؛ لم يتمتعوا به، بل
 تركوه لغيرهم من بعدهم، ولكن هل نجوا من الحساب عليه؟! . .
 لا والله . . فلسوف يحاسبون على كل صغيرة وكبيرة منه؛ من أين
 اكتسبه وفيم أنفقه . .

قيل لحكيم: هل شيء خير من الذهب والفضة؟
 قال: معطيهما! .



(١) مجمع الزوائد، للهيثمي: ١١٣/٣ .

ذكر الله خير من الدنيا وما فيها

مع إطلالة فجر كل يوم جديد؛ املاً عينيك وقلبك من تراتيل الصباح.. أحسن الإصغاء لصلاة الإيمان تتدفق من قلوب الكائنات لخالق الأكوان.. ألم يقل الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

اذكر الله مع تسابيح الصباح، وأنت في بيتك، أو في السيارة ذاهباً إلى عملك.. املاً قلبك بذكر الله.. استمع إلى شريط «أذكار الصباح» تمتلئ نفسك بمحبة الله، وتشعر أن الله معك في كل مكان، وأنت قوي بالاعتماد على ركن ركين؛ على رب الأرض والسماء...

وتذكر قول الشاعر:

وإذا القلوبُ خلتُ من ذكرِ خالقها فهي الصخورُ تسكنُ الأبدانُ
لا تجعل قلبك صخرة صماء، لا عواطف فيها ولا إحساس.. رطب لسانك بذكر خالق الأكوان؛ ينساب عطرها في القلوب التي في الصدور، ينشرح بها صدرك، وتهدأ بها نفسك، وتطمئن لها حالك.. يقول عليه الصلاة والسلام: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ؛ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «ذكر الله تعالى»^(١).

يقول عبيد بن عُمير: تسيحة بحمد الله في صحيفة المؤمن خير من أن تسير أو تسيل معه جبال الدنيا ذهباً.

ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاً، يستغون مجالس الذكر؛ فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحفَّ بعضهم بعضاً بأجنتهم، حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا؛ فإذا تفرَّقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله ﷻ - وهو أعلم بهم - من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك. قال: وماذا يسألونني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا، أي رب! قال: فكيف لو رأوا جنتي؟! قالوا: ويستجيرونك. قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب! قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري؟! قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرتُ لهم، فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا. قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبدٌ خطاء، إنما مرَّ فجلس معهم. قال: فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»^(٢).



(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

ما قمتُ إلى الصلاة إلا مُثلتُ لي جهنم



من الناس من يصلي نصف صلاة، ومنهم من يصلي ربع صلاة، بل وعُشْرَ صلاة! .

يقول ﷺ: «إن الرجل لينصرف وما كُتِبَ له إلا عُشْرُ صلاته، تُسْعِها، ثُمْنُها، سُبْعُها، سُدْسُها، خُمُسُها، رُبْعُها، ثُلُثُها، نصفُها»^(١).

ومن الناس من يصلي ببدنه وفكره شارد في الأسواق والمعاملات، أو في الدراسة والاختبارات.. أو قل ما شئت من أمور الحياة! .

يقول حماد بن سلمة: ما قمت إلى صلاة إلا مُثلتُ لي جهنم!..

تُرى مَنْ مَنَّا يتخيّل جهنم أمامه حينما يقف بين يدي ربه في الصلاة؟!..

مَنْ مَنَّا يصلي صلاة مودّع يحسبها آخر صلاة له في هذه الحياة؟!..

أليست الصلاة لدى الكثير مَنَّا فرصة لإطلاق عنان الهواجس والأفكار.. للبيع والشراء.. لحساب الخسائر والأرباح.. للتخطيط للأعمال والالتزامات؟!..

تُرى لو كان الواحد مَنَّا واقفاً أمام مسؤول كبير.. ألا يُنصتُ له كل الإنصات؟!..

أليست الصلاة أسرع شيء نُؤديه في حياتنا؟!..

ولو تأملت في حياة هذا الذي ينقر الصلاة نقراً؛ لرأيت حريصاً متأنياً في أعماله وحساباته ولو على دربهات قليلات!..

كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذا قام في الصلاة كأنه ثوبٌ ملقى (أي: لا يتحرك لطول وقوفه بين يدي ربه).

وكان أبو حنيفة يسمي «الوتد» لطول وقوفه في الصلاة.

وكان أحدهم يسجد حتى تقع العصافير على ظهره من طول السجود!..

يقول ابن وهب: رأيت الإمام الثوري في الحرم بعد المغرب يصلي، فسجد سجدة لم يرفع رأسه بعدها حتى نودي بالعشاء!..

سُئل حاتم الأصم عن صلاته، فقال: إذا حانت الصلاة أسبغتُ الوضوء، ثم أتيتُ الموضع الذي أريدُ الصلاة فيه، فأقعدُ فيه حتى تجتمع جوارحي، ثم أقومُ إلى الصلاة، وأجعلُ الكعبةَ بين حاجبي، والجنةَ عن يميني، والنارَ عن شمالي، وملكَ الموت ورائي، أظنها آخرَ صلاتي.. ثم أقوم بين الرجاء والخوف؛ فلا أدري أقبِلْتُ مني أم لا؟!..

يقول أحدهم: مَنْ قرَّتْ عينه بصلاته في الدنيا؛ قرَّتْ عينه بقربه من الله ﷻ في الآخرة، وقرَّتْ عينه أيضاً في الدنيا، وَمَنْ قرَّتْ عينه بالله قرَّتْ به كل عين، وَمَنْ لم تقرَّ عينه بالله تعالى تقطعتْ نفسه على الدنيا حسرات..



هل أنت من الخاشعين في صلاتهم؟

إن كنت من الخاشعين في صلاتهم فاحمد الله على هذه النعمة العظيمة . . وإن لم تكن خاشعاً في معظم صلواتك؛ فحاول أن تتدرب على الحصول على لذة الخشوع بين يدي الله! :

- اجعل ذكر الله جزءاً من حياتك اليومية، فتدخل الصلاة وأنت ذاكر لله، وتخرج من الصلاة وأنت ذاكر لله . .

- بكَر في الذهاب إلى المسجد فور سماع الأذان؛ اقرأ شيئاً من القرآن قبل الصلاة، اذكر الله، واستغفر الله؛ فالاستغفار مدعاة للخضوع لعظمة الله الغفار الودود.

- إذا توضأت؛ فاسأل الله تعالى أن يطهّر بالك وخواطرك من كل شوارد الحياة، مثلما طهّر جسمك وجعلك نظيفاً نقيّاً.

- إذا دخلت المسجد؛ فاترك الدنيا عند الباب، لا تدخلها معك إلى المسجد، فكّر في لقاء الله؛ فأنت قادم على رب رحيم.

- صلّ تحية المسجد، ثم ركعتين قبل الفريضة، ومهّد نفسك للقاء الكبير مع الله في صلاة الجماعة.

- إذا قال الإمام: استموا . . فتذكّر أنك واقف في الصف الأول أمام رب العالمين . . وقل: اللهم أحسنْ وقوفي بين يديك . .

- وإذا قلت: الله أكبر، ورفعت يديك للتكبير؛ فآلِ وراء ظهره هموم الدنيا لدقائق معدودات . .

- تخيّل أن هذه الصلاة قد تكون - لا سمح الله - آخر صلاة لك في هذه الحياة الدنيا . .

- إذا ركعت فأحسن الركوع، وإذا سجدت فاعلم أنك أقرب ما تكون من الله؛ فاستغل هذه اللحظات بالدعاء..

● البحث عن الأكياس:

كان لتاجر يبيع الأكياس أجيراً تقي، فقال التاجر لأجيريه يوماً: أتذكر تلك الأكياس التي بعناها ولم نقبض ثمنها؟..

قال: لا!..

وحضرت الصلاة، فصلّى التاجر وأجيريه.. وأثناء الصلاة تذكّر التاجر لمن باع تلك الأكياس.. فقال لأجيريه بعد الصلاة: لقد أرسلنا الأكياس لفلان من الناس؛ فاذهب إليه وائتِ بثمنها..

فقال الأجير: يا سيدي! هل كنت تصلي لرب الناس أم كنت تبحث عن الأكياس؟!..

وللأسف فكثيرون منّا من يفتش عن الأكياس في صلاته - ولو تنوّعت الأكياس وتعددت!..





عزاء لفوات الجماعة!..

كان الصالحون إذا فاتتهم صلاة الجماعة يعزّي بعضهم بعضاً؛ فهذا حاتم الأصم يقول: فاتتني الصلاة في الجماعة فعزّاني أبو إسحاق البخاري وحده.. ولو مات لي ولدٌ لعزّاني أكثر من عشرة آلاف! لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا!.

فكم هناك من أناس فاتتهم صلاة الجماعة وهم لا يألُمون؟!..

وكم يعتذر البعض منّا لكثرة المشاغل والهموم؟!..

وكم منّا من يسهر الليالي وتفوته صلاة الصبح مرات ومرات؟!..

ألم يقل رسول الله ﷺ: «بشّروا المشائين في الظُّلَمِ إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»^(١).

فلا تجعل الشيطان يغلبك وتتردد في القيام..

سرّ إلى جنة عرضها السموات والأرض..

وأبشر بذلك النور يوم لا ينفع مال ولا بنون!..

وهذا عامر بن عبد الله؛ كان في مرض الموت، فلما سمع الأذان قال: خذوا بيدي..

ف قيل له: إنك عليل!..

فقال: أسمعُ داعي الله فلا أجيبه؟!..

فأخذوا بيده، فدخل في صلاة المغرب فركع مع الإمام ركعةً واحدة ثم مات!..

(١) رواه الترمذي، وأبو داود.

وسفيان بن عيينة يحث على السير إلى الصلاة حتى قبل النداء، ويقول: لا تكن مثل «عبد السوء»؛ لا يأتي حتى يُدعى. . . ائب الصلاة قبل النداء؛ أي: قبل الأذان. . . فالعبد السيئ لا يأتيك حتى تطلبه.

أما نحن. . . فكثير منا يسمع صوت المنبّه للصلاة، ولكنه لا يقوم. . . وآخرون يُوقظون للصلاة، فلا يستجيبون. . .

ولو سمعوا أن لصاً في البيت، أو أن صافرة إنذار انطلقت؛ لرأيتهُم من فراشهم يثبون، وعن النارِ هُم يركضون! . .

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه»^(١).

فمن منا يحرص على شهود الصف الأول في المسجد؛ والرسول ﷺ يقول: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لا يجدوا إلى أن يستهموا عليه؛ لاستهموا عليه»^(٢)؟! .

يقول سعيد بن المسيب: ما فاتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وما نظرتُ في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة.



(١) حديث مرسل، انظر: تخريج الإحياء، للعراقي: ٢٠٥/١.

(٢) متفق عليه.

خُلق الإنسان، وخلق معه القلق، أو خُلق القلق ثم خُلق له الإنسان ليكابده.

وهناك نوعان من القلق: القلق الطبيعي، والقلق المرضي.

أما القلق الطبيعي: فهو الذي يمكن أن نُطلق عليه: القلق الصحي، أو القلق الذي لا حياة بدونه، أو الذي لا معنى للحياة بدونه، وإذا اختفى أصبح الإنسان مريضاً متبلِّد الوجدان.

وهوموم الحياة كثيرة: هموم العمل والمنزل، مرض الآباء أو الأبناء، ديون متراكمة أو خلافات عائلية، امتحانات أو مقابلات... وكلها حالات تبعث في النفس القلق، وقد تجعلنا نفقد شهيتنا للطعام، أو ربما نفقد السيطرة على أعصابنا لأتفه الأسباب... وقد نُحرم لذة النوم الهانئ، نتعذَّب بالانتظار والحيرة، ونذوق مرارة الحياة.. وتمرُّ الأيام، وتنقشع تلك المشاكل والهموم، ونرضى بالأمر الواقع، ويزول القلق، وننعم بالسكينة والهدوء، ثم تأتي مشكلة جديدة، ونمرُّ بتجربة أخرى، وهكذا هي الحياة..

وأما القلق غير الطبيعي: فهو إحساس غامض غير سارٍّ يلزم الإنسان، وأساس هذا الإحساس هو الخوف؛ الخوف من لا شيء، الخوف من شيء مبهم.

وفي حالات القلق يزداد إفراز مادة في الدم تدعى الأدرينالين، فيرتفع ضغط الدم، ويتسرَّع القلب، ويشكو الإنسان من الخفقان، أو يشعر وكأن شيئاً ينسحب إلى الأسفل داخل صدره، ويظن بقلبه الظنون، ويهرع من

طبيب إلى طبيب، وما به من علة في قلبه، ولا مرض في جسده؛ إلا أنه يظل يشكو من ألم في معدته واضطراب في هضمه، أو انتفاخ في بطنه، واضطراب في بوله، أو صداع في رأسه.

يقول ديل كارنيجي: «عشت في نيويورك أكثر من سبع وثلاثين سنة، فلم يحدث أن طرق أحدٌ بابي ليحذرنِي من مرض يدعى (القلق)، هذا المرض الذي سبَّب في الأعوام السبعة والثلاثين الماضية من الخسائر أكثر مما سبَّبه الجدري بعشرة آلاف ضعف! نعم لم يطرق أحد بابي ليحذرنِي أن شخصاً من كل عشرة أشخاص من سكان أمريكا معرض للإصابة بانهايار عصبي مرجعه في أغلب الأحوال إلى القلق!».

ويتابع كارنيجي القول: «لو أن أحداً مَلَكَ الدنيا كلها ما استطاع أن ينام إلا على سرير واحد، وما وسعه أن يأكل أكثر من ثلاث وجبات في اليوم، فما الفرق بينه وبين الفلاح الذي يحفر الأرض؟ لعلّ الفلاح أشدَّ استغراقاً في النوم، وأوسع استمتاعاً بطعامه من رجل الأعمال ذي الجاه والسطوة».

ويقول الدكتور الفاريز: «لقد اتضح أن أربعة من كل خمسة مرضى ليس لعلتهم أساس عضوي البتة، بل مرضهم ناشئ من الخوف، والقلق، والبغضاء والأثرة المستحكمة، وعجز الشخص عن الملاءمة بين نفسه والحياة».

قال المنصور:

كُنْ مُوسِراً إِنْ شِئْتَ أَوْ مُعْسِراً لَا بَدْءَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْغَمِّ
وَكُلُّ مَا زَادَكَ مِنْ نِعْمَةٍ زَادَ الَّذِي زَادَكَ فِي الْهَمِّ

والهموم تفتك بالجسم وتهرمه، قال المتنبي:

والهمُّ يخرِّمُ الجسيمَ نحافةً ويشيبُ ناصيةَ الصبيِّ ويُهَرِّمُ

وقد قرأنا كيف أن بكاء يعقوب عليه السلام على ابنه أفقده بصره، وكيف أن الغم بلغ مداه بالسيدة عائشة رضي الله عنها عندما تناول عليها الأفاكون؛ فظلت تبكي حتى قالت: «ظننت أن الحزن فالق كبدي».

وترى المهموم حزيناً مكتئباً.. ومن الناس من يستطيع كتمان همومه، ويبيدي لك نفساً راضية، ولربما ضحك المهموم وأخفى همومه، وفي أحشائه النيران تضطرم؛ قال الشاعر:

وربَّما ضحكَ المهمومُ من عجبٍ السنُّ تضحكُ والأحشاءُ تَضْطَرُّ

وقد ذمَّ الرسول ﷺ التكالب على دنيا الهموم؛ فقال: «مَنْ جعل الهم واحداً كفاه الله همَّ دنياه، ومن تشعبته الهموم لم يبالِ الله في أي أودية الدنيا هلك»^(١).

ويهدف هذا التوجيه النبوي إلى بث السكينة في الأفئدة، واستئصال شأفة الطمع والتكالب على الدنيا.. وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «من كانت الآخرة همَّه؛ جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا همَّه؛ جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما قدر له»^(٢).

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه الترمذي.

وسمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك الصبر، فقال: «سألت الله البلاء فسأله العافية»^(١).

ولا شك أن علاج الهموم يكمن في الرضا بما قَدَّرَ الله، والصبر على الابتلاء، واحتساب ذلك عند الله، فإن الفرج لا بد آتٍ.

وتذكر قول الإمام الشافعي رحمه الله في قصيدة من أجمل قصائده:

ولا تجزع لحادثة الليالي فما لحوادث الدنيا بقاء
ولا حزن يدوم ولا سرور ولا عُسر عليك ولا رخاء
وقال آخر:

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن إلا خالي البالي
ما بين غفوة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال
والساخطون والشاكون لا يذوقون للسرور طعماً؛ فحياتهم كلها سواد دامس، وليل حالك.

أما الرضا فهو نعمة روحية عظيمة لا يصل إليها إلا من قوي بالله إيمانه، وحسن به اتصاله.. والمؤمن راضٍ عن نفسه، وراضٍ عن ربه؛ لأنه آمن بكماله وجماله، وأيقن بعدله ورحمته.. ويعلم أن ما أصابه من مصيبة فبإذن الله؛ وحسبه أن يتلو قول الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].



الحياء لا يأتي إلا بخير

هكذا قال رسول الله ﷺ، كما يرويه البخاري ومسلم.

ألا يمنعك الحياء عن كل ما لا يرضى به الخالق والمخلوق؟!..!

ألا يمنعك عن فعل المحرمات وإتيان المنكرات؟!..!

ألا يصونك عن كل ما يستقبحه العقل الحكيم ويمجّه الذوق

الرفيع؟!..!

قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة،

والبداء^(١) من الجفاء^(٢)، والجفاء في النار»^(٣).

قال كعب: «استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في

علانيتكم».

فهل نستحيي من الله في خفايانا مثلما نستحيي من الناس في العلن؟!..!

وهل نراقب الله تعالى في الخفاء مثلما نخاف كلام الناس علينا إن أخطأنا

في علانيتنا؟!..!

قال أحدهم: من عمل في السر عملاً يستحيي منه في العلانية؛ فليس

لنفسه عنده قَدْرٌ!..!

فهل يقبل أحدنا ألا يكون له قَدْرٌ عند الله وعند الناس؟!..! والله در

الشاعر:

إذا لم نخشَ عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء

(١) البداء: الفحش.

(٢) الجفاء: ضد البر.

(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

فلا والله، ما في العيشِ خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهبَ الحياءُ
يعيش المرءُ ما استحيا بخيرٍ ويبقى العُودُ ما بقي اللِّحاءُ
ولكن هناك أمور ينبغي ألا تستحيي منها؛ افعلها بحكمة وأدب..
يقول أحدهم: ثلاثة لا تستحي منهنَّ:

- طلب العلم.. (فإذا لم تسأل وتسأل فلن تنال العلم أبداً).
- ومرض البدن.. (فإذا ما ابتلاك الله بمرض الجلد مثلاً فلا تنطوي على نفسك وتنزل عن الناس).
- وذو القربة الفقير.. (فإياك أن تستحيي من أن تقول: هذا ابن عمي أو ابن خالي).

وأعلى مراتب الحياء: استحياء الإنسان من ربه فلا يعصيه، ولا يقصّر في طاعته... يقول عليه الصلاة والسلام: «من استحيا من الله حق الحياء؛ فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله وَعَلَى حقَّ الحياء»^(١).

ومن الحياء رؤية نعم الله عليك وتقصيرك في حق الله تعالى، ومن استحيا من الله فأطاعه ولم يعصه؛ استحيا الله منه حين تعرض عليه أعماله يوم القيامة..

يروى أن امرأة العزيز لما همّت ببيوسف، غطت وجه صنم لها في زاوية البيت، فقال يوسف: ماذا تصنعين؟.. قالت: أستحيي منه.. فقال: أنا أولى أن أستحيي من الله تعالى!..



● حب أبي بكر رضي الله عنه:

يقول سيدنا أبو بكر رضي الله عنه: كنا في الهجرة وأنا عطشان جداً، فجئت بمذقة لبن فناولتها للرسول ﷺ، وقلت له: اشرب يا رسول الله.. يقول أبو بكر رضي الله عنه: فشرب النبي ﷺ حتى ارتويتُ!.

لا تكذب عينيك! فالكلمة صحيحة ومقصودة، فهكذا قالها أبو بكر الصديق رضي الله عنه.. شرب الرسول ﷺ فارتوى أبو بكر رضي الله عنه؛ هل ذقتَ جمال هذا الحب؟ إنه حبٌّ من نوع خاص! فأين نحن من هذا الحب؟!..

● حبُّ ثوبان رضي الله عنه:

غاب النبي ﷺ طوال اليوم عن سيدنا ثوبان - خادمه -، وحينما جاء قال له ثوبان رضي الله عنه: أوحشتني يا رسول الله!.. وبكى.
فقال له النبي ﷺ: «أهذا يبكيك؟».

قال ثوبان رضي الله عنه: لا يا رسول الله! ولكن تذكرتُ مكانك في الجنة ومكاني، فذكرتُ الوحشة.. فنزل قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]..

فأبشر فأنت مع مَنْ تحب!..

● حبُّ سواد بن غزيرة رضي الله عنه:

كان سواد بن غزيرة واقفاً يوم غزوة أحد وسط الجيش؛ فقال النبي ﷺ للجيش: «استووا.. استقيموا».

فنظر النبي ﷺ فرأى سواداً لم ينضبط؛ فقال النبي ﷺ: «استو يا سواد».

فقال سواد: نعم يا رسول الله.. ووقف، ولكنه لم ينضبط.

فجاء النبي ﷺ بسواكه ونخز سواداً في بطنه، قال: «استو يا سواد».

فقال سواد: أوجعتني يا رسول الله، وقد بعثك الله بالحق فأقذني!

فكشف النبي ﷺ عن بطنه الشريفة وقال: «اقتص يا سواد».

فانكبَّ سوادٌ على بطن النبي ﷺ يقبلها، يقول: هذا ما أردت، وقال: يا رسول الله! أظن أن هذا اليوم يوم شهادة؛ فأحببتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك.

● وأخيراً لا تكن أقل من الجذع!

كان النبي ﷺ يخطب في مسجده قبل أن يُقام المنبر بجوار جذع شجرة حتى يراه الصحابة.. فيقف النبي ﷺ يمسك الجذع، فلما بنوا له المنبر ترك الجذع وذهب إلى المنبر، فسمعنا - يعني: الصحابة - للجذع أنيناً لفراق النبي ﷺ، فوجدنا النبي ﷺ ينزل عن المنبر ويعود للجذع ويمسح عليه، ويقول له النبي ﷺ: «ألا ترضى أن تدفن هاهنا وتكون معي في الجنة؟!» فسكن الجذع.



العفو: هو أن تصفح عند المقدرة عمن هفا وأخطأ.. وهو يزيل ما في القلوب من عداوة وبغضاء، ويحفظ قدرك بين الناس، ويعوّضك الله الأجر في الآخرة.

يقول ﷺ: «ينادي منادٍ يوم القيامة: ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة» قال: ومن ذا الذي أجره على الله؟ قال: «العافون عن الناس»^(١).

فإذا كنت تريد أن تكون من هؤلاء الذين أجرهم على الله؛ فاعفُ واصفح عمن أساء إليك، أو أخطأ بحقك، أو قصّر معك؛ ألم يقل الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]؟!.

حلمٌ وصبرٌ على من أخطأ بحقك، وعفوٌ عمن ظلمك، وإعطاء لمن حرّمك العطاء، وصلة لمن بادرك بالقطيعة... أية أخلاق هذه أوصلت أصحابها إلى أعلى الدرجات يوم يقوم الأشهاد؟!..

يروى أن أعرابياً جاء به إلى السلطان ليحاكمه على تهمة..

فجاء وهو يقول: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِنْيَةً﴾ [الحاقة: ١٩].

ف قيل له: يقال هذا الكلام يوم القيامة.. وليس اليوم!..

فقال: والله إن هذا اليوم شرٌّ من يوم القيامة؛ ففي يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيئاتي، وأنتم اليوم جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي!..

فإذا كنتَ أباً وأخطأ ابنك مرة؛ فلا تنسَ كلَّ حسناته!..

وإن أخطأ صديقك بحقك مرة؛ فلا تنسَ جميل صحبته وحُسنَ عشرته . .

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :

«يا بن آدم . . إن بينك وبين الله خطايا وذنوب لا يعلمها إلا هو . . وإنك تحب أن يغفرها الله . . فإذا أردتَ أن يغفرها لك فاغفر أنت لعباده . . وإذا أحببتَ أن يعفوها عنك فاعفُ أنت عن عباده» .

ولقد كان لسان حال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ مع أعدائه : «من ضاق صدره عن مودتي، وقصرت يده عن معونتي؛ كان الله في عونه، وتولَّى جميع شؤونه . .

وإنَّ كل من عاداني وبالع في إيذائي؛ لا كدَّر الله صفو أوقاته، ولا أراه مكروهاً في حياته» .



مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تليجرام

يحكى أن ملكاً من ملوك الدنيا كانت لديه أربع زوجات :
الزوجة الرابعة كان يحبها حباً جنونياً، ويعمل كل شيء من أجل
رضاها ..

أما الثالثة فكان يحبُّها أيضاً، ولكنه يشعر أنها قد تتركه من أجل
شخص آخر ..

زوجته الثانية كانت هي من يلجأ إليها عند الشدائد، وكانت دائماً
تستمع إليه وتقف إلى جواره عند الضيق ..

أما الزوجة الأولى فكان يهملها ولا يهتم بها ولا يراعاها، رغم دورها
الكبير جداً، وحبها الشديد له، ومواقفها معه التي حافظت معه على
المملكة .

في يوم من الأيام مرض الملك مرضاً شديداً، وشعر باقتراب الأجل،
وفكر في حاله، وقال لنفسه: أنا لدي أربع زوجات، ولا أريد أن أذهب
وحدي إلى القبر .. سأل الملك زوجته الرابعة وقال لها: أحبيتك أكثر من
باقي زوجاتي، ولبيت كل رغباتك وطلباتك وأحلامك، فهل ترضين أن تأتي
معي إلى القبر لتؤنسي وحدتي؟ قالت له: مستحيل .. وانصرفت دون أي
تعاطف معه! ..

أحضر الملك زوجته الثالثة وقال لها: أحبيتك طيلة حياتي؛ فهل
ترافقينني في قبري؟ قالت له: بالطبع لا .. الحياة جميلة، ولا زال لدي
العمر، وعند موتك سأذهب وأتزوج من ملك آخر! ..

أحضر الزوجة الثانية وقال لها: كنت أُلجأ إليك عند الضيق، وطالما
ضحيت من أجلي وساعدتني، فهل تذهبين معي إلى القبر؟ فقالت له: لا

أستطيع تلبية هذا الطلب، وأكثر ما أستطيع فعله هو أن أوصلك إلى قبرك!..

حزن الملك حزناً شديداً على جحود زوجته، وإذا بصوت يأتيه من بعيد: أنا أرافقك في قبرك!.. أنا سأكون معك أينما ذهبت.

نظر الملك فإذا به يجد زوجته الأولى وهي في حالة هزيلة بسبب إهماله لها!.. ندم الملك على سوء رعايته لها في حياته وقال: كان ينبغي أن أعني بك وأرعاك أكثر من الباقين!.. ولو عاد بي الزمن لكنت أنت حبي الوحيد!.. في الحقيقة!.. كل واحد منا لديه أربع زوجات:

الزوجة الرابعة: هي الجسد الذي نحبه ونلبي له شهواته ورغباته دون حساب؛ وهي أول ما يتركنا بعد الموت.

الزوجة الثالثة: هي الأموال والممتلكات، التي ستركنا فور الموت وتذهب إلى شخص آخر.

الزوجة الثانية: هي الأهل والأصدقاء، الذين مهما بلغت تضحياتهم لنا في الحياة؛ فلا نتوقع منهم أكثر من إيصالنا إلى القبور عند موتنا!..

الزوجة الأولى: هي في الحقيقة حياتنا الروحية وعلاقتنا مع الله، التي غالباً ما ننشغل عن تغذيتها والاعتناء بها على حساب شهواتنا وأجسادنا؛ وأهلنا وأموالنا وأصدقائنا، مع أنها هي الوحيدة التي ستبقى معنا وقت أن ينفض من حولنا كل شيء!..

فإذا ما تمثلت حياتك الروحية لك اليوم على هيئة إنسان؛ فكيف سيكون شكلها وهيئتها؟ هل ستكون هزيلة ضعيفة مهملة؟ أم ستكون قوية معتنى بها وقادرة على الوقوف بجوارك وقت الشدة؟!..

عجل!.. فالوقت أمامك لتصحيح الخطأ!..

هل من الشكر لله إهدار الأموال الطائلة على التدخين
والمسكرات؟! ..

هل من الشكر لله إتلاف الصحة والشباب بالزنى والموبقات؟! ..

هل من الشكر لله استخدام نعمة الهاتف في إيذاء الآخرين
والمعاكسات؟! ..

هل من الشكر لله إلقاء الأطعمة الزائدة في صناديق القاذورات؟! ..

هل من الشكر لله منع الزكاة وقبض الأيدي عن الصدقات؟! ..

هل من الشكر لله تضييع كثير من المسلمين للصلوات في المساجد
والجماعات؟! ..

هل من الشكر لله محاربة الله تعالى بالتعامل بالربا في البنوك
والمؤسسات؟! ..

هل من الشكر لله ما تفعله بعض النساء من التبرج والسفور في
الطرق؟! ..

هل من الشكر لله إضاعة الوقت فيما لا يفيد على الإنترنت وفي
الفضائيات؟! ..

ألم يأمرنا الله تعالى بشكره والاعتراف بفضله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ
وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]؟! ..

ألم يخبرنا الله تعالى أنه لا يعذب الشاكرين: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ
إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]؟! ..

أليس حفظ النعم ودوامها مرهون بشكر الله على هذه النعم: ﴿وَأَذِّنْ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وأن رضاه ﷻ في شكره: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]؟! .

برُّ الوالدين صورة عملية لشكر الله على نعمة الوجود، وهي الطريقة إلى رضا الله؛ فالرسول ﷺ يقول: «رضا الله في رضا الوالدين»^(١).

وصلة الرحم صورة عملية لشكر الله على نعمة الأهل والأقارب، وهي الطريقة إلى طول العمر؛ فالرسول ﷺ يقول: «من سرّه أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه»^(٢).

والصدقة صورة واقعية لشكر الله على نعمة المال، وهي وسيلة إلى إطفاء غضب الرب؛ فالرسول ﷺ يقول: «صدقة السرّ تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء»^(٣).



(١) رواه ابن حبان.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح الجامع (٣٧٦٠).

مَنْ أَطِيبَ النَّاسَ عَيْشاً؟

دخل الفتح بن خاقان يوماً على الخليفة المتوكل، فوجده مطرقاً يفكر..

فسأله: بِمَ تفكر يا أمير المؤمنين؟

قال: أفكر بمن هو أطيب الناس عيشاً على الأرض!

فقال: أنت والله أطيبهم عيشاً وأنعمهم بالاً.

قال: لا.. لست أنا، لكن أطيب الناس عيشاً هو رجل له دار واسعة، وزوجةٌ صالحة، وأولادٌ برة، ورزقٌ يكفيه.. لا يعرفنا فنؤذيه، ولا يحتاجنا فنزدريه!..

ألم يقل الرسول ﷺ: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء.. وأربع من الشقاء: المرأة السوء، والجار السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق»^(١).

وكثيرون هم الذين يبحثون عن السعادة في غير مكانها!.. ومن هؤلاء ذلك المغني الشهير الذي ملأ الدنيا بصيته؛ إنه «إفلس بريسلي».. كان شاباً وسيماً، وكان لديه الكثير من النساء والسيارات والملابس واليخوت والفيلات... ومع ذلك ربما البعض لا يعلم كيف مات هذا المطرب الشهير! مات في المرحاض (التواليت) بعد أن تناول جرعة كبيرة من المخدرات! عاش كثيباً رغم كل ما نال من متاع الدنيا، ومات كثيباً بعد أن ضلَّ الطريق!.. لم يعرف طريق السعادة الحق في الإيمان، ولم يذق طعم السعادة التي ينالها عباد الله المخلصين!..

(١) رواه الحاكم والبيهقي، انظر: صحيح الجامع الصغير: (٨٨٧).

يقول أحد العارفين: لو يعلم السلاطين ما فينا من سعادة لقاتلونا عليها بالسيوف! .

وفرق كبير بين النجاح والسعادة؛ فالنجاح هو أن تظفر بما تريد، أما السعادة فهي أن تريد ما تظفر به .

يقول أوسكار وايلد: لا تعتبر السعادة سعادة إلا إذا اشترك فيها أكثر من شخص، ولا يعتبر الألم ألماً إلا إذا تحمَّله شخص واحد! والسعادة تكون في إسعاد الآخرين . .

ويقول كونت: لكي تحتفظ بالسعادة؛ عليك أن تتقاسمها مع الآخرين . .

ويقول أحدهم: أعظم سعادة جرَّبْتُها؛ هي أن أفعل العمل الطيب خفية، ثم أراه يظهر صدفة! . .

والسعادة في العطاء وفعل الخيرات، لا في الأخذ والكسب! . .

يقول سومرست موم: ننشأ ونحن نعتقد أن السعادة في الأخذ، ثم نكتشف أنها في العطاء! . .



إذا خاصمتَ أحداً وقاطعته فتذكر قول رسول الله ﷺ: «وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»^(١).

يروى أن جفوةً حصلت بين الحسين رضي الله عنه، وبين أخيه من أبيه محمد ابن الحنفية.. فلم يمضِ إلا يومان حتى بعث ابن الحنفية رسالة إلى الحسين يقول فيها:

أما بعد: فإن أبانا واحد؛ لا فخر لأحد على الآخر به.. وأما أمك ففاطمة الزهراء؛ وأين أمي من أمك؟! وأما أنت فسبط رسول الله؛ وأين أنا منك؟!.. فإذا أتاك كتابي هذا فقم إلي من فورك، وصالحني؛ لأن النبي ﷺ يقول: «وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»^(٢) وأنت خير مني.. والسلام.

انظروا إلى هذا الإيثار الرفيع؛ كان بإمكان ابن الحنفية أن يبادر بالسلام على الحسين، ويفوز بالأجر!.. ولكنه آثر أخاه الحسين على نفسه لينال أجر المبادرة بالمصالحة.. وذكره بأنه (أي الحسين) خير منه؛ ليستنهض همته بالمبادرة، ولأن الأخيار هم على الدوام أخيار.

ولكن هذا الإيثار قد يزول إذا كان الجزاء الجنة؛ فقد كان صحابة رسول الله ﷺ يتسابقون إلى جهاد العدو.. حتى إن الأب وابنه كانا يتسابقان؛ فإذا تعذر خروجهما معاً إلى الجهاد؛ اقترعا عليه؛ فإن خرجت القرعة لابن قال له أبوه: آثرني يا ولدي! فأنا أبوك!.. فيجيب الابن وقد امتلأت عيناه بالدموع: ولكنها الجنة يا أبتاه.. ولو كان شيء غير الجنة لآثرتك به والله!..

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

ولا شك أنك تتمنى الجنة لكلّ المسلمين، ولكن حين يشتد التنافس على الجنة فإنها للأحرص عليها.

أحبب الخير لكلّ الناس وليس لنفسك وحدها.

يقول أبو العلاء المعري:

ولو أني حُبِبْتُ الخُلْدَ فرداً لما أَحْبَبْتُ بالخُلْدِ انفراداً

فلا هَطَلْتُ عليّ ولا بأرضي سحائبُ ليسَ تنتظُمُ العباداً

فلا تجعل الأنانية تغلبك وتسيطر عليك، واسأل الله دوماً الخير

والبركات لكلّ المسلمين، وقل: اللهم ما دعوتُك من دعوةٍ إلا واشملُ بها جميع المسلمين.



لما كبر خالد بن الوليد رضي الله عنه أخذ المصحف وبكى...
وقال: «أشغلنا عنك الجهاد!».

فما أجمل هذا العذر؛ فبم نعتذر اليوم؟!.

فإذا كان خالد بن الوليد رضي الله عنه يقول هذا الكلام؛ فماذا نقول نحن؟!..

وإذا سئلنا يوم القيامة: ما الذي شغلنا عن القرآن؟ فيماذا نجيب؟!..

أفلا نحمل القرآن بين جوانحننا؛ نرتله آناء الليل وأطراف النهار حتى يكون حجة لنا لا حجة علينا؟!..

يقول عليه الصلاة والسلام: «عليك بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن. فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض»^(١).

وليست الغاية كثرة التلاوة دون فهم وتدبر لآيات القرآن، فلو تدبر الإنسان آيات معدودات؛ ورجع إلى كتب التفسير أو حلقات التفسير في المساجد، فوعاها وعمل بها؛ لكان خيراً كبيراً له.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمته الله:

«إن القرآن رسول حي تسأله فيجيبك، وتستمع إليه فيقنعك».

وفي القرآن شفاء لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان..

وفيه شفاء من القلق والحيرة والهوى ونزغات الشيطان..

وحين نقرأ القرآن تظنُّنا الملائكة، وتستمع لآيات الرحمن، وتقرب ملائكة السماء من ملائكة الأرض الذين يقومون الليل بالقرآن..

فهل نقرأ القرآن والناس نيام؟ هل نرتل آيات الرحمن فينصتُ إلينا ربُّ الأرض والسماء؟!..

إذا مرضتَ تذكر آيات الشفاء في القرآن؛ وهي ست:

١ - قال تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤١].

٢ - ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

٣ - ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

٤ - ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

٥ - ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] (عن العسل).

٦ - ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

وأخيراً لا تكن من الذين شكاهم النبي ﷺ إلى ربه ﷻ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

فلا تهجر تلاوته وسماعه، ولا تدبره والعمل به، ولا تحكيمة في كل الأمور.



مِنْ لُوحَات «اليرموك»

في معركة اليرموك بين المسلمين والروم رسمت لوحات خالداً على مرَّ العصور:

● فهذا رجل يقترب من أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه والقتال دائر، ويقول: إني قد عزمْتُ على الشهادة.. فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ أبلغها له حين ألقاه؟..

فيجيب أبو عبيدة: نعم.. قل له: يا رسول الله! قد وَجَدْنَا ما وَعَدْنَا ربنا حقاً!.

● وهذا عكرمة بن أبي جهل ينادي في المسلمين حين ثَقُلَتْ وطأة الروم عليهم قائلاً: لطالما قاتلتُ رسول الله قبل أن يهديني الله إلى الإسلام؛ أفأفِرُّ من أعداء الله اليوم؟!..

ثم يصيح: من يُبايِعُ على الموت؟.. فبايعه على الموت كوكبة من المسلمين، ثم ينطلقون معاً إلى قلب المعركة؛ لا باحثين عن النصر، بل عن الشهادة.. فيتقبَّل الله بيعتهم، فيستشهدون!.

● ثم انظر إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه على رأس مئة من جنده فقط؛ ينقضُّون على ميسرة جيش الروم وعددهم أربعون ألف جندي.. مئة يخوضون في أربعين ألفاً ثم ينتصرون!.. أليس ملء قلوبهم إيماناً بالله العلي الكبير.

● ويلتقي أحد قواد الروم واسمه «جرجه» بخالد بن الوليد في فترة من فترات الراحة بين القتال، فيسأل خالداً: يا خالد! إلامَ تدعون؟.

قال خالد: إلى توحيد الله.. وإلى الإسلام.

قال: هل لمن يدخل في الإسلام اليوم مثل ما لكم من المثوبة أو الأجر؟..

قال خالد: نعم.. وأفضل..

قال القائد الروماني جرجه: كيف وقد سبقتموه؟!.

قال خالد: لقد عشنا مع رسول الله ﷺ ورأينا آياته ومعجزاته، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يُسلم في يُسر.

أما أنتم يا مَنْ لم تروه، ولم تسمعه، ثم آمنتم بالغيب؛ فإنَّ أجركم أجزل وأكبر إذا صدقت الله سرائركم ونواياكم.

وعندها صاح القائد الروماني وقد دفع جواده إلى ناحية خالد: علّمني الإسلام يا خالد!.

أسلم، وصلى الله ركعتين لم يصلّ سواهما؛ فقد استأنف الجيشان القتال..

وقام «جرجه الروماني» في صفوف المسلمين مستميتاً في طلب الشهادة حتى نالها! (١).

أجل.. دخل الجنة - بإذن الله - بركعتين لا ثالث لهما..



(١) رجال حول الرسول، (بتصرف).

ما أن تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة حتى أسند إلى السَّمَح بن مالك الخولاني ولاية الأندلس ليكون أميراً عليها .

وصل الأمير الجديد إلى الأندلس، وبدأ يفتش عن أعوان الصدق والخير؛ فقال: هل فيكم أحد من التابعين؟ قالوا: فينا التابعي الجليل عبد الرحمن الغافقي.. فجعله أميراً على منطقة كبيرة في الأندلس..

ولم يمضِ إلا قليل حتى عزم «السمح بن مالك» على غزو فرنسا وضمّها إلى دولة الإسلام، وكان الطريق إليها أن تسقط مدينة «أربونة» المنيعه والمحصنة.. وبعد أربعة أسابيع من الحصار والقتال، سقطت هذه المدينة العظيمة، فهبّ «دوق أوكتانية» يستنفر - لحرب المسلمين - البلاد والعباد؛ أنذر ملوك أوروبا وأمراءها باحتلال ديارهم من قِبَل المسلمين.. فأرسلت شعوب أوروبا كلها أشدّ مقاتليها، فتشكل له جيش عظيم. حاصر المسلمون مدينة «تولوز» عاصمة مقاطعة أوكتانية، ودارت حرب ضروس (شرسة) بين المسلمين والفرنج.. وسقط خلالها السمع بن مالك شهيداً برمية من سهم خبيث.

فلما رآه المسلمون صريعاً فوق الثرى، تداعت صفوفهم، وكان في وسع جيش أوروبا أن يبيدهم عن بكرة أبيهم؛ لولا أن تداركتهم العناية الربانية بقيادة عبد الرحمن الغافقي، فتولى أمر انسحابهم بأقل قدر من الخسائر، وعاد بهم إلى إسبانيا.

وصدرت أوامر الخلافة في دمشق بأن يكون عبد الرحمن الغافقي أميراً للأندلس.. كان الغافقي تقيّاً نقيّاً، حكيماً مقداماً، فأعاد لجنود المسلمين الثقة بأنفسهم لتحقيق الهدف الأكبر وهو الانطلاق من فرنسا إلى

إيطاليا وألمانيا والوصول منهما إلى القسطنطينية (إستنبول) تحقيقاً لبشارة الرسول ﷺ حين قال: «لنفتحنَّ عليكم القسطنطينية؛ ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش»^(١).

وكان يوقن بأن الإعداد للمعارك الكبرى إنما يبدأ بإصلاح النفوس؛ فهبَّ يطوف بلاد الأندلس، ويأمر المنادين أن يُنادوا في الناس: مَنْ كانت له مظلمة عند والٍ من الولاة أو قاضٍ من القضاة أو أحد من الناس؛ فليرفعها إلى الأمير، ولا فرق بين المسلمين وغيرهم.

فاقتصَّ للضعيف من القوي، وللمظلوم من الظالم، وأعاد الحقوق إلى أصحابها.. عزل من عُثمَّاله من ثبتت خيانتة، وولَّى مكانه من استوثق من صلاحه.

دعا الغافقي مرة أحد كبار المعاهدين من فرنسا وسأله: ما بال ملككم الأكبر «شارل» لا يتصدى لحربنا؟!..

فقال: لقد سُئل الملك شارل هذا السؤال فأجاب: لقد رأيت ألا نتعرض لجيوش المسلمين؛ فإنهم الآن كالسيل الجارف يقتلع كل ما يعترض طريقه.. فلهم إيمان وصدق يقومان مقام الدروع والخيول.. ولكن أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم، ويتخذوا لأنفسهم الدور والقصور، ويستكثروا من الإماء والخدم، ويتنافسوا فيما بينهم على الرئاسة؛ فعندئذ تتمكّنون منهم بأيسر السبل وأقلّ الجهد^(٢).

أليس هذا حالنا هذه الأيام؟!..



(١) رواه الحاكم، وابن عبد البر في الاستيعاب.

(٢) صفحات من حياة التابعين، (بتصرف).

معركة بلاط الشهداء

قال الشاعر الإنجليزي (سوذي) يصف جيوش المسلمين التي غزت أوروبا بعد فتح الأندلس: «جموع لا تُحصى من عرب وبربر ورُوم وفرس وقبط وتتر، قد انضوا جميعاً تحت لواء واحد، يجمعهم إيمان ناثر، وأخوة مذهلة لا تفرّق بين البشر.. ولم يكن قادتهم أقل منهم ثقة بالنصر؛ آمنوا بأن جيوشهم ستندفع دائماً إلى الأمام حتى يصبح الغرب كالشرق؛ يُطأطئ الرأسَ إجلالاً لاسم (محمد).. وحتى ينهض الحاجّ من أقاصي القطب الشمالي إلى أن يطأ بأقدام الإيمان الرمالَ المُحرّقة، ويقف فوق صخور (مكة) الصلدة».

كان الجيش الذي قاده عبد الرحمن الغافقي فيه الأبيض والأسود، والعربي والأعجمي.. وكانت عدة جيشه مئة ألف مجاهد..

ووجد دوق أوكتانية (أمير مقاطعة أوكتانية) قد عبأ قواته لصدّ الزحف الإسلامي على مدينة (آرل: مدينة جنوب فرنسا).

انتصر المسلمون في هذه المعركة وغنموا الغنائم الكبيرة، ثم اتجه المسلمون إلى مدينة (بوربدو) كبرى المدن الفرنسية وعاصمة مقاطعة (أوكتانية)، وسقطت المدينة وغنم المسلمون غنائم أكبر..

وفي العَشرِ الأخير من شهر شعبان (١٠٤هـ) زحف الغافقي بجيشه الجرار على مدينة (بواتيه).. وهناك التقى مع جيوش أوروبا الجرارة بقيادة (شارل مارتل)، ووقعت بين الفريقين إحدى المعارك الفاصلة في تاريخ البشرية كلها، وقد عُرفت هذه المعركة بمعركة (بلاط الشهداء).

كان الجيش الإسلامي في ذروة انتصاراته، ولكن كاهله كان مُثقلًا بالغنائم التي تكدست في أيدي جنوده.

نظر عبد الرحمن الغافقي إلى هذه الثروة الطائلة نظرة قلق وإشفاق؛ فقد كان لا يأمنُ أن تشغلَ هذه النفائس قلوبهم عند اللقاء.. جمع هذه الغنائم في مخيمات خاصة جعلها وراء المعسكر قبل نشوب القتال..

استمرت المعركة سبعة أيام طويلة ثقيلة، فلما كان اليوم الثامن كرَّ المسلمون على عدوهم كرة واحدة، ففتحوا في صفوفه ثغرة كبيرة لاح من خلالها النصر للمسلمين..

عند ذلك أغارت فرقة من كتائب الفرنجة على معسكرات الغنائم، فلما رأى المسلمون أن غنائمهم قد أوشكت أن تقع في أيدي أعدائهم، تراجع كثير منهم لاستخلاصها منهم.. فتصدعت صفوفهم.. وذهبت ريحهم..

فهبَّ القائد العظيم يعمل على رد المنكفئين ومدافعة المهاجمين.. وفيما كان الغافقي يستبسل في الدفاع كرّاً وفرّاً، أصابه سهم نافذ، وخرَّ صريعاً شهيداً على أرض المعركة.. فلما رأى المسلمون ذلك عمَّهم الذعر وسادهم الاضطراب، واشتدت عليهم وطأة العدو..

فلما أصبح الصبح وجد (شارل مارتل) أن المسلمين قد انسحبوا من (بواتيه) فلم يجرؤ على مطاردتهم، ولو طاردهم لأفناهم..

لقد كان يوم بلاط الشهداء يوماً حاسماً في التاريخ؛ أضاع فيه المسلمون أملاً من أعزّ الآمال، وفقدوا خلاله بطلاً من أعظم الأبطال، وتكررت فيه مأساة يوم (أحد)^(١)! سنّة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً!^(٢)



(١) إن الحرص على الغنائم أيضاً في أحد كان سبباً في هزيمة المسلمين.

(٢) صفحات من حياة التابعين، (بتصرف).

معاملة الأبناء فنّ (١)

معاملة الأبناء فنّ يستعصي على كثير من الآباء والأمهات في فترة من فترات الحياة، وكثيراً ما يتساءل الآباء عن أجدى السبل للتعامل مع أبنائهم.

والحقيقة أن إحساس الولد بنفسه يأتي من خلال معاملتك له، فإن أنت أشعرته أنه «ولد طيّب»، وأحسسته بمحبتك، فإنه سيكون عن نفسه فكرة أنه إنسان طيب مُكرّم، وأنه ذو شأن في هذه الحياة.. أما إذا كنت قليل الصبر معه، تشعره أنه «ولد غير طيّب»، وتنهال عليه دوماً باللوم والتوبيخ، فإنه سينشأ على ذلك، ويكون فكرة سلبية عن نفسه، وينتهي الأمر إما بالكآبة والإحباط، أو بالتمرد والعصيان.

١ - علّمه أين العيب:

إذا رأيته يفعل أشياء لا تحبّها، أو أفعالاً غير مقبولة، فأفهمه أن العيب ليس فيه كشخص، بل إن الخطأ هو في سلوكه وليس فيه كإنسان.

قل له: «لقد فعلت شيئاً غير حسن» بدلاً من أن تقول له: «إنك ولد غير حسن».. وقل له: «لقد كان تصرفك مع أخيك قاسياً» بدلاً من أن تقول له: «إنك ولد شقي».

٢ - تجنّب المواجهات الحادة:

فمن الأهمية أن يعرف الوالدان كيف يتجاوبان برفق وحزم في آن واحد مع مشاعر الولد، فلا مواجهة حادة بالكلام أو الضرب، ولا مشاجرة بين الأم وابنها، إنما بإشعاره بحزم أن ما قاله شيء سيئ لا يمكن قبوله، وأنه لن يرضى هو نفسه عن هذا الكلام.

ولا يعني ذلك أن يتساهل الوالدان بترك الولد يفعل ما يشاء، بل لا بد من وجود ضوابط واضحة تحدّد ما هو مقبول، وما هو غير مقبول؛ فمن حق الطفل أن يعبر عن غضبه بالبكاء أو الكلام، ولكن لا يسمح له أبداً بتكسير الأدوات في البيت، أو ضرب إخوته ورفاقه.

٣ - أحبب أطفالك ولكن بحكمة:

ولا يمكن للتربية أن تتم بدون حب؛ فالأطفال الذين يجدون من مربّيهم عاطفة واهتماماً ينجذبون نحوه، ويصغون إليه بسمعهم وقلوبهم؛ ولهذا ينبغي على الأبوين أن يحرصا على حبّ الأطفال، ولا يقوموا بأعمال تبغّضهم بهما، كالإهانة والعقاب المتكرّر والإهمال، وحجز حرياتهم، وعدم تلبية مطالبهم المشروعة.

وعليهما إذا اضطررا يوماً إلى معاقبة الطفل أن يسعيا لاستمالته بالحكمة، لئلا يزول الحبّ الذي لا تتم تربية بدونه. . . وليس معنى الحب أن يستولي الأطفال على الحكم في البيت أو المدرسة، يقومون بما تهوى أنفسهم دون رادع أو نظام! فليس هذا حبّاً، بل هو الضعف والخراب، وإن حبّ الرسول ﷺ لأصحابه لم يمنعه من تكليفهم بالواجبات، وسوقهم إلى ميادين الجهاد، وحتى إنزال العقوبة بمن أثم وخرج على حدود الدين؛ ولكن ذلك لم يسبب فتوراً في محبة الصحابة لنبيّهم، بل كانت تزيد من محبتهم وطاعتهم لنبيّهم.



معاملة الأبناء فنّ (٢)

٤ - احترمى زوجك:

ويحتاج الأب لكي يظفر بصداقة أبنائه إلى عطف زوجته واحترامها له؛ فالزوجة الصالحة هي التي تشعر أبنائها في كلّ وقت بعظمة أبيهم، وتقودهم إلى احترامه وحبّه، وتؤكد في أنفسهم الشعور بما يملك من جميل المناقب والخصال؛ وهي تقول للطفل: تمسّك بهذا الخُلُق، فإنه يرضي أباك، وتجنّب ذلك الخُلُق فإنه يغضب أباك ويغضب ربك.

٥ - هدية.. ولو درهم:

وإذا أردت أن تصادق طفلك، فلا بد أن تعرف أن فمه أكثر يقظة من عقله، وأن صندوق الحلوى أفضل إليه من الكتاب الجديد، وأن الثوب المرقش أحبّ إليه من القول المزخرف.. وإن الأب الذكي هو الذي يدخل البيت وفي يده هدية أو تحفة أو طرفة، وليذكر دوماً أن في الدنيا أشياء هي عندنا أو هام، وهي عند الأطفال حقائق، ولن نظفر بصداقتهم إلا إذا رأينا الدنيا بعيونهم.

٦ - استمع إلى ابنك:

إذا أتاك ابنك ليحدّثك عمّا جرى معه في المدرسة، فلا تضرب بما يقول عرض الحائط؛ فحديثه إليك في تلك اللحظة - بالنسبة له - أهم من كل ما يشغل بالك من أفكار؛ فهو يريد أن يقول لك ما يشعر به من أحاسيس، بل وربما يريد أن يعبرّ لك عن سعادته وفرحه بشهادة التقدير التي نالها في ذلك اليوم.

أعطه اهتمامك إن هو أخبرك أنه نال درجة كاملة في ذلك اليوم في امتحان مادة ما؛ شجعه على المزيد، بدلاً من أن يشعر أنك غير مبالي بذلك.

وإذا جاءك ابنك الصغير يوماً يخبرك بما حدث في المدرسة قائلاً: «لقد ضربني فلان في المدرسة»، وأجبتة أنت: «هل أنت واثق بأنك لم تكن البادئ بضربه؟» فتكون حقاً قد أغلقت باب الحوار مع ابنك. . . حيث تتحول أنت في نظر ابنك من صديق يلجأ إليه إلى محقق أو قاضٍ يملك الثواب والعقاب.

بل ربما اعتبرك ابنك أنك محقق ظالم يبحث عن اتهام الضحية ويصرُّ على اكتشاف البراءة للمعتدي.

٧ - داعب أطفالك:

كان رسول الله ﷺ يداعب الأطفال ويرأف بهم، ومن ذلك مواقفه المعروفة مع أحفاده وأبناء الصحابة رضوان الله عليهم:

روى أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قبّل الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الأولاد ما قبّلت منهم أحداً! فنظر الرسول الكريم ﷺ إليه ثم قال: «من لا يرحم لا يُرحم»^(١).

وكان معاوية رضي الله عنه يقول: «من كان له صبي فليتصاب له».

وكان رسول الله ﷺ يداعب الأطفال فيمسح رؤوسهم، فيشعرون بالعطف والحنان؛ فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، قال: مسح رسول الله ﷺ بيده على رأسي وقال: «اللهمّ اخلف جعفرأ في ولده»^(٢).

كما كان يمسح خدّ الطفل كما ورد في صحيح مسلم: عن جابر بن سمرة، قال: صليت مع رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان - أي: صبيان - فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً.



معاملة الأبناء فن (٣)

٨ - اترك لطفلك بعض الحرية:

وأسوأ شيء في دورنا ومدارسنا - كما قال أحد المربين - المراقبة المتصلة التي تضايق الطفل وتثقل عليه، فاترك له شيئاً من الحرية، واجتهد في إقناعه بأن هذه الحرية ستسلب إذا أساء استعمالها.

إن الطفل يشعر بدافع قوي للمحاربة من أجل حريته، فهو يحارب من أجل أن يتركه الأب يستخدم أغراضه بالطريقة التي يهواها، ويحارب من أجل ألا يستسلم لارتداء الجوارب بالأسلوب الصحيح.

وباختصار: لا تجعل أكتاف الطفل ملعباً تلهو به بكرة القلق الزائد.

٩ - أوامر حازمة.. لكن بحكمة:

ينبغي أن تكون الأوامر حازمة، وأن تتضمن اللهجة أيضاً استعداد الأب والأم لمساعدة الطفل، فإذا كان الطفل قد فرش أرض الغرفة بلُعبه الكثيرة فيمكن للأم أن تقول له: هيا نجمع اللعب معاً.. وهنا تبدأ الأم في جمع لعب الطفل، وسيبدأ الطفل فوراً في مساعدة الأم.

وكثيراً ما نجد الطفل يتلجأ، بل قد يبكي ويصرخ عندما تطلب منه الأم بلهجة التهديد أن يذهب ليغسل يديه أو أن يدخل الحمام؛ فكلما زاد على الطفل الإلحاح شعر بالرغبة في العناد، وعدم الرغبة في القيام بما نطلب منه من أعمال.

وبعض الآباء يتفاخرون بأن أبنائهم لا يعصون لهم أمراً، ولا يفعلون شيئاً لم يؤمروا به!! والبعض الآخر يتعاملون مع أطفالهم وكأنهم ممتلكات خاصة لا كيان لهم.. وآخرون يكلّفون أبنائهم فوق طاقتهم،

ويحمّلونهم من المسؤوليات ما لا يطيقون.. في كل هذه الحالات بُعد عن الأسلوب الحكيم في التربية.

١٠ - قللوا من التوبيخ:

انتبهوا أيها الآباء والأمهات إلى ضرورة التقليل من التوبيخ الأوتوماتيكي وغير الضروري؛ فالطفل ليس آلة نديرها حسبما نشاء!.. إن له إبداعه الخاص في إدارة أموره الخاصة، فلماذا نحرمه من لذة الإبداع؟!.. وكثيراً ما يُواجه الطفل بالعديد من الأسئلة والأوامر: «لماذا تضحك هكذا؟ لماذا تمشي هكذا؟.. انطق الكلمات نطقاً سليماً.. لا تلعب بشعرك.. اذهب ونظّف أسنانك».

وكل ذلك قد ينعكس في نفس الطفل فيولد حالة من عدم الاطمئنان، أو فقدان الثقة بالنفس.. وكثيراً ما ينال الطفل الأول الحظ الأوفر من الرقابة الصارمة من قبل الأبوين، ثم ما يلبث الأبوان أن يشعرا بأنهما قد تعلّما الكثير من طفلهم الأول، فيشعران أنهما بحاجة لإعطاء وليدهما الثاني بعض الحرية، فيتصرفان مع الطفل الثاني بمزيد من الثقة خلافاً للطفل الأول.

وعلى الأم أن تنمّي عادة الحوار الهادئ مع طفلها، فتطرح عليه بعض الأسئلة لترى كيف يجيب عليها، وتعوّده على عدم رفع الصوت أثناء الحديث، وعدم مقاطعة المتحدثين، وهكذا..

تسأله مثلاً: «ماذا تفعل لو رأيت أخاك يضربه رفاقه؟ وماذا تفعل لو رأيت طفلاً مجروحاً في الطريق؟».

فالأطفال الذين لا يكلمهم آباؤهم إلا نادراً ينشؤون أقل ثقة بالنفس من الذين يعوّدهم آباؤهم على الكلام والحوار الهادئ.

الناس - في الحقيقة - مختلفون في طباعهم؛ فمنهم من طُبع على العطاء، ومنهم من طُبع على الأخذ، ومنهم من يعطي تحت ضغط الخوف، أو طلباً للجزاء، ومنهم من يجد في العطاء لذة لا تعدلها لذة.

وهذا ما عناه الشاعر بقوله :

ليس يُعطيك للجزاء ولا للخوف ولكن يَلدُّ طَعْمَ العطاء

خرج عبد الله بن جعفر رضي الله عنه يوماً إلى ضيعة له، فمرَّ على بستان فيه غلام أسود يعمل فيه .

أخذ الغلام ثلاثة أرغفة ليأكلها وقت الغداء، فدخل البستان كلبٌ ودنا منه يهز ذيله استعطافاً، فرمى إليه برغيف فأكله، ثم رمى الرغيف الثاني فأكله، ثم رمى الثالث فأكله وذهب . . وعبد الله ينظر إلى الغلام مستغرباً! . . سأله : ما هو طعامك طيلة اليوم؟ .

فقال : ثلاثة أرغفة . .

قال عبد الله : أراك أظعمتها للكلب .

قال الغلام : أجل . . إن أرضنا ليست بأرض كلاب، وإني رأيتُ هذا الكلب أتى جائعاً من أرضٍ بعيدة، فكرهتُ أن أردّه خائباً! . .

قال عبد الله : فماذا ستأكل اليوم؟ .

قال : سأصوم إلى أن أفطر غداً على رزقٍ جديد .

فقال عبد الله لنفسه : والله إن هذا الغلام أسخى مني، هذا أكرم الناس! وذهب فاشترى البستان والعبد، وأعتقه ووهب له البستان، وما زال

يعتقد أن ذلك العبد هو أسخى منه! فقد تبرّع الغلام بكل ما يملك، وتبرّع هو بجزء يسير من ماله!.

فإذا كان هذا الغلام قد أبى أن يردّ كلباً جائعاً، فأعطاه قوتَ يومه كله؛ فماذا يقول بعض الموسرين منا لمن يطلب منهم عوناً لإخوانهم المسلمين الذين يتضوّرون جوعاً في إفريقية أو بنغلاديش وغيرها من البلدان؟!..

فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبّه بالكرام فلاح وقد يكون الكرم صيانة لعفة الإنسان، فتنفق المال لتعفّ شاباً أو فتاة، تساعدكما على الزواج، أو تدفع عنهما شرّ الحرام.

جاءت امرأة إلى حسان بن سنان تسأله صدقة، فنظر إليها فإذا هي جميلة جداً، فقال: يا غلام! أعطها أربعة آلاف درهم!.

ف قيل له: أعطيتها هذا المبلغ الضخم، وكان يكفيها منك درهم أو درهما!.

فقال: لما نظرتُ إلى جمالها عرفتُ أن الطامعين فيها كُثُر، فخشيتُ أن يجرّها جمالها إلى الوقوع في معصية الله، فأحببتُ أن أغنيها عسى أن يرغب أحدٌ في مالها وجمالها، فيتزوجها وتُصان في ذلك.

فهل فكّر الموسرون في تحصين الشباب والفتيات، وتزويجهم كي لا يقعوا في مستنقع الفواحش والفجور؟!..

لا شك أن هناك مشاريع لتزويج الشباب، فلنبارك هذه المشاريع، ولنندعمها حتى تُصان الأنفس، ويُؤجّر المتبرّعون.. فهنيئاً لمن فعل تلك الخيرات!..

قال: على أي شيء أحمد الله؟..

إياك أن تعترض على مَنْ خلق الأرض والسموات، لا تبارزه بالمعاصي فما لك طاقة على غضبه، ولا صبر لك على عقابه، ولا قدرة لك على عذابه.

يروى الدكتور عبد المحسن الأحمد قصة قريب له؛ قال له أخوه: «أحمد ربك يا أخي».

فقال الشاب: وعلى أي شيء أحمد الله؟..

سَمِعَهُ مَنْ؟.. سَمِعَهُ ﴿مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨]..

سَمِعَهُ مَنْ حَرَّكَه؛ وغيره ما يتحرك..

سَمِعَهُ مَنْ شَقَّ بصره؛ وغيره ما يبصر..

سَمِعَهُ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٦]، وهو يجحد نعمة الله..

يقول: وعلى أي شيء أحمد الله؟..

اتصل بي أخوه، وقال: تعال كلمه، فقد عجزت عن الكلام!

فلما أتيتُ إذا بأمه تبكي، فقد علمتُ أنه أساء الأدب مع جبار السموات والأرض، فالتجأت إلى الله أن يُلطف بحاله.

لم أجده، فقد خرج في نفس اللحظة، يسوق بسرعة (١٨٠ كم/ساعة).. وما هي إلا دقائق فإذا بالسيارة - بعد أن قال الجبار: ﴿كُنْ﴾ - تنقلب..

والله لقد خرَّق الزجاج أجزاء جسمه.. وكنتُ أنا من أخرج من رأسه الزجاج في غرفة الإسعاف.. وأخرجت من عينه - والله - حجراً بهذا الحجم.. وأنا أقول له: تذكر كلامك يا فهد اليوم..

وهو يبكي ويصرخ؛ جسمه كله مخرق، فقد قذفت به السيارة واشتعلت بجانبه ..

رأى الموت بعينه وما كان بينه وبين الموت إلا خطوة ..

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾

[هود: ١٠٢].

● رسالة إلى عاصي:

يا من تعصي الله تصوّر نفسك لو كنت من أهل النار؛ هل سترضى بشيء من هذا العذاب؟ .. لا والله ..

إذن فتب إلى الله وارجع عما يكرهه، تقرب إليه بالأعمال الصالحة عسى أن يرضى عنك، وابك من خشيته عسى أن يرحمك.

لا تستهن بمعصيته، ولا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من تعصيه؛ وهو الله جلّ، وتقدّست أسماؤه ..

املاً قلبك من خشيته قبل أن يأخذك بغتة ..

تدرك نفسك قبل لقائه، فكأنك بالموت قد نزل بك؛ وحينها لا ينفعك ندم ولا استدراك ما مضى.





نصف تفاحة.. وإمام

كان ثابت بن إبراهيم يسير ذات يوم في الكوفة؛ إذ سقطت تفاحة من بستان فأخذها، فأكل نصفها، ثم تذكر أنها ليست مُلكه، فدخل على البستاني وقال له: لقد أكلتُ نصف تفاحة؛ فسامحني فيما أكلتُ، وخذ النصف الباقي..

فقال البستاني: ليس لي ذلك؛ فالبستان مُلكُ سيدي وهو يسكن على بعد مسيرة يوم وليلة..

فقال له: لأذهبَنَّ إليه مهما كان الطريق بعيداً..

وصل ثابت إلى بيت صاحب البستان، فقال له: يا سيدي سامحني فيما أكلتُ من التفاحة.. وهذا هو نصفها الآخر!..

فنظر إليه صاحب البستان وقال: يا هذا! لا أسامحك إلا بشرط واحد.

فقال ثابت: وما هو؟

فقال له: أن تتزوج ابنتي! ولكن أريد أن أخبرك عن صفاتها قبل أن تعقد عليها.. فهي عمياء لا ترى، بكماء لا تتكلم، وصمّاء لا تسمع، ومُقعّدة لا تتحرك!..

احتار ثابت في الأمر؛ أهذه زوجة تصلح لأن أتزوجها، ومن أجلها لا يسامحني فيما أكلت من التفاحة؟!..

وافق ثابت وقال: قبلت خطبتها، وسأقوم على خدمتها، وبذلك أكسب ثوابها عند الله تعالى.

دعا أبوها بشاهدين، ودخل ثابت على زوجته فألقى عليها السلام.. فردّت عليه السلام ونهضت واقفة، ووضعت يدها في يده، فقال ثابت: عجيب أمرها قد ردّت السلام فهي ليست صماء!.. وقامت واقفة فهي إذن ليست مقعدة!.. ومدّت يدها إلى يدي فهي إذن ليست عمياء!..

فقال لها: لماذا أخبرني أبوك أنك عمياء بكماء صماء مقعدة؟

ف قالت: قد صدق أبي؛ فأنا عمياء لأن عيني لم تنظر إلى ما حرّم الله، وأنا صمّاء الأذنين عن كل ما لا يرضي الله.. وبكماء اللسان؛ لأن لساني لا يتحرك إلا بذكر الله.. ومقعدة لأن قدمي لم تحملني إلى مكان يُغضب الله تعالى..

فقال ثابت: فنظرتُ إلى وجهها فكأنما هو قطعة من القمر ليلة التمام..

دخل بها، وأنجب منها مولوداً ملأ طباق الأرض علماً وفقهاً.. إنه الإمام الجليل أبو حنيفة النعمان بن ثابت..

ألم تكن نصف التفاحة هذه سبباً طيباً في ولادة إمام؟!..





أبو حنيفة النعمان (٨٠ - ١٥٠هـ)

يقول مالك بن أنس لأصحابه: أتدرون مَنْ هذا النعمان؟.. لو قال: «هذه الأسطوانة من ذهب» لخرجتُ كما قال!..

لم يكن أبو حنيفة يُحسن الهزل أو يهوى المزاح، كان ثابتاً؛ حتى إنه بينما كان يُلقي درسه في المسجد ذات يوم إذا بثعبان غليظ يسقط في حجره، فهرب الناس، وما زاد هو على أنه نفّض الحيّة عن ثيابه وجلس مكانه!..

ولد أبو حنيفة في الكوفة، ولم يجد في أول شبابه من يُرشده إلى طلب العلم؛ فاشتغل بالبيع والشراء، إلى أن لقيه الإمام الشعبي فوجّهه إلى طلب العلم ومجالسة العلماء، فوقع ذلك في قلبه، فترك السوق واتجه إلى حَلَق العلم..

وهذا ما يؤكد أهمية التوجيه والإرشاد للشباب والفتيات في ذلك السُرّ المبكر؛ فقد لا يعلم أحدهم بدقة الطريق الأمثل له في الحياة، وتراه يتقلب في توجهاته؛ فتارة يهوى الطب أو الهندسة مثلاً، وتارة يريد أن يكون في مجال الكمبيوتر أو سواه.. فلا بد للأب أو المعلم أو المربي أن يكتشف تلك القدرات عند ذلك الشاب، فيوجهه بلطف وإقناع إلى ذلك الطريق..

بدأ أبو حنيفة طريقه العلمي في علم الكلام والمنطق، فظلّ زمناً يجادل ويناضل، ولم يلبث أن صحّح اتجاهه، فترك علم الكلام وهجر الجدل وجلس في حلقة (حمّاد).. فكان يحفظ كل ما يقوله حمّاد، ولازمه عشر سنين..

ولكن نفس أبي حنيفة تاقت لأن ينفرد عنه ويتخذ لنفسه حلقة في

المسجد، وفجأة غاب حمّاد ولمدة شهرين في سفر، فاستخلف أبا حنيفة في حلقة. . . وقد سُئل أبو حنيفة في غيبة حمّاد عن ستين مسألة لم يكن سمعها منه، فأجاب فيها، ثم عرضها على حمّاد فوافقه في أربعين وخالفه في عشرين. . .

وهنا صمّم أبو حنيفة على ألا يغادر حلقة حمّاد حتى يموت. . . أليس في هذا درس لطلبة العلم؛ فقد يظن أحدهم أنه أصبح (عالمًا) وهو ما زال في أول الطريق، فيفتي ويصول ويجول! . . .

وظل أبو حنيفة ملازمًا حمّادًا حتى مات، وظل يجعله ويستغفر له في الصلاة؛ يقول أبو حنيفة: ما صليت صلاة منذ مات حمّاد إلا استغفرت له مع والديّ، وما مددت رجلي نحو داره رغم أن بيني وبينه سبع سكك (أي: سبع طرق)، وإني لأستغفر لمن تعلّم منه أو علّمني. . .

انظروا إلى هذا الأدب الرفيع مع مَنْ تعلّم منه؛ يستغفر لمعلّمه دبر كل صلاة، ويتأدّب معه بعد مماته، فلا يمدُّ رجله تجاه داره! . . .

أين هذا من حال بعض طلابنا الذين يشتمون المعلّمين، أو يستهزئون بهم، أو يرى الطالب معلّمه في الشارع فيشيع بوجهه عنه؟! . . .

أين نحن من احترام من علّمنا أو تعلّمنا منه؟! أين نحن من الوفاء لهؤلاء الذين أعطونا من علمهم، وبذلوا جهدهم في التعليم والتوجيه والإرشاد؟! . . . ألم يقل الشاعر:

فَمُ لِلْمَعْلَمِ وَفِيهِ التَّبْجِيلَا كَاذَ الْمَعْلَمِ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا

ورحم الله من قال: من علّمني حرفاً صرْتُ له عبداً (بمعنى التقدير)! . . .

مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩هـ)

«مالك» صاحب المذهب المالكي.. عاش في المدينة، ولم يبرحها طوال حياته.. بلغ به الورع أنه كان لا يركب ناقة في المدينة، ويقول: أخشى أن تضع حافرها موضع قدم رسول الله ﷺ.. بل بلغ به الورع أنه كان يسير حافياً.

روى مالك مئة ألف حديث جمع منها في «الموطأ» (كتاب الأحاديث المشهور) حوالي ألفي حديث.. قال عنه - «الموطأ» - مالك: ألفتُه في أربعين سنة، وأخذتموه في أربعين يوماً.

أصبح له درسٌ خاص في مسجد رسول الله ﷺ وهو في سنِّ السابعة عشرة..

ألا يتمنى شبابنا أن يكونوا كمالك ﷺ؛ يصبح أحدهم أستاذاً في مسجد رسول الله ﷺ وهو ما يزال في ريعان الشباب؟! وبلغ من تكريمه لحديث رسول الله ﷺ أنه ما جلس يتحدث قبل أن يغتسل ويتطيب ويلبس أحسن لباسه.. وكان لا يرفع صوته عند حديث النبي ﷺ؛ فهل نتأدب نحن مع رسول الله ﷺ حينما نذكر سيرته، أو أحاديثه، أو ندخل مسجده؟!..

كان مالك شجاعاً، يقول ما يعرف، ولا يبالي أن يعلن أنه لا يعلم.. ولطالما جاءه من يسأله، فكان يجيب: لا أدري.

يقول مالك في صفة من يؤخذ عنه العلم:

لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سواهم:

لا يؤخذ من سفيه..

ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعته..

ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس ..

ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحمل وما يحدّد نسبه .

وقف مالك من الخلفاء موقف الحر الكريم، وأفتى بأن «لا يمين على مُكره»، وأحلّ الناس في المدينة مما أبرموه من وعود لوالي المدينة المستبدّ . وجرؤ والي المدينة على ضرب مالك سبعين سوطاً انخلعت لها كتفه، وصبّ عليه الماء في الشتاء البارد .

فلما بلغ ذلك الخليفة المنصور أعظمه إعظاماً شديداً وأنكره .

مالك إمام دار الهجرة يُضرب بالسياط بسبب جرأته في الحق! ..

هكذا تكونُ الجرأة في الحق تعرّض صاحبها للمحن، فلا ينشئ ولا يتراجع، مثلما امتحن أحمد بن حنبل في محنة خلق القرآن؛ ضُرب وأُهين، وما تراجع عن الحق أبداً .

يقول المؤرّخون: إن مالكا بعد تلك الحادثة أصبح أكثر رفعة في الناس وأعظم شأنًا، وكأنما كانت تلك السياط وساماً على صدر مالك! ..

وظل مالك طوال حياته بعيداً عن محيط الخلفاء، متجرّداً لحديث رسول الله ﷺ، غاية في الورع والأناقة وحسن الثياب ..



الإمام الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ)

سأل عبد الله بن أحمد بن حنبل والده: يا أبت! أي رجل كان الشافعي؟ قال ابن حنبل: كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للأبدان...
وُلد الشافعي في غزة بفلسطين، وتنقّل بين مكة والمدينة وبغداد، ثم استقر في مصر حتى آخر حياته.

أنضجت هذه الرحلة ذهن الشافعي، فقد غيّر مذهبه الذي وضع أصوله في العراق حين استقرّ في مصر، ووضع بدلاً عنه مذهبه الجديد.
وُلد الشافعي في العام الذي مات فيه أبو حنيفة، وتلقّى على مالك في المدينة، ثم كان ابنُ حنبل من تلاميذه!..

كان الشافعي رياضياً؛ فقد تعلّم الرماية وأجادها... وقال عن نفسه: كانت همتي في الرمي والعلم. وبلغ به حب الرماية أن جلال السن والإمامة لم يكونا يمنعه من مزاولتها؛ (فلماذا نستحي من ممارسة رياضة السباحة إن كنّا في سنّ متقدمة؟!).

أفتى وهو ابن عشرين! وكان يجلس في حلقة إذا صلّى الصبح فيجئته أهل القرآن فيسألونه، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث يسألونه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فجاء أهل العربية بالشعر والنحو... وهكذا حتى يأتي المساء والشافعي جالس في حلقة لا يضيق بالعلم ولا بالناس.

كان مفرط الذكاء، فقد كان يحفظ الصفحة من الكتاب من المرة الأولى التي يقرأها! وقد اجتمع للشافعي علمان: علم مالك الذي لزمه حتى مات، وعلم أبي حنيفة الذي أخذه من محمد بن الحسن.
قال الشافعي: ما ناظرتُ أحداً فأحببتُ أن يخطئ، وما في قلبي من

علم إلا وددت أنه عند كل أحد، ولا يُنسب إليّ. وقال: والله ما شبعْتُ منذ ست عشرة سنة؛ لأن الشبع يثقل البدن، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويُضعف صاحبه عن العبادة.

دخل أحد العلماء على الإمام الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟.

قال: أصبحت عن الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولسوء عملي ملاقياً، ولكأس المنية شارباً، وعلى ربي وارداً.. ولا أدري أروحي صائرة إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها.. ثم أنشد:

ولما قسا قلبي وضافت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
فيا ليت شعري هل أصير لجنة فأهنأ وإما للسمير فأندما

فإذا كان الإمام الشافعي لا يعرف إلى جنة أم إلى نار يصير؛ فماذا نقول نحن؟!..



أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ)

ما ذُكِرَتِ «المحنة» في تاريخ الإسلام؛ إلا ذكر أحمد بن حنبل وتلميذه في الاجتهاد والمحنة «ابن تيمية».

لقد امتدت محنة «خلق القرآن» أربع عشرة سنة عجافاً..

بدأت هذه المحنة حينما دعا «المأمون» الفقهاء ليقولوا مقالة في «خلق القرآن»، وكان قد اتخذ من المعتزلة وزراءه وصفوته، وآمن معهم بأن «القرآن حدث مخلوق».

وفي عام (٢١٨هـ) أرسل كتبه إلى الأقاليم والأمصار يطلب امتحان الفقهاء والمحدثين في القول بأن القرآن مخلوق، وهَدَّدَهم بأنهم سينالون العقوبة الصارمة إن لم يقرّوا بوجهة نظره..

وتهاوى الفقهاء واستسلموا، ولم يصمد إلا أحمد بن حنبل.

مات «المأمون» وأوصى أخاه «المعتصم» بالاستمساك بمذهبه ودعوة الناس إليه.. ومضى «المعتصم» يأخذ الناس بالشدة بهذه المحنة.

وأعيد أحمد بن حنبل إلى السجن في بغداد، ثم حمل إلى «المعتصم» فناظر قاضي القضاة، وأصر أحمد على رأيه بأن القرآن غير مخلوق.

ومضت السياط تسفع جسده النحيل في عنف وقسوة حتى أغمي عليه، وظلوا يضربونه مراراً وتكراراً، وقضى في السجن أكثر من ثمانية وعشرين شهراً، ثم أطلق سراحه فأقام في بيته، وحيل بينه وبين الإفشاء.

ثم تولى «الواثق» فأعاد محاكمة أحمد وامتحانه، وأصرّ أحمد على أن القرآن غير مخلوق، فطلب الواثق منه أن يخرج من بغداد، فخرج خمس سنوات حتى مات الواثق.

وهنا رفعت المحنة بعد أربع عشرة سنة، صمد فيها أحمد بن حنبل وقال: «لا» وأصرّ عليها، ولم ترهبه الشياطين في الحق ولا في ذات الله، واحتمل المحنة صابراً راضياً.

جاءه «المروزي» يوماً وهو في المحنة فقال: هؤلاء قدّموك للضرب والله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]. فقال: يا مروزي! اخرج وانظر. قال: فخرجتُ فرأيتُ في فسحة دار الخليفة خلقاً كثيراً والصحف والأقلام في أيديهم.. فقلتُ: أي شيء تعملون؟ قالوا: ننظر ما يقول أحمد فنكتبه! فرجع إلى أحمد وأخبره.

فقال الإمام أحمد: أأضلّ هؤلاء؟! كلا.. بل أموت ولا أضلهم.

قال المروزي: هذا رجل هانت عليه نفسه في الله..

وجاء «المتوكل» فارتضى مذهب ابن حنبل، واضطهد المعتزلة، وانتقل الأمر من النقيض إلى النقيض، وأصبح ابن حنبل من المقرّبين، ومع ذلك لم يذهب عنه وقاره ولا زهادته، عاش فقيراً يعمل ولا يقبل العطاء.. رفض عطاء المتوكل الذي عرض عليه المال الكثير.

يقول فيه الشافعي: خرجت من بغداد وما خلّفت فيها أفقه ولا أروع ولا أعلم من أحمد بن حنبل.

لم يجلس ابن حنبل للفتيا والحديث إلا بعد سنّ الأربعين.

وضع في كتابه «المسند» ثلاثين ألف حديث، وله كتب أخرى عديدة^(١).



(١) الجباه العالية، (بتصرف).

رأى الحسن البصري قوماً يعصون ربهم، فقال تلك الكلمة البليغة:

هانوا على الله فعصوه، ولو عزُّوا عليه لَعَصَمَهُمْ..

فإذا أحبَّ الله عبداً عَصَمَهُ عن السيئة، وإذا هان عليه انسلخ ذلك العبد في المعاصي..

فهل يرضى أحدنا - وهو يعصي الله - بأنه يكون هيئاً على الله، رخيصاً عند ربه؟!..

إذا دعُتْك نفسك إلى معصية، فذكِّرها سوء عاقبتها، وتذكَّر أن الله مَظْلَعٌ عليك، وقل لنفسك: لو رآك رجل تحترمه وتوقُّره لاستحييت منه؛ فكيف لا أستحيي من ربي تبارك وتعالى؟!..

وسائلُ نفسك: هل تأمن تعجيل عقوبته وكشف ستره؟!..

وتذكَّر أنك لا تقدر أن تعصيه إلا باستعمال تلك النعم التي أنعم بها الله عليك، فكم له من نعمة في عينك التي نظرتُ إلى ما حرَّم الله؟ وكم له من نعمة في يدك التي مدَّتها إلى معصيته؟ وفي لسانك الذي نطقَ به بما لا يحلُّ لك؟ فهل من شكر المنعم أن تعصيه في تلك النعم؟!..

تذكَّر أن الله الذي يرى النملة السوداء في الليلة الظلماء تحت الصخرة الصماء؛ يراك..

زَيْنُ الشيطان يوماً لرجل أن يخلو بامرأة لا تحلَّ له، فلما صار في دارها سألتها: أيرانا أحد؟ قالت: لا، إلا الله تعالى..

فبكى الرجل وقال: والله لا أجعلُ ربي أهونَ الناظرين.. لو كان

الذي يراني ولدٌ صغيرٌ لما تجرأتُ على فعل شيءٍ أمامه؛ فكيف والذي يراني هو رب العالمين؟! ..

خرج من عندها وقد تملّكه الخوف من الله، تذكّر قول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

يقول الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل: خلوت ولكن قل: عليّ رقيبٌ
ولا تحسبن الله يغفل لمحّة ولا أن ما تُخفي عليه يغيبُ
وبقدر ما يصغر الذنب عند العاصي، بقدر ما يعظم عند الله.

قال ابن القيم رحمه الله: «فاستقلال العبد للمعصية من الجرأة على الله، لأنه إذا استصغر المعصية هان أمرها، وخفت على قلبه، ولم يجد حرجاً في الاستزادة منها!».

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: إن المؤمن من يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فطار! ..



لا تشكُّ ربَّ العباد إلى العباد

مَنْ مِنَّا لا يتلى في هذه الحياة ولو مرَّة؟! ..

مَنْ مِنَّا لا يصاب بمرض أو شدة أو محنة؟! ..

فماذا تفعل إذا أُصبت بمرض شديد؟! ..

أتشكو ربَّ العباد إلى العباد؟! أتتذمر وتقول: لماذا ابتلاني الله بالمرض؟! ماذا فعلت حتى أُصاب بما أُصبتُ به؟! ..

أتحدِّثك نفسك وتقول: «لم أعد أصبر على ذاك البلاء»، «لقد سئمتُ الحياة مع هذا المرض، فيا ليتني أموت وأنتهي مما أنا فيه؟! ..

لا يا أخي! فالله ﷻ يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، والحياة دار ابتلاء؛ يمحِّص الله فيها الصابرين من الشاكرين المتذمِّرين ..

والشكوى إلى الله لا تتنافى مع الصبر الجميل، ولكن الله ﷻ يمتقُّ من يشكوه إلى خلقه! ..

رأى بعض السلف رجلاً يشكو إلى رجلٍ مرَّضه وفقره، فقال: يا هذا ما زدت على أن شكوتَ من يرحمك إلى من لا يرحمك! ..

يروى أن أحد الصالحين مرَّ بشيخٍ أعمى وقد أصابه الفالج وأتت عليه الأمراض، وسمعه يقول: «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من الناس، وفضّلني على كثير من خلقه تفضيلاً».

فسأله: هل لي أن أعرف ممَّ عافاك الله، وما أراك إلا مُقعداً مشلولاً وقد أُصبتَ بكل تلك البلايا والأمراض؟! ..

فقال الشيخ الأعمى المشلول: أصلحك الله يا هذا! أما ترى أن الله عافاني في لساني؛ فأنا أحمدُه به في كل آن، وعافى قلبي؛ فأنا أذكرُه في كل حين؟! .
مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تليجرام

دخل رسول الله ﷺ على أعرابي يعودُه، فقال: «لا بأس عليك، طهور إن شاء الله» قال الأعرابي: طهور؟! بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تزيره القبور.. قال النبي ﷺ: «فنعَم إِذَا»^(١).

مرض أحد الصالحين وكُفَّ بصره، واعتراه ألم لا يهدأ بالمسكنات، فدخل عليه أحد تلامذته فوجده يبكي، فأخذَ يواسيه ويطلب منه الصبر على قضاء الله..

فقال له: والله لا أبكي ضجراً من ألمي، ولكني أبكي فرحاً لأن الله وجدني أهلاً لأن يبتليني!..



هل تريد أن تصبح مغروراً؟

هذه وصفة سحرية تجعلك مغروراً بين الناس :

- فتش عن مديح الناس ؛ فهذا يُشعرك أنك رجل عظيم يستحق هذا المديح ، ويُشعرك أنك خيرٌ من الآخرين ..
- حاول تغيير أناس ليكونوا مثلك ؛ فأنت خيرٌ منهم ..
- افرح عند فشل الآخرين ؛ ففشلهم يُبدي نجاحك وتفوقك عليهم ..
- إذا وجّه إليك أحدهم النقد ، فابذل جهدك في الدفاع عن نفسك ؛ فَمَنْ هؤلاء الذين ينتقدونك؟! وبأي حق يفعلون ذلك؟! ألا يعلمون من أنت؟! .
- إذا قابلت أحداً ؛ فركّز على الأمور التي تتفوق فيها عليه ، وركّز على نقاط ضعفه ، حتى تشعر أنك خير منه ..
- قاطع حديث الناس ؛ فما تقوله أهم بكثير من الذي عند غيرك ..
- حاول أن تجعل المجلس يدور حولك وحول أحاديثك ؛ فلا تنسَ أنك خير الموجودين^(١) ..

بالله عليك ؛ أتريد أن تكون هذا الإنسان المغرور؟! أتريد أن تلقى الله بمثل هذه الأخلاق وهذا السلوك؟! ماذا تقول لربّ العالمين عندما يسألك عن غرورك ، عن تكبرك على الناس؟! ..

ألم يقل الله تعالى : ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم : ٣٢]؟! .

وقال رسول الله ﷺ: «إذا قال الرجل: هَلَكَ الناس؛ فهو أَهْلُكُم»^(١).

يقول الإمام النووي: «وهذا النهي لمن قال ذلك عُجْباً بنفسه، وتصاغراً للناس، وارتفاعاً عليهم؛ فهذا هو الحرام.. وأما من قاله لما يرى في الناس من نقص في أمر دينهم، وقاله تحزناً عليهم وعلى الدين؛ فلا بأس به».

أوصى الحسن البصري أحد طلابه قائلاً: يا بني خذ هذه البطاقة فهي خير لك من ألف كتاب:

لا تغترّ بمكان صالح؛ فلا مكان أفضل من الجنة، ولقد لقي فيها أبونا آدم ما لقي..

ولا تغترّ بكثرة العبادة؛ فانظر ما لقي إبليس عند عصيانه لله تعالى بعدما مكث في العبادة!.

ولا تغترّ برؤية الصالحين؛ فلا شخص أعظم من المصطفى ﷺ، فلم ينتفع به الكفار والمنافقون..

ولا تغترّ بكثرة العلم؛ فإن العلم إذا لم يقترن بالإيمان لم يوصل صاحبه إلى الجنة.

يقول سفيان بن عيينة: من كانت معصيته في الشهوة؛ فارجُ له من الله المغفرة، ومن كانت معصيته في الكبر؛ فاخشَ عليه؛ فإن آدم عصى مشتهياً فغفر له، وإبليس عصى متكبراً فلعن!..



الحسن البصري (٢١ - ١١٠ هـ)

نشأ الحسن البصري (الحسن بن يسار) في بيت من بيوت رسول الله ﷺ، ورُبي في حجر زوجة من زوجات النبي ﷺ؛ هي أم سلمة رضي الله عنها؛ فقد كانت أمه «خيرة» أمةً لأم سلمة، وكان أبوه «يسار» مولى لزيد بن ثابت رضي الله عنه، وكثيراً ما كانت «خيرة» أم الحسن البصري تخرج من البيت لقضاء بعض حاجات أم المؤمنين، فكان الطفل الرضيع يبكي من جوعه، فتأخذه «أم سلمة» إلى حجرها، وتلقمه ثديها لتشغله عن غياب أمه؛ فكانت لشدة حبها إياه يدُرُّ ثديها لبناً سائغاً في فمه، وبذلك أصبحت أم سلمة رضي الله عنها أماً للحسن من جهتين: فهي أمه بوصفه أحد المؤمنين، وهي أمه من الرضاع أيضاً.

تلمذ على أيدي كبار الصحابة في مسجد رسول الله ﷺ، ولما بلغ أربع عشرة سنة انتقل مع أبويه إلى «البصرة» واستقرَّ فيها، ومن هنا نُسب الحسن إلى «البصرة»، وعُرف بين الناس بالحسن البصري.

كان أحد القلائل الذين تصدوا لطغيان الحجاج بن يوسف الثقفي، ومن ذلك أن الحجاج بنى لنفسه بناءً في «واسط» (مدينة بين البصرة والكوفة)، ونادى الحجاج في الناس أن يخرجوا للفرجة عليه.

ولما وصل الحسن المكان، ورأى جموع الناس تطوف بالقصر المنيف مأخوذة بروعة بنائه؛ وقَفَ فيهم خطيباً وقال: لقد رأينا «فرعون» شيد أعظم مما شيد، وبنى أعلى مما بنى... ثم أهلك الله «فرعون» وأتى على ما بنى وشيد (أي: دمر)! ليت الحجاج يعلم أن أهل السماء قد مقتوه، وأن أهل الأرض قد غرَّوه!... ومضى يتدفق على هذا المنوال حتى أشفق عليه أحد السامعين من نقمة الحجاج، فقال له الحسن: لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم لبيِّنَّته للناس ولا يكتُمونه.

وفي اليوم التالي دخل الحجاج إلى مجلسه وهو يتميز من الغيظ، وقال لجُلَّاسه: تَبَّاً لكم وسحقاً! يقوم عبد من عبيد أهل البصرة، فيقول فينا ما شاء أن يقول ثم لا يجد فيكم من يَرُدُّه أو ينكر عليه! والله لأسقينكم من دمه يا معشر الجبناء! .. ثم أمر بالسيف والجلَّاد، وأمر الشرطة بإحضار الحَسَن، وما هو إلا قليل حتى جاء الحسن، فشخصت نحوه الأبصار..

فلما رأى الحَسَنُ السيفَ والجلَّاد، حرَّك شفتيه، ثم أقبل على الحجاج وعليه جلال الإيمان، ووقار الداعية إلى الله..

فلما رآه الحجاج هابه أشدُّ الهيبة، وأجلسه إلى جانبه، والناس ينظرون بدهشة واستغراب! .. وجعل يسأله عن بعض أمور الدين، والحسن يجيبه بثبات وبيان وعلم واسع.. وقال الحجاج: أنت سيد العلماء يا أبا سعيد! وودَّعه بالاحترام والتقدير..

ولما خرج الحسن من عنده تَبِعَهُ حاجب الحجاج وقال له: يا أبا سعيد: لقد دعاك الحجاج ليقتلك، وإنني رأيته عندما أقبلت ورأيت الجلَّاد أمامه قد حرَّكت شفتيك؛ فماذا قلت؟.

قال الحسن: لقد قلت: يا وليَّ نعمتي وملاذي عند كُربتي، اجعل نِقْمَتَهُ برداً وسلاماً عليَّ كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم^(١).



هل أنت تحبُّ الله؟

سأل أحدهم ذا النون: من أصحاب؟.

قال: اصحب من إذا مرضت عافاك، وإذا أذنبت تاب عليك، وإذا سأله أعطاك، وإذا استعنت به أعانك.

فهل بعد صحبة الله صحبة؟ إذا سجدت فأخبره بأمرك سرّاً؛ فإنه يعلم السر وأخفى، ولا تُسمع من بجوارك؛ فإن للمحبة أسراراً، وابعث رسائلك وقت السحر.. رسائل مدادها الدمع، وقراطيسها الخدود، وبريدها القبول إن شاء الله..

بعض الناس يفهم الدين على أنه مجموعة من الأوامر والنواهي، وحدود الحلال والحرام.. وينسى أن محبة الله ورسوله هي فوق كل شيء.

فالحب هو رأس القضية، وإذا غاب ذلك الحب فإن كل العبادات والطاعات لن تصنع متديناً مسلماً.

وإذا كنت ممن يدّعي محبة الله؛ فاجعل تلك المحبة تظهر في سلوكك، في كلامك، في أخلاقك وأفعالك.. وإلا لما كنت من المحبين!..

يروى أن رجلاً كان في سفر، فصادف امرأة ذات حُسن وجمال، فقال لها: كُلِّي بكلِّك مشغول (أي: إني مفتون بك).. فقالت له: إن كنت صادقاً؛ فكلِّي لكلِّك مبذول، لكن لي أختاً أجمل مني، وهي وراءك؛ فإن شئت فاختر إحداها.

فالتفت الرجل إلى الخلف، فإذا بالمرأة الأخرى تلطمه على وجهه وتقول: إليك عني أيها المخادع! أتدّعي محبتي ثم تنظرُ إلى غيري؟! أتيت

إِلَيَّ وَزَعَمْتَ أَنَّكَ عَاشِقٌ، فَلَمَّا جَرَّبْتُكَ وَجَدْتُكَ كَاذِبًا! فَبَكَى الرَّجُلُ وَحَثَا عَلَى رَأْسِهِ التُّرَابَ وَقَالَ: ادَّعَيْتُ مُحِبَّةَ مَخْلُوقٍ، فَلَمَّا أَعْرَضْتُ عَنْهُ أَتَيْتَنِي اللَّطْمَةَ عَلَى وَجْهِهِ ..

فَكَمْ ادَّعَيْتُ مُحِبَّةَ الْخَالِقِ ثُمَّ أَعْرَضْتُ عَنْهُ، وَاشْتَغَلْتُ بِسِوَاهُ، فَتَأْتِينِي اللَّطْمَةُ فِي قَلْبِي فَلَا أَشْعُرُ بِهَا ..

هَلْ وَصَلْتُ إِلَى دَرَجَةٍ يَنْطَبِقُ عَلَيَّ فِيهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿بَلَّ رَأْسَكَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]؟ .

تُرَى كَمْ مَنَّا مَنٍ ادَّعَى مُحِبَّةَ اللَّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ وَقَصَّرَ فِي صَلَاةِ جَمَاعَةٍ أَوْ صَوْمِ نَفْلٍ أَوْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ؟! ..





طلب العلم عبادة

شرف العلم لا يخفى على أحد؛ فيه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة، وأمرهم بالسجود له .

والله ﷻ رفع قدر العلماء والمتعلمين؛ فقال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] .

يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه: «تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه عبادة، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله قربة»^(١) .

والعلم يرفع شأنك بين الناس، وبه تزداد قرباً من الله . .

يقول أبو بكر الوراق:

والعلم يرفع أقواماً بلا حساب فكيف من كان ذا علم له حساب
فاطلب بعلمك وجه الله محتسباً فما سوى العلم فهو اللهو واللعب
ولا بد لطالب العلم من أن يتحلى بآداب وأخلاق حميدة:

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والجلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ليتواضع لكم من تعلمونه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء؛ فلا يقوم علمكم بجهلكم» .

وليس من العيب أبداً أن نقول: لا نعلم . . وما أجمل قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال: ما أبردها على القلب! إذا سئل أحدكم فيما لا يعلم أن يقول: الله أعلم . .

ولا تكتُم الناس علماً تعلَّمته مهما كان، والرسول ﷺ يقول: «بلغوا عني ولو آية»^(١). لا تستهين بما تعلم وتقول: إن علمي قليل؛ فالرسول ﷺ يقول: «من كتم علماً؛ ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»^(٢).

ولا خير في علم لا يُعملُ به، وإلا أصبح صاحبه كالحمار يحمل أسفاراً.

يقول أبيّ بن كعب رضي الله عنه: تعلَّموا العلم واعملوا به، ولا تتعلموه لتتجملوا به؛ فإنه يوشك إن طال بكم الزمان أن يُتجملَ بالعلم كما يتجملُ الرجلُ بثوبه!..

يقول عليه الصلاة والسلام:

«لا تعلَّموا العلم لتباهوا به العلماء، أو لتماروا به السفهاء، أو لتصرفوا وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار»^(٣).



(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح الترغيب (١٢١).

(٣) صحيح ابن ماجه (٢١٠).



سيأتي عليه يوم

كان أبو يوسف أحد التلاميذ النجباء عند الإمام أبي حنيفة، توفي أبوه وهو صغير، فأخذته أمه ليعمل عند أحد التجار..

ولكنه كان يحب العلم منذ صغره، فكلما مرَّ في طريقه إلى دكان التاجر؛ توقَّفَ عند حلقة أبي حنيفة ليتعلم منها.. لاحظت أمه تأخر ابنها في الذهاب إلى الدكان، فوجدته مراراً جالساً في حلقة أبي حنيفة!

ولما تكرر ذلك قالت الأم لأبي حنيفة: إنك تُفسد عليَّ ابني؛ فهذا ولد يتيم وليس لديَّ دخلٌ إلا من مغزلي..

فقال أبو حنيفة: اسكتي يا هذه! فإن ابنك يتعلَّم العلم، وسيأتي عليه يومٌ يأكل فيه الفالودج (نوع من الحلوى) في صحن الفيرودج!

فقالت: إنك شيخ كبير قد خرَّفت!..

ومرَّت الأيام، وأصبح أبو يوسف قاضي القضاة في عهد هارون الرشيد، فجيء له ذات يوم بصحن من الفيرودج فيه فالودج!..

فقال له الرشيد: كُلْ منه فإنه لا يُصنع لنا إلا نادراً.

فقال: وما هذا يا أمير المؤمنين؟

قال: فالودج.. فتبسم أبو يوسف، فسأله الرشيد: ما لك تبسم؟

فقصَّ عليه مقولة أبي حنيفة: سيأتي عليه يوم يأكل فيه الفالودج في صحن الفيرودج؟

فقال الرشيد:

من أراد الدنيا فعليه بالعلم..

ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ..

ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم ..

ورحم الله أبا حنيفة فإنه كان يرى بعين قلبه ما لا يراه الناس بعيون رؤوسهم! ..

يقول الإمام الشافعي : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه قال : لئن أجلس ساعة فأفقه في ديني ، أحب إليّ من أن أحيي ليلة إلى الصباح .

قال المزني : روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن الشياطين قالوا لإبليس : ما لنا نراك تفرح بموت العالم ما لا تفرحه بموت العابد؟ .
قال : انطلقوا ..

فذهبوا إلى عابدٍ ، فقال له إبليس : هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ فقال : لا أدري .

قال إبليس : رأيتم؟! لقد كفر في الساعة ..

ثم جاؤوا إلى عالمٍ يحدث أصحابه ، فقال إبليس : هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ قال : نعم ، قال : وكيف؟ قال : يقول : كن ، فيكون .



همسة في أذن الطالبات

اجعلي من طلبك للعلم وسيلةً لنصرة الدين والاعتزاز به، تتعبدن الله بخروجك إلى طلب العلم.

تمرّسي على التعلّم والمطالعة، وحافظي أثناء ذلك على العفة والحياء، والطهارة والنقاء! وإليك بعض الوصايا التي لا غنى للطالبات عنها:

١ - تذكّري: أن ذهابك لطلب العلم هو عبادة وتدين، قال ﷺ: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما ولاه، وعالماً أو متعلماً»^(١).

ومهما كان اختصاصك في العلوم، سواء في العلوم الشرعية أو غيرها كالفيزياء والطب والكمبيوتر... فأنت ملزمة في ذلك بالإخلاص؛ لأنه يحوّل عاداتك إلى عبادات، ويملاً صحيفتك بالثواب الجزيل على ما تتعلمين.

٢ - حافظي على حجابك أثناء الخروج والدخول، وفي الشارع والمدرسة والجامعة؛ فإن الحجاب لا ينافي العلم، بل التبرج هو الذي ينافيه وينقضه؛ لأنه محرّم شرعاً ومعاب عقلاً، وقد دلّت التجربة الميدانية في الغرب وفي كثير من الدول الأخرى على فساد، وتسببه في الأمراض والأوبئة الفتاكة! فتأملي!...

واعلمي أيضاً أن الحجاب لا ينافي الجمال ولا يعيبه، بل يحفظه ويستره؛ لثلاث تنهشه أنياب الذئاب، ممن طاش عقلهم واستهوتهم الشياطين!.

وتذكّري أيضاً: أن الحجاب له أوصاف معلومة لا تتجدد بتجدد الموضة والأزياء، بل هي ثابتة ثبات الجبال، وباقية بقاء الكتاب والسنة!

وأما فيما يخص ميدان التعليم فعليك بالآتي:

- ١ - ذاكري الدروس قبل الشرح وبعده.
- ٢ - نظمي وقتك بوضع جدول يومي تُخططين فيه للمطالعة وللثقافة وللزيارة وللعبادة وغيرها؛ حتى لا تختلط عليك الأمور.
- ٣ - اصغي إلى الشرح داخل الفصل، واسألي عن الغامض في الدروس.
- ٤ - اجتهدي وكوني ذات همّة عالية في التحصيل، فإن الأخت المسلمة كلما تقوّت بعلم أو غيره؛ كانت عامل قوة للأمة كلها.
- ٥ - استعيني بالله - جلّ وعلا - على الفهم والتعلم، وفي الاختبار أيضاً^(١).



(١) همسة في أذن الطالبات، دار ابن خزيمة، (بتصرف).

بعث إليَّ طالبٌ في السنة الأولى من كلية الطب رسالة يقول فيها: «إنه يشعر بالفتور ويتهيب دراسة الطب». . . وهو الذي حفظ القرآن كاملاً!

فقلت له: لقد رضي الله عنك يا بنيّ إذ أدخلك كلية الطب، ولقد منّ عليك بمهنة من أشرف المهن في الوجود.

يقول الإمام الشافعي: «لولا اشتغالي بالفقه وحاجة الناس إليّ فيه، لاشتغلت بالطب».

فلماذا تشعر بالفتور والوجل؟! . .

يا بنيّ! والله لو أنني متُّ ألف مرة، وعدتُ إلى الحياة ألف مرة، وخيرتُ بين كليات العالم أجمع. . . لما اخترتُ سوى كلية الطب! . .

فبسمه ترسمها على وجه مريض خيرٌ لك من الدنيا وما فيها، ولأن تصغي إلى مريض يبتك شكواه، ثم تصف له العلاج الناجع بإذن الله تعالى، لهو خير لك من مال الدنيا ونعيمها.

ولربّ دعوة في ظهر الغيب يُرسلها إليك مريض - شفي بإذن الله تعالى على يديك - أجدرُ بالأجابة من ملايين الدعوات.

يا بنيّ! لا تقل: إن الطريق طويل، وأنا ما زلتُ أحبو في أوله. .

ولا تقل: إن الطب خِصمٌ عميق، وأنا أتعثرُ على شاطئه. .

فإذا دخلتَ مخابر كلية الطب فسبح الله، وإذا سمعتَ عن آيات الله في جسم الإنسان فوحد الله، وإذا نظرتَ إلى تكوين الإنسان فمجد الله. .

وإذا قلبتَ النظر في علوم التشريح والنسيج والجراثيم وغيرها؛ فتذكّر صنعة الخالق العظيم. .

فالطب محراب كوني بديع؛ كل شيء في الوجود يسبح الله؛ فكيف بهذا الإنسان الذي يقول عنه ربنا في محكم كتابه: ﴿وَقَدْ أَنْفَسَكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]؟!

وما هي إلا سنتان أو ثلاث حتى تدخل المستشفى طالباً يشكو إليك المرضى أوجاعهم؛ تسمع إليهم، تخفف عنهم، تبسم في وجوههم، تمنحهم الأمل بالشفاء بإذن الله تعالى.. وفي كل ذلك خير عظيم.. تسمع دعوات المرضى تنهال عليك بالرضا والثناء من كل مكان، وتسمع دعواتهم لوالديك، فتزداد سعادةً وحبوراً..

لقد قلتُ مراراً: والله ما وصلتُ إلى ما أنا فيه إلا بثلاثة: بتوفيق الله ﷻ أولاً، ثم برضا الوالدين، وبدعوات المرضى لي في ظهر الغيب. فلماذا الفتور والوجل يا بني؟!..

أتريدُ أن تهيم على وجهك فتعيش بين الحفر؟! ألم تسمع قول الشاعر:

وَمَنْ يَتَهَيَّبُ صَعُودَ الْجِبَالِ يَمُشُّ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْحَفْرِ
وكيف تتهيب دراسة الطب وأنت قد حفظت القرآن كاملاً؟! فمن يحفظ القرآن في ريعان الشباب قادر بإذن الله تعالى على حفظ منهج الطب عن ظهر قلب.

ثم ألا تعلم أنك على ثغر من ثغور الإسلام؟!..

ففي كل حرفٍ تقرأه في الطب، وتنوي به مساعدة مريض على الشفاء بإذن الله تعالى أجرٌ عظيم.

ألم يقل مولانا جلّ في علاه: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ [المائدة: ٣٢]؟! فمن أنقذ مريضاً بإذن الله من المرض؛ فكأنما أحيا ستة مليارات من البشر!..

ثم تقول لي: إن دراسة الطب ليس فيها مزاح! ..

أقول: نعم.. وهل كُتِبَ على أمة الإسلام أن تعيش حياتها في التهريج والتمثيل والفن الهابط؟! ..

أجل يا بني! إن الأمة المسلمة لا تعرف العبث الماجن، ولا المزاح الساخر، ولا الفن الهابط..

وهي لن ترقى إلا بشباب مثلك حفظوا القرآن ووعوه، ودرسوا الطب وبرزوا فيه..

حملوا القرآن بيد، ومبضع الجراح أو سماعة الطبيب باليد الأخرى؛ فكانوا فرسان الطب في النهار، عبّاداً لله في الليل والنهار! ..

فَمِيزَ يا بني على بركة الله، استعذ بالله من وساوس الشيطان، وانو في كل حرفٍ تقرأه في كلية الطب وجه الله تعالى..

أخلص النية في كل عمل، وأتقن كل ما تعمل، تنقلب دراستك إلى عبادة خالصة لوجه الله تعالى.

أسأل الله العظيم أن يحفظك ويحفظ شباب المسلمين وفتياتهم، وأن يجعلك طبيباً مخلصاً لله تعالى في كل عمل، وأن يتقبّل منا خالص الأعمال، والله ولي التوفيق.

أخوك حسان



وكتب الدكتور ربيع السعيد عبد الحليم أستاذ جراحة المسالك البولية قصيدة بعنوان «رسالة إلى طالب طب»:

هنيئاً هنيئاً بُنَيَّ الحبيب قريباً ستبدأ درس الطبيب

جاء خلقٍ دقيقٍ عظيمٍ عجيبٍ
عَ صنيعٍ... فيخشع قلبٌ منيبٍ
ر انبهاراً بعقلِ النبيه الأريب
وتلك تقومُ بدورِ الرقيب
وأخرى تُزيلُ الجسمَ الغريب
وكلُّ منوطٍ بدورٍ رهيب
لعلمٍ وفهمٍ بعقلٍ لبيب
أيامٍ عزٍّ ومجدٍ فشيب
وكان اليقينُ سراج النجيب
بطبِّكَ سبَّحَ لربِّ مجيب

تجوّل بفكر بصير بأر
«تُشرح» أحشاء تبدي بدي
«ومجهر» يحكي خفايا ثب
خلايا تَحُدُّ.. خاليا تَصُدُّ
خلايا تجوّل.. خاليا تصوّل
«وكيميا حياة»: جواهر شتّى
وظائفُ أعضاء كانت مناراً
وكانت تُسمّى «منافع أعضاء»
وكانت سبيلاً يزيدُ اليقين
فعودُ بُنيٍّ لتلك المعهود



ليس شرطاً أن تكونَ مديراً كي تكونَ مهمّاً، أو تكونَ قائداً كي تكونَ عظيماً، أو رئيساً كي تكونَ ناجحاً..

ولكنك تستطيع أن تكونَ كلَّ هؤلاء مهما كانت وظيفتك أو عملك أو صنعتك؛ فإذا لم تستطيع أن تكونَ شمساً ساطعة فكنْ نجماً في السماء، وإذا لم تستطيع أن تكونَ مؤلفاً فكنَ متحدثاً لبقاً تُنفع الناس بوجهة نظرك، وإذا لم تستطيع أن تحقق ما أردت أن تكونَ؛ فأتقن عملك أيّاً كان؛ فليس المهم نوع الوظيفة أو العمل، بل النوعية التي تقدّمها، فكن الأفضل في أي مكان تكونُ فيه^(١)..

ليس الفشل هو أنك لم تصل إلى الهدف، ولكن هو أن تكفَّ عن المحاولة؛ فالهزيمة هزيمة نفسية.. لا تقبل بالهزيمة؛ فالنصر حليف من يضعه نُصب عينيه.

وعندما يكون كل ما حولك يبعث على الإحباط والقنوط، فلا تيأس أبداً، تذكّر أن كلَّ شيء بإرادة الله، وأن الله قادر على كل شيء؛ فلا تيأس...

حدّثني أحد الشباب قال: فقدتُ كلتا رجليّ في حادث سيارة! وشعرت بحزن شديد واكتئاب عميق.. اسودّت الدنيا في عينيّ، ولم أعرف ماذا تخبئ لي الأيام؟! ماذا أعمل في حياتي؟! وكيف لي أن أبني بيتاً أعيش فيه وزوجتي؟!..

لكن هذا الحادث لم يُضعف من إيماني، بل ازدادتُ تصميماً وتحدياً

(١) رُوّض النمر الذي بداخلك، للأستاذة وفاء محمد مصطفى، (بتصرف).

لهذا الواقع المرير.. تذكرت قول ابن القيم رحمه الله: لو أن رجلاً وقف أمام جبل وعزم على إزالته؛ لأزاله بإذن الله والقيام بالعمل.

قررت أن أهزم الإعاقة، وأحقق ما لم يحققه الآخرون، كنتُ أريد أن أعمل عملاً أبتغي به وجه الله وأنا غير قادر على المشي أو الحركة.. قررت أن أتعلّم الكمبيوتر، وحصلتُ على شهادة عالية في هندسة الاتصالات، وأصبحتُ رئيساً لمجموعة من الذين يمشون على أرجلهم! وأثبتُ لهم أنه بالاستعانة بالله تعالى، ثم بتوجيه الطاقات والإرادة نحو الهدف الأعلى؛ استطعت بفضل الله تعالى أن أحقق ما أصبو إليه وأريد..

افتح قلبك للأحلام، فحيثما تكون الأحلام؛ يوجد الأمل..

وعندما يوجد الأمل؛ توجد الرغبة في الحياة..

وعندما توجد الرغبة في الحياة؛ تتحقق الأحلام..

وحين تتحقق الأحلام؛ تمسك مفاتيح النجاح..

وعندما تتحقق النجاح في الدنيا وتعمل للفوز بالآخرة؛ تمسك بمفاتيح السعادة من كل أطرافها..



مَنْ تركها لله عَوَّضه الله خيراً منها (١)

يقول عليه الصلاة والسلام: «إنك لا تدع شيئاً اتقاء الله تعالى؛ إلا أعطاك الله **عَوَّضاً** خيراً منه»^(١).

● مَنْ ترك مسألة الناس، وإراقة ماء الوجه أمامهم، وعَلَّق رجاءه بالله دون سواه؛ عَوَّضه خيراً مما ترك، فرزقه عزة النفس، والاستغناء عن الخلق؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «... ومن يستعفف يعفِّه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله»^(٢).

● ومن ترك الاعتراض على قَدَر الله، فسَلَّم لربه جميع أمره؛ رزقه الله الرضا واليقين، وأراه من حُسْن العاقبة ما لا يخطر له ببال.

● ومن ترك الذهاب للعرَّافين والسحرة؛ رزقه الله الصبر، وصدَّق التوكل، وتَحَقَّق التوحيد.

● ومن ترك التكالب على الدنيا؛ جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة.

● ومن ترك الخوف من غير الله، وأفرد الله وحده بالخوف؛ سلِّم من الأوهام، وأمنه الله من كل شيء، فصارت مخاوفه أمناً وبردأً وسلاماً.

● ومن ترك الكذب، ولزم الصدق؛ هُدي إلى البرِّ، وكان عند الله صديقاً، ورُزِقَ لسان صدق بين الناس؛ فأكرموه وأصغوا لقوله.

● ومن ترك المراء وإن كان مُحَقَّاقاً، ضُمن له بيت في ربض الجنة، وسلم من شرِّ اللجاج والخصومة، وحافظ على صفاء قلبه، وأمن من كشف عيوبه.

(١) رواه أحمد: ٣٦٣/٥، وإسناده صحيح.

(٢) رواه البخاري.

- ومن ترك الغش في البيع والشراء؛ زادت ثقة الناس به، وكثر إقبالهم على سلعته.
- ومن ترك الربا، والكسب الخبيث؛ بارك الله له في رزقه، وفتح له أبواب الخيرات والبركات.
- ومن ترك النظر إلى المحرم؛ عوضه الله لذة يجدها في قلبه.
- ومن ترك البخل وآثر السخاء؛ أحبه الناس، واقترب من الله ومن الجنة، وسلم من الهم والغم، وترقى في مدارج الفضيلة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتِكُمْ شَيْءٌ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].
- ومن ترك الكبر، ولزَمَ التواضع؛ علا قدره، وتناهى فضله، قال ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله»^(١).
- ومن ترك الفراش ولذته، وقام يصلي لله ﷻ؛ عوضه الله فرحاً، ونشاطاً، وأنساً وجوراً.
- ومن ترك التدخين، وكافة المسكرات والمخدّرات؛ أعانه الله، وعوضه صحة وسعادة حقيقية، لا تلك السعادة الوهمية العابرة.
- ومن ترك الانتقام والتشفي مع قدرته على ذلك؛ عوضه الله انشراحاً في الصدر، وفرحاً في القلب؛ قال ﷺ: «وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزّاً»^(٢).
- ومن ترك صحبة السوء التي يظن أن بها منتهى أنسه، وغاية سروره؛ عوضه الله أصحاباً أبراراً، يجد عندهم المتعة والفائدة، وينال من جراء مصاحبتهم ومعاشرتهم خيري الدنيا والآخرة.



مَنْ تركها لله عَوَّضَهُ اللهُ خيراً منها (٢)

- ومن ترك كثرة الطعام؛ سلم من البطنة، وسائر الأمراض، لأن من أكل كثيراً شرب كثيراً، فنام كثيراً، فخر كثيراً.
- ومن ترك المماطلة في الدين؛ كان حقاً على الله عونه.
- ومن ترك الغضب؛ حفظ على نفسه عزتها وكرامتها، ونأى بها عن ذل الاعتذار ومغبة الندم، ودخل في زمرة المتقين: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْضَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].
- ومن ترك الوقعة في أعراض الناس، والتعرض لعيوبهم ومغامزهم؛ عَوَّضَ بالسلامة من شرهم، ورُزِقَ التبصر في نفسه.
- قال الأحنف بن قيس رضي الله عنه: «من أسرع إلى الناس فيما يكرهون؛ قالوا فيه ما لا يعلمون».
- ومن ترك مجاراة السفهاء، وأعرض عن الجاهلين؛ حمى عِرْضَهُ، وأراح نفسه، وسَلِمَ من سماع ما يؤذيه، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].
- ومن ترك الحسد، سلم من أضراره؛ فالحسد داء عضال، وخُلِقَ لئيم.
- قال أحد الحكماء: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحسود، غمٌّ دائم، وهمٌّ لازم، وقلب هائم.
- ومن سلم من سوء الظن بالناس؛ سلم من تشوش الفكر، وإساءة الظن تفسد المودة، وتجلب الهم والكدر، ولهذا حَذَرْنَا اللهُ ﷻ منها؛ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال ﷺ: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث»^(١).

- ومن ترك الدعة والكسل، وأقبل على الجد والعمل؛ عَظمت همته، وبوركت له في وقته، فنال الخير الكثير في الزمن اليسير.
- وَمَنْ هَجَرَ اللذات نال المني وَمَنْ أَكَبَّ عَلَى اللذات عَضَّ عَلَى اليَدِ
- ومن ترك طلب الشهرة وحب الظهور، رفع الله ذكره، ونشر فضله.
- ومن ترك العقوق، وكان برّاً بوالديه؛ رضي الله عنه، ورزقه الله أولاداً بررة، وأدخله الجنة في الآخرة.
- ومن ترك قطيعة أرحامه، فوصلهم، وتودد إليهم؛ بسط الله له في رزقه، ونَسَأَ له في أثره، ولا يزال معه ظهير من الله ما دام على تلك الصلة.
- ومن ترك العشق، وقطع أسبابه التي تمده، وأقبل على الله بقلبه؛ رُزِقَ الصبر وعِزَّة النفس، وسلم من الذلة والأسر، ومُلئ قلبه حريةً ومحبةً لله ﷻ...
- ومن ترك العبوس والتقطيب، واتصف بالبشر والطلاقة؛ كثر محبوبه، وقلَّ شائئوه^(٢)؛ قال ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»^(٣).



(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، للأستاذ محمد إبراهيم الحمد، (بتصرف).

(٣) أخرجه الترمذي.

مَنْ تركها لله عَوَّضه الله خيراً منها (٣)

● إذا أردت مثلاً جلياً يبين لك أن من ترك شيئاً لله عَوَّضه الله خيراً منه؛ فانظر إلى قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، فلقد راودته عن نفسه فاستعصم، مع ما اجتمع له من دواعي المعصية، فلقد اجتمع ليوسف ما لم يجتمع لغيره، وما لو اجتمع كله أو بعضه لغيره لربما أجاب الداعي، بل إن من الناس من يذهب لمواقع الفتن بنفسه، ويسعى لحتفه بيديه.. ثم يبوء بعد ذلك بالخسران المبين، في الدنيا والآخرة، إن لم يتداركه الله برحمته.

- أما يوسف عليه السلام فقد اجتمع له من دواعي الزنى ما يلي:

- أنه كان شاباً، وداعية الشباب إلى الزنى قوية..

- أنه كان عزباً، وليس له ما يعوّضه ويرد شهوته..

- أنه كان غريباً، والغريب لا يستحيي في بلد غربته مما يستحيي منه بين أصحابه ومعارفه..

- أنه كان مملوكاً، فقد اشترى بثمانٍ بخسٍ دراهمٍ معدودة، والمملوك ليس وازعُهُ كوازع الحر!..

- أن المرأة ذات منصب وجمال.

- أنها كانت سيّدة، والعبد يطيع سيّده مثلما يطيع سيّده..

- أنه لم يكن هناك رقيب من البشر.

- أنها قد تهيأت له وتجمّلت، وتعطّرت له وتزينت.

- أنها غلّقت الأبواب، وأترست المتاريس..

- أنها هي التي دعتَه إلى نفسها فقالت: «هيت لك».

- أنها حرصت على ذلك أشدّ الحرص.
 - أنها توعدته إن لم يفعل بالسجن والعقاب.
- ومع هذه الدواعي صبر إيثاراً واختياراً لما عند الله، فنال السعادة والعزة في الدنيا والآخرة، فلقد أصبح السيد، وأصبحت امرأة العزيز فيما بعد كالمملوكة عنده، وقد ورد أنها قالت: «سبحان من صيّر المملوك بذلّ المعصية ممالك، ومن جعل الممالك بعزّ الطاعة ملوكاً».



مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تليجرام

نعطيها على قدر النعمة

سألت امرأة الليث بن سعد أن يعطيها شيئاً من العسل، فأمر لها بوعاء من العسل!..

ف قيل له: لماذا تعطيها كل هذا وهي لم تطلب إلا القليل من العسل؟!..

فقال: إنها سألت على قدر حاجتها، ونحن نعطيها على قدر النعمة التي أنعمها الله علينا..

وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكيناً! فهل نحن نتصدق كل يوم ولو بشق تمر؟!

فإذا كان لديك مال؛ فلا تنسَ حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «ما نقص مالٌ من صدقة»^(١).

بكى علي بن أبي طالب عليه السلام يوماً.. فقيل له: ما يبكيك؟ قال: لم يأتيني ضيفٌ منذ سبعة أيام.. فأخاف أن يكون الله قد أهانني!..

ولا تنسَ أن تقدّم إحسانك وأنت متهلل الوجه، فلا تعبس في وجه من تُحسن إليه..

يقول الشاعر:

نراه إذا جئته منهلاً كأنك تعطيهِ الذي أنت سائله

وإياك أن تتمن عليه فيحبط عملك؛ قال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

ويقول الله تعالى أيضاً محدّراً من المن والأذى: ﴿لَا بُطْلُوءٌ صَدَقْتَكُمْ
بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقًا وَالنَّاسَ﴾ [البقرة: ٢٦٤] ..

أتى رجلٌ صديقاً له، فقال له: ماذا تريد؟ .

قال: عليّ دينٌ أربعمئة درهم وأنا لا أملك منها شيء .

فأعطاه أربعمئة درهم وعاد إلى امرأته يبكي، فقالت له: لِمَ تعطيه إن
كنتَ تبكي على دراهمك؟ .

قال: لا والله ما أبكي على هذا! ولكنني أبكي لأنني لم أتفقّد حاله
حتى احتاج إلى مفاتيحي! ..

لم أزره وأعلم الحال الذي وصل إليه حتى احتاج إلى أن يطلب مني
ذلك القرض ليسدد الدَّيْن الذي عليه! .

فهل نتفقّد أحوال أقربائنا وأصحابنا قبل أن يسألونا؟! .

هل نعطيهم على قدر ما يحتاجون إليه، أم على قدر النعمة التي أنعمها
الله علينا؟! .



كتاب الرِّقَّةِ

بينما المنصور يطوف حول الكعبة في الليل إذ سمع قائلاً يقول: اللهم
إنني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق
وأهله من الطمع.. فجلس المنصور ناحية من المسجد ودعاه..

فقال المنصور: ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي في
الأرض؟.

فقال: إن أمتني يا أمير المؤمنين أعلمتك بالأمور من أصولها..

قال: فأنت آمن على نفسك، فقل.

قال: يا أمير المؤمنين! إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما
ظهر في الأرض من الفساد والبغي لأنت!..

قال: كيف ذلك ويحك! يدخلني الطمع وكل شيء عندي؟!.

قال: إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم، فأغفلت أمورهم،
واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجصّ والآجر،
وأبواباً من الحديد، وحرّاساً معهم السلاح.. ثم سجنّت نفسك عنهم فيها،
وبعثت عمالك في جباية الأموال وجمعها.. وأمرت ألا يدخل عليك أحد
من الرجال إلا فلان وفلان.. ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف، ولا
الجائع العاري إليك، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق..

فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك، وأثرتهم على
رعيّتك؛ تجبي الأموال وتجمعها ولا تقسمها؛ قالوا: هذا قد خان الله، فما
لنا لا نخونه؟!.

فتأمروا على ألا يصل إليك من أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا، ولا

يخرج أحدٌ يخالف أمرهم إلا خَوَّنوه عندك وتخلَّصوا منه، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم؛ عَظَّمهم الناس وهابوهم ورشوهم، وكان أول من رشاهم عُمَّالُك بالهدايا والأموال؛ ليقبوا بها على ظلم رعيّتك، فامتلات البلاد بالطمع بغياً وفساداً، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانتك وأنت غافل..

فإذا جاء مظلوم حيل بينه وبينك، يشكو ويستغيث حتى إذا ظهرت صرخ بين يديك، فيُضرب ضرباً مبرحاً يكون نكالاً لغيره وأنت تنظر فما تُنكر..

وقد كنتُ يا أمير المؤمنين سافرتُ إلى الصين مرة وقد أُصيب ملكُهم بفقد السمع، فبكى بكاء شديداً.. فحَثَّه جلساؤه على الصبر..

فقال: أما إنني لستُ أبكي للبلية النازلة، ولكني أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته.. ثم قال: أما إذا قد ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب؛ نادُوا في الناس ألا يلبس ثوباً أحمر إلا متظلَّم.. ثم كان يركب الفيل طرفي النهار، وينظر في الشارع هل يرى مظلوماً؟!..

فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله بلغتْ رأفته بالمشرّكين هذا المبلغ، وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيّه؛ لا ترأف بالمسلمين!..

فبكى المنصور ثم قال: ليتني لم أخلق! كيف أصبح ونفسي؟!..

فقال: يا أمير المؤمنين! إن للناس أعلاماً يفرعون إليهم في دينهم، ويرضون بهم في دنياهم؛ فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاورهم في أمرك يسدّدوك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله:

الزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة.

والورع: ترك ما تخاف ضرره في الآخرة.

وقال إبراهيم بن أدهم: الزهد ثلاثة أصناف: زهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة.

فزهد الفرض: هو الزهد في الحرام.

وزهد الفضل: هو الزهد في الحلال.

وزهد السلامة: هو الزهد في الشبهات.

كان عمر بن عبد العزيز إذا سمَرَ في أمر العامة أسرج من بيت مال المسلمين، وإذا سمَرَ في أمر نفسه أسرج من مال نفسه!..

فبينما هو ذات ليلة إذ ضُف السراج، فقام إليه ليصلحه، فقليل له: يا أمير المؤمنين! إنا نكفيك.. فقال: أنا عمر حين قمْتُ، وأنا عمر حين جلست.

فأين نحن من ورع عمر رضي الله عنه؟!.

وأين نحن من تواضع عمر رضي الله عنه وأرضاه؟!.

وقالت أختُ بشر الحافي لأحمد بن حنبل: إننا نغزل على سطوحنا، فيمرُّ بنا مشاعل الحرس (الأنوار التي يحملها الحرس)، فيقع شعاع نورها علينا؛ أفيجوز لنا الغزل في شعاعها؟.

فقال: من أنتِ عافاك الله؟.

كتاب الزهد في الدنيا

قالت: أختُ بشر الحافي ..

فبكى وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق؛ لا تغزلي في شعاعها ..

يقول أبو الدرداء: إن من تمام التقوى أن يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً، حتى يكون حجاباً بينه وبين النار.

روي أن أحد الصالحين كان يلبس من غزل زوجته، فلبس قميصاً جديداً ذات يوم، ف شعر بحكة شديدة اضطر معها أن يخلع القميص .. فسأل زوجته كيف نسجت القميص؟ فذكرت أنها نسجت بعضاً منه على ضوء الشارع .. فتصدّق به! ..

تُرى أيّ ورع هذا الورع؟! تنسجُ القميصَ على ضوء الشارع؛ الضوء المباح لكلّ الناس، فيخافُ أن يكون قد مسَّ القميص شيء من حرام! ..





عليكم بقيام الليل

هذا مطلع حديث يقول فيه الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام: «عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطرده للداء عن الجسد»^(١).

فهل أنت ممن يقومون الليل؟

هل صليت ركعتين في جوف الظلام والناس نيام، وخلوت بالرحمن تناجيه؛ وتطلب من فضله العظيم، وتسأله عفواً لا سخط بعده؟..

يقول الإمام الثوري: «لقد حُرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته».. فماذا نقول نحن؟!.

يقول أحدهم: «أهل الليل في ليلهم ألدُّ من أهل اللهو في لهوهم - أي: يتلذذون بقيام ليلهم أكثر مما يتلذذ أهل المعصية في معصيتهم - ولولا الليل ما أحببتُ البقاء في الدنيا».

وقيل للحسن: ما بال المتهجّدين من أحسن الناس وجوهاً؟! فقال: لأنهم خلّوا بالرحمن، فألبسهم نوراً من نوره.

أليست هناك في الليل ساعة.. وأي ساعة؟..

يقول ﷺ: «إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً؛ إلا آتاه إياه، وذلك كل ليلة»^(٢).

كل ليلة يا رسول الله؟.. نعم في كل ليلة، ولكن كم من مضى لتلك

(١) صحيح الجامع (٤٠٧٩).

(٢) رواه مسلم.

الساعات! وكم منا من سهر الليل كله على الغناء والمسلسلات؛ في الإنترنت أو في الفضائيات؟! .

قال الضحاك: أدركتُ أقواماً يستحيون من الله في سواد هذا الليل من طول الضجعة! ..

فهلّا ركعتين على الأقل في وقت الهجوع؟ .

يقول ﷺ: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصلّيا ركعتين جميعاً؛ كتبنا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»^(١).

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «أحبُّ الصلاة إلى الله صلاة داود؛ كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه»^(٢).

فكيف تستعين على قيام الليل؟ ..

● لا تُكثر الطعام فقد كان أحدهم يقول: يا معشر المريدين! لا تاكلوا كثيراً، فتشربوا كثيراً، فتناموا كثيراً، فتخسروا كثيراً.

● ولا تترك قيلولة النهار ولو لدقائق معدودات فإنها تعين على قيام الليل.

● تذكّر فضل قيام الليل، وقدر محبة الله، وأثر تلك المناجاة عليك! ..



(١) رواه أبو داود، انظر: صحيح أبي داود.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

كانت عزيزة أم أيمن بنت علي تقول في مناجاتها لله ﷻ:

كيف لا أرغبُ في تحصيل ما عندك، وإليك مرجعي؟! .

وكيف لا أحبُّك، وما لقيت خيراً إلا منك؟! .

وكيف لا أشتاق إليك، وقد شوقتني إليك؟! .

وتقول أخرى في مناجاتها لرب العالمين: إلهي وسَيِّدي! ما أضيقُ الطريق على من لم تكن دليله، وما أوحشُ خلوةً من لم تكن أنيسه! . .

وتقول بُرْدة في سكون الليل: هدأتِ العيون، وغارَتِ النجوم، وخلا كلُّ حبيب بحبيبه، وقد خلوتُ بك يا محبوبي، أفترَاكَ تعذِّبني وحبُّكَ في قلبي؟! ^(١) .

وكانت نقيش بنت سالم تقول: يا حبيبَ الأوابين! يا مَنْ لا يُكديه (يُفقره) الإعطاء! يا ذا المَنِّ والآلاء! زِدْني بالثقة منك وصالاً، واجعلْ قِرَائي (ضيافتك) عتقَ رقبتِي، وأقرِّرْ عيني برضاك . .

ويقول منصور بن عمار: سمعتُ عابداً بالليل يناجي ربه ويقول: وعزتك وجلالك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتك، ولا التعرضَ لغضبك، ولكن زَيْنْتُ لي نفسي، وغرَّني سِتْرُكَ لذنوبي، فعصيتُك بجهلي؛ فالآن مَنْ مِنْ عذابك ينقذني؟! وبحبلٍ مَنْ أعتصمُ إنْ قطعْتَ حبلَكَ عني؟! وا سواتاه من الوقوف بين يديك غداً! . .

كانت رابعة العدوية تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في

مُصلاًها هجعة خفيفة حتى يُسفر الفجر، وكانت تقول: يا نفسُ كم تنامين؟! وإلى كم تقومين؟! يوشِكُ أن تنامي نومةً لا تقومين منها إلاَّ لصرخة يوم النشور! ^(١) ..

وكانت عجروة العمياء تقوم الليل صلاةً حتى السحر، فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون: إليك قطع العابدون دُجى الليالي (ظلمة الليالي)، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك.. قَبِكَ يا إلهي لا بغيرك، أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك، وأن ترفعني إليك في درجة المقرَّبين، وأن تُلحقني بعبادك الصالحين؛ فأنتَ أكرم الكرماء، وأرحم الراحمين.. ثم تخرُّ ساجدة، فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر، وكان ذلك دأبها ثلاثين سنة ^(٢).



(١) صفة الصفوة: ٣٠/٤.

(٢) المرجع السابق نفسه.

فئة وفقها الله وأكرمها في الدنيا قبل الآخرة؛ وجوهم مسفرة، وجباههم مشرقة، وأوقاتهم مباركة.. فإن كنت منهم فاحمد الله على فضله، وإن لم تكن فاسأل الله أن يجعلك منهم.

إنهم أهل الفجر.. قوم يحرصون على أداء صلاة الفجر في المساجد، يستفتحون بها نهارهم، تشهد لهم الملائكة، مَنْ أداها في جماعة فكأنما صَلَّى الليل كله.. يقول رسول الله ﷺ: «من صَلَّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صَلَّى الصبح في جماعة فكأنما صَلَّى الليل كله»^(١).

المحافظة عليها من أسباب دخول الجنة، والوقت بعدها تنزل فيه البركة؛ يقول النبي ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»^(٢).

أهل الفجر: الذين أجابوا داعي الله وهو ينادي: (حي على الصلاة.. حي على الفلاح)... فسلام على هؤلاء القوم حين استلهموا (الصلاة خير من النوم)، واستشعروا معنى العبودية، فاستقبلتهم سعادة الأيام^(٣)، قال ﷺ: «بُشِّرِ المشائين في الظُّلُمِ إلى المسجد بالنور التام يوم القيامة»^(٤).

يا أهل الفجر: لقد فزتم بعظيم الأجر؛ فلا تغبطوا أهل الشهوات والحظوظ العاجلة؛ فما عندهم - والله - ما يُغبطون عليه، بل بفضل الله وبرحمته فافرحوا..

يا أهل الفجر: هنيئاً لكم أن تتمتعوا بالنظر إلى وجه الله تعالى في

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

(٣) أهل الفجر، صالح الخضيرى، (بتصرف).

(٤) أخرجه الترمذي، وأبو داود.

الجنة؛ فالرسول ﷺ يقول: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته.. فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] (١).

يا أهل الفجر: ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال والزوجات، وترجعون أنتم بالنشاط والبركة في الأوقات، والفوز بالجنات؟!.

ألم يقل الرسول ﷺ: «لن يلج النار أحدٌ صَلَّى قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها» (٢)؟! والمراد بهذا الحديث صلاة الفجر وصلاة العصر.

يا أهل الفجر: أنتم محفوظون بحفظ الله، أنفسكم طيبة، وأجسادكم نشيطة.. يقول ﷺ: «من صَلَّى الصبح فهو في ذمة الله» (٣).

وقال ﷺ: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، ويضرب على مكان كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ وذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صَلَّى انحلت عقدة؛ فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» (٤).

ألا فالحق بأهل الفجر؛ لكي تكون في ذمة الله، ولتكتب في ديوان الأبرار، وتحقق السعادة، وتمحي من صحيفة النفاق.. يقول النبي ﷺ: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً» (٥).



(٢) أخرجه مسلم.

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) أخرجه البخاري، ومسلم.

في يوم القيامة يقف العالمُ بأكملة وقفة خوف ورجاء، وقفة ألم وأمل، وقفة تحمّل دعاء واحدًا: «اللهم سلّم، اللهم سلّم». .. وها هي أسماء الفائزين والفائزات تعلن: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .. ويدخل من فاز أرض الجنان ..

ينظر إلى الخيام اللؤلؤية المنصوبة على ضفاف الأنهار، ثم يرى قصرًا مشيدًا، وحوله فواكه كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة.

ومع هذا النعيم العظيم، تنتظر زوجة لتُزَفَّ إلى زوجها: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظُرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦].

لو اطلعت إحداهن على الدنيا لمألت ما بين الأرض والسماء ريحاً وعطراً! جميلات خالدات كأنهن الياقوت.

يُبَشِّرُ عندها المؤمن: أن أقبل، هذا قصرك، وبداخله زوجك تنتظر منذ أن كنت في الدنيا، وتنطلق إليه في أجمل زفاف ..

يرون أنهار الجنان تتدفق من بينهم؛ أنهار من عسل مصفى، وأنهار من خمر لذة للشاربين.

يقول ابن رجب في (لطائفه): إن الحور العين تقول للمؤمن وهو متكئ على نهر من العسل: أتدري يا حبيب الله متى زوجني الله إياك؟ فيقول: لا أدري. فتقول: نظر الله إليك في يوم شديد حره وأنت صائم ظامئ، فباهى بك الملائكة وقال: انظروا يا ملائكتي إلى عبدي؛ ترك شهوته ولذته، وطعامه وشرابه؛ رغبة فيما عندي، أشهدكم أنني قد غفرتُ له .. فغفر لك يومئذ وزوجني إياك ..

فهذا زُفَّتْ إليه عروسه لصيامه، وآخر لخشيتِه ربه، تُزَفُّ العروس للذين هم للقرآن تالون، وللذين هم في صلاتهم خاشعون، وللذين هم لفروجهم حافظون؛ وللذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، وللمستغفرين بالأسحار.. تُزَفُّ للشهداء والصدّيقين، لمن حَسُنَ خُلُقُه، وكظم غيظه.. فَمَنْ مِنَّا يرفض تلك العروس؟! .

محرومٌ مَنِ انتهك الأعراض بالزنى، وحرّم نفسه غناء الأشجار مع زوجته في أرض الجنان^(١)..

ومحرومٌ مَنِ ارتكب الفواحش، وحارب الله في الدنيا.. مَنْ قضى دنياه في العبث والمجون، مَنْ ضَيَّع أيامه في اللهو والفجور؛ أفلام ومسلسلات، سهرات ورقصات، خمور وكؤوس!..

تُرى ماذا تُسْمُون من يبيعُ الحورَ العين بلذة عابرة أو نشوة زائلة؟!..



(١) صفقات غالية، (بتصرف).

مَنْ هُوَ الرَّقُوبُ؟

يسأل الرسول ﷺ أصحابه: «ما تعدُّون الرُّقُوبَ فيكم؟» فقالوا: الذي لا يولد له!.

قال عليه الصلاة والسلام: «ليس ذاك بالرقوب، ولكنه الرجل الذي لم يقدِّم من ولده شيئاً»^(١).
يقول الإمام النووي:

«ومعنى الحديث: أنكم تعتقدون أن الرقوب: المحزون، وهو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعاً، بل هو: من لم يمت أحدٌ من أولاده في حياته فيحتسبه، فيكتب له ثواب مصيبتة به، وثواب صبره عليه»^(٢).

فمن مات له ولد فليصبر على ذلك، وليحتسب الأجر عند الله، فإن أجره عظيم؛ فالرسول ﷺ يقول: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار، إلا تحلَّ القسم»^(٣).

أي: ما ينحلُّ به القسم. وهو اليمين. وتحلة القسم: قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، أي: المرور فقط على الصراط.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحسبه إلا دخلت الجنة»، فقالت امرأة منهن: أو اثنين يا رسول الله؟ قال: «أو اثنين»^(٤).

(١) رواه مسلم.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم: ٤١٠/٨.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتت امرأة النبي ﷺ بصبي لها فقالت: يا نبي الله! ادع الله لي فلقد دفنتُ ثلاثة، قال: «دفنتِ ثلاثة؟» قالت: نعم، قال: «لقد احتظرتِ بحظار شديد من النار»^(١).

فمن مات له ولد - لا سمح الله - فليذكر قصة ذلك الغلام في سورة الكهف...

ألم يكن في موت الغلام راحة للأبوين، وإبداهما ولدًا صالحاً يُسعدُ أبويه، ويكون خيراً ورحمة عليهما؟! ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿[الكهف: ٨٠ - ٨١].

يقول عليه الصلاة والسلام: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسمُّوه بيت الحمد»^(٢).



(١) رواه مسلم. «لقد احتظرت بحظار شديد من النار»، أي: امتنعت بمانع وثيق.

(٢) رواه الترمذي.

تذكّري يا أختاه: أن أجمل تاج تضعينه على رأسك هو العفة، وأجمل لغة تتكلم بها عيناك هي الصدق، وأجمل صورة يتزين بها وجهك هي الحشمة، وأجمل عقد تزينين به جديك هو التواضع، وأجمل عطر تتعطرين به هو عطر البرّ للوالدين والإحسان.

يروى أحد الشباب قصة صديق له من الشباب العايب، ومن أصحاب العلاقات المشبوهة مع النساء..

أتى هذا الشاب العايب يزور صديقه، فسأله: لماذا لم تضع سيارتك أمام بيتي؟ قال: معي صديقة جديدة! وهي طالبة في المدرسة، أخذتها في بداية الدوام، وأنا أنتظر حتى يحين وقت الانصراف ويرنّ الجرس فأُنزلها أمام المدرسة، فتركب الباص وكأنها خرجت من المدرسة..

قال الشاب: استأذنتُ منه وكأني داخل إلى منزلي، فخرجت من الخلف متوجهاً إلى السيارة، فإذا بداخلها فتاة في الخامسة عشرة من عمرها..

قلت لها: ما الذي جاء بك إلى هنا؟

قالت: إن فلاناً يحبني ووعدني بالزواج.

قلتُ لها: تأملي جيداً ما أقول؛ فرغم أن صاحبك هو صديقي إلا أن ذلك لا يمنعني أن أخلص في نصيحتي لك؛ تذكّري الثقة التي أولاك إياها أهلك، تذكّري شناعة الأمر الذي تقومين به.. اعلمي جيداً أنك على خطر، وأن صديقي لا يفكر أدنى تفكير في أن يتزوجك؛ لأننا نحن الشباب إذا وجدنا مَنْ هي مثلك لا نفكر فيها زوجة أبداً؛ لأن التي خرجت مع شاب

غريب عنها، وخرقت ستر أهلها ليست أهلاً أن تكون زوجة، بل لعلها تمارس هذا الفعل مع شخص آخر!..

وجاءني صاحبي مرة أخرى فقلت: هل هي معك هذه المرة أيضاً؟ قال: نعم.. قال: فخرجتُ إليها وقلتُ لها: إنك لم تفهمي ما قلت لك في المرة الأولى.. إنه سيأخذ منك ما يريد، وسيلقيك على حافة الطريق تتأوهين من الألم والفضيحة والعار..

وذاث يوم أرسلتُ له هذه الفتاة رسالة مع صديقتها؛ تقول فيها: «إنني أشكرك على نصيحتك الغالية، وفعلاً كاد أن يحصل ما قلته لي.. فعندما خرجت مع ذلك «الوغد» في المرة الأخيرة: حاول أن يأخذ مني أعز ما أملك، فبكيْتُ وتوسلتُ أن يعيدني، وبعد إلحاح وبكاء.. أرجعني إلى مدرستي التي أخذني منها.. كدتُ أن أفقد شرفي، كدت أن أقع ضحية تلك اللعبة الدنيئة وأن أضع رأسي ورؤوس أهلي في الوحل.. ولكن الله سلَّم!»..



لو أن مديرك في العمل، أو في المؤسسة سلّم عليك، ومدّ يده ليصافحك، ثم أتى خادمك أو فرّاش (كنّاس) المؤسسة ومدّ يده ليصافحك؛ أتراك تسلّم عليهما بنفس الطريقة والحفاوة؟..

اسأل نفسك هذا السؤال: لماذا نبشّ في وجه المدير أو المسؤول ونتودد إليه، ثم إذا كان من هو دوننا عاملناه بخشونة وقساوة؛ نُصدر الأوامر له وكأنه قد خُلِق لخدمتنا فقط؟! ألم يقل الرسول ﷺ: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؛ أحاسنكم أخلاقاً»^(١)!.

ولما سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، قال: «تقوى الله، وحُسن الخلق»^(٢).

فلماذا نتكبّر على الناس؟! ولماذا نستعبد السائق والخادمة والعمّال والكنّاسين والخدّام؟!.

لماذا يرمي البعض منّا بعلبة الكولا الفارغة أو بكيس البطاطس في الشارع أو في الحديقة أو على شاطئ البحر؟! ألا يعلم أن هناك من سوف يقوم بجمع هذه القاذورات من خلفه، ومنّ قد تأذى من صُنع البعض منّا؟!.

ثم لماذا تجد الشوارع في أمريكا وأوروبا - بل في ماليزيا المسلمة - نظيفة، وشوارعنا ملأى بمخلفاتنا وأوساخنا؟!.

أعرف رجلاً كان يشغل منصباً مرموقاً، وله وجهة بين الناس.. كان له مجلس ما بين المغرب والعشاء يرتاده العشرات من الناس في كل ليلة!..

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

ومرّت السنون، وتقاعد ذلك الرجل من منصبه، فانفضّ الناس من حوله، وأصبح المجلس الذي كان يزدحم بالناس خاوياً على عروشه!.. وأصبح الرجل وحيداً يشتهي أن يُزار مرة في الأسبوع، بل مرة في الشهر؛ فلا يُزار!.

أدرك عندها أنه قد كسب الناس بمنصبه لا بأخلاقه وحُسن معاملته، فلما زال ذلك المنصب انفضّ الناس إلى سواه.

فلا تجعل الناس تتعلق بك لأنك ذو شأن بين الناس، اجعلهم يحبونك لحُسن خلقك، ولحُسن معاملتك..

وهكذا يكون الرجل في بيته؛ فلا تجعل زوجتك وأولادك يحبونك للمال الذي تُغدقه عليهم.. اجعلهم يحبونك لأنك أب حقيقي يعيش مع زوجه وأبنائه؛ يتعرف على مشاكلهم، يعيش همومهم، يسعد بصحبتهم، ويفرح بلقائهم..



مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تليجرام

مَنْ لَمْ يَعْرِفْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ

الشكر من أعلى المنازل وأرقى المقامات، وهو نصف الإيمان، فالإيمان نصفان؛ نصف شكر ونصف صبر.

والشكر مبني على خمس قواعد:

الأولى: خضوع الشاكر للمشكور.

الثانية: حبه له.

الثالثة: اعترافه بنعمته.

الرابعة: ثناؤه عليه بها.

الخامسة: ألا يستعمل النعمة فيما يكره المنعم.

ولست النعم مقصورة على الطعام والشراب فحسب كما يظن كثير من الناس، بل هي كثيرة لا تُحصى؛ فكل حركة من الحركات، وكل نفس من الأنفاس؛ لله تعالى فيه نِعَمٌ لا يعلمها إلا هو سبحانه.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه، فقد قلّ علمه وحضر عذابه.

ولذلك ذُكر أن شكر العامة: يكون على المطعم والمشرب والملبس وقوة الأبدان!..

وشكر الخاصة: على التوحيد والإيمان وقوت القلوب!..

قال رجل لأبي تميمة: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل: ذنوب سترها الله، فلا يستطيع أن يعيّرني بها أحد، ومودة قذفها الله في قلوب العباد لا يبلغها علمي.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما من عبد يشرب الماء القراح - الصافي - فيدخل بغير أذى، ويخرج بغير أذى؛ إلا وجب عليه الشكر.

يحكى أن أعرابياً دخل على الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين! ثبت الله عليك النعم التي أنت فيها؛ بإدامة شكرها، وحقق لك النعم التي ترجوها؛ بحُسن الظن به ودوام طاعته، وعرفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها؛ لشكرها.

فأعجب الرشيد بكلامه.

ولذلك قال النبي ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه في المال والخلق؛ فليَنظر إلى مَنْ هو أسفل منه ممن فُضِّل عليه»^(١). وفي رواية: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»^(٣).



مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تليجرام

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه مسلم.

خصلتان يحبهما الله ورسوله

جلس الأشج بن عبد قيس مرة عند رسول الله ﷺ، فقال له عليه الصلاة والسلام: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله».

فما هما تلك الخصلتان يا رسول الله؟ هل هما صيام الدهر، وقيام الليل دون نوم؟..

لا.. ثم لا.

استبشر الأشج ﷺ وقال: ما هما يا رسول الله؟ قال: «الحلم والأناة»^(١).

ألم يقل الرسول ﷺ: «إن الرجل ليلعب بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار»^{(٢)؟!}

فصاحب الخُلُق الحسن فائز في الدارين؛ يربح الدنيا بكسب قلوب الناس، ويربح الآخرة، لأن رسول الله ﷺ بشره بذلك فقال: «ما شيء أثقل في الميزان من حُسن الخلق»^(٣).

وقال أيضاً: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، الموطؤون أكنافاً»^(٤)، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»^(٥).

جلست أم سلمة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ، فتذكرت الآخرة، فقالت:

(١) رواه مسلم، وأحمد.

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) أي: الذين جوانبهم وطينة يتمكن فيها من يصاحبهم ولا يتأذى (انظر: فيض القدير: ٣/ ٤٦٤).

(٥) رواه الطبراني في الأوسط.

يا رسول الله! المرأة يكون لها زوجان في الدنيا، فإذا ماتت وماتا ودخلوا جميعاً الجنة؛ فلمن تكون؟.

فماذا قال الحبيب المصطفى ﷺ؟ هل تكون لأكثرهما مالاً وعلماً؟ أم لأكثرهما عبادة وفضلاً؟ كلا! ولكن قال: «تكون لأحسنهما خُلُقاً».

فتعجبت أم سلمة رضي الله عنها، ولما رأى دهشتها قال عليه الصلاة والسلام: «يا أم سلمة! ذهب حُسْنُ الخلق بخير الدنيا والآخرة»^(١).

ألا نعلم حال تلك المرأة التي ذكرت للرسول عليه الصلاة والسلام أنها تصلّي وتصوم وتتصدق و.. ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها (أي: إنها سيئة الخلق)، فقال عليه الصلاة والسلام: «هي في النار»^(٢)!.

تعالوا نَدْعُ بدعاء الرسول ﷺ عندما ينظر في المرأة: «اللهم حَسِّنْ خُلُقِي، كما حَسَّنْتَ خُلُقَتِي»^(٣).

ولنَدْعُ دوماً الدعاء الذي كان عليه الصلاة والسلام يدعو به: «اللهم اهْدِنِي لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت»^(٤).



(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه الحاكم، وأحمد، وابن حبان.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه مسلم.

الله ﷻ يتلى العبد لسمع تضرعه ودعائه، ويسمع أنينه وشكواه، فيكشف عنه ضره ويجزيه خير جزاء...

ألم ينادِ يونس عليه السلام - وهو في بطن الحوت - أن يكشف الله ضره؟! فماذا كان الجواب؟.. ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾.

قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَيَّرْنَاهُ مِنَ الْغَيْرِ وَكَذَلِكَ نُخَيِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨].

قال تعالى: ثم ألم ينادِ أيوب عليه السلام ربه بأدب واستحياء: ﴿إِنِّي مَسْكِينٌ﴾؛ فماذا كان الجواب؟.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ إِنِّي مَسْكِينٌ﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤].

وكذلك استجاب الله تعالى لنوح عليه السلام فيما دعاه: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦].

وهذا يعقوب عليه السلام يشكو مصابه - بابنه يوسف عليه السلام وأخيه - إلى الله وحده، ويقول: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

وهذا خير البرية ﷺ.. يطرده سفهاء أهل الطائف، ويرميه الأطفال بالحجارة، وتُدْمى قدماه.. فيتوجه إلى ربه بهذا الدعاء الذي يفيض إيماناً و يقيناً، ورضاً بما ناله في سبيل الله، واسترضاءً لله..

يقول عليه الصلاة والسلام: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين! أنت رب المستضعفين

وأنت ربي، إلى مَنْ تكلمني؟ إلى بعيد يتجهمني؟! أم إلى عدو ملَّكته أمري؟! .

إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعود بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك، أو يحلّ عليّ سخطك، لك العتبي^(١) حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٢) .

فماذا كان الجواب؟ . .

أتاه جبريل وقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئت فيهم . . فناداه مَلَكَ الجبال وقال: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (وهما جبلا مكة) لفعلت . .

قال عليه الصلاة والسلام: «بل أرجو أن يُخرج الله رَجُلًا من أصلابهم من يعبد الله رَجُلًا وحده، لا يشرك به شيئاً»^(٣) .



(١) العتبي: الاسترضاء .

(٢) رواه ابن إسحاق . انظر: السيرة النبوية، للدكتور محمد محمد أبو شهبة: ٤٠١/١ .

(٣) رواه البخاري .

« فمن عفا وأصلح »

سمع الإمام أحمد بن حنبل وهو في سكرات الموت رجلاً يصيح على باب داره، فإذا به رجل مسن يبكي بكاء النساء، ويقول للإمام أحمد: لقد كنت واحداً ممن قام بتعذيبك في محنة خلق القرآن في عهد المعتصم، وإنني أتيتك الآن راجياً العفو والسماح.

فإذا بالإمام أحمد يدعو الله أن يغفر لهذا الرجل الذي آذاه قبل سنين طوال!..

سأله ابنه: كيف تستغفر الله له وقد عذّبك أشدّ العذاب؟!.

فقال الإمام أحمد: ماذا ينفعك أن يُعذّب أخوك بسببك؟! ألا تعلم قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]؟! ألا تعلم أنه إذا كانت القيامة، وجثت الأمم بين يدي رب العالمين، نودوا: ليقيم من كان أجره على الله.. فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا، وإنني لأرجو أن أكون واحداً منهم!..

يقول حكيم: لذة العفو أطيب من لذة التشفي؛ لأن لذة العفو يتبعها حمد العاقبة، ولذة التشفي يتبعها غم الندامة.

يقول أحدهم: من لم يقبل التوبة عظمت خطيئته، ومن لم يُحسن إلى التائب قبحت إساءته.

فإذا أتاك من يعتذر إليك عن إساءة فعلها، أو خطأ ارتكبه؛ فاقبل معذرتة، وسامحه في الدنيا قبل الآخرة، وتذكر قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

قال سعيد بن المسيب: لأن يخطئ الإمام في العفو، خير من أن يخطئ في العقوبة.

وقال أحدهم: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: الغنى عمّا في أيدي الناس، والتجاوز عمّا يكون منهم.

يقول الإمام الشافعي:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِذْ عَلَى أَحَدٍ أَرْخْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ



ما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه

«ما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه» حديث لرسول الله ﷺ رواه مسلم . . ثم ألم يجعل الله ﷻ ذلك من صفات عباد الرحمن؟! قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

ألم يجعل الله الجنة للمتقين الذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا؟!:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

ثم يخبرنا رسول الله ﷺ أن الله قد حرّم الجنة على من كان في قلبه كِبْرٌ على الناس؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله جميل يحب الجمال . . الكبر بطر الحق، وغمط الناس»^(١).

فليس من الكبر أن تلبس الثياب الجميلة وتظهر بالمنظر الحسن، فالله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله أوحى إليّ: أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»^(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

وأعظم مَنْ تواضع في الوجود نبينا محمد ﷺ؛ كان يجيب دعوة المملوك، ويركب بغلته، وتستوقفه الأمة والمملوك.. ولما دخل مكة فاتحاً على رأس جيشه، دخل ساجداً على ظهر دابته تواضعاً لله.

رآه رجل فعاف منه وامتلأ قلبه رعباً، فقال له: «هَوِّنْ عليك! أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»^(١).

قال عبد الملك بن مروان: أفضل الناس مَنْ تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة.

وقال الفضيل بن عياض: التواضع: أن تخضع للحق وتنقاد إليه، ولو سمعته من صبي قبلته، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته..



(١) رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

ما أعظم ذلك الشعور بالطمأنينة الذي خصَّ الله به المؤمنين عندما علموا أن لهم ربّاً رحيماً؛ فرفعوا إليه الأكف يدعون ويبتهلون!..

وما أعظم حرمان أولئك المساكين الذين يطرقون أبواب الخلق، وينسون باب خالقهم ومولاهم حتى يطردهم أهل الدنيا!.

● فهذا شاب صغير السن هداه الله.. وكان بيته مليئاً بالمنكرات والمعاصي، وكان أبوه لا يعرف القبلة!..

أراد أن يدعوه إلى الله فلم يستجب له أبوه، أتى إلى إمام المسجد يبكي عنده ويقول: إن أبي يعصي الله ولا يعرف الصلاة، وقد حاولتُ دعوته فلم يستجب لي؛ فماذا أفعل؟.

قال: إذا كنتَ في الثلث الأخير من الليل فتوضاً وضوءك للصلاة، ثم صلّ لله ركعتين، ثم ادعُ الله ﷻ أن يهدي أباك.. فكان الشاب يفعل هذا كل ليلة.

وفي إحدى الليالي قام هذا الصغير يصلّي في الليل.. دخل الأب المنزل بعد قضاء ليلة حمراء مع شلّته، دخل والناس نيام، فسمع صوت بكاء في إحدى الغرف، اقترب منها.. فإذا بابنه الصغير يبكي.. دنا منه ليسمع ما يقول؛ كان الغلام رافعاً يديه إلى الله ﷻ وهو يدعو: اللهم اهدِ أبي، اللهم اشرح صدر أبي ليتوب، اللهم نور قلب أبي بنور الإيمان.

انتفض الأب لما سمع هذا الكلام واقشعرَّ جلده!.. خرج من الغرفة فاغتسل، ثم رجع والابن على حاله.. وقف يصلّي إلى جانب ابنه ورفع يديه، والابن يدعو: اللهم اهدِ أبي.. والأب يقول: آمين. فلما انقضت

الصلاة التفت الابن فإذا أبوه يبكي، فحضنه وظلاً يبكيان حتى الصباح! ..

● مشى أحد الصالحين يوماً في إحدى الحارات، فوجد صبيّاً يبكي وأمه تضربه، ثم أخرجته من الدار وأغلقت الباب في وجهه! ..

جعل الصبي يتلفتُ يميناً وشمالاً؛ لا يدري أين يذهب! رجع إلى باب داره، وأخذ يبكي وينادي: أماء! مَنْ يفتحُ لي بابَه إذا أغلقتِ بابكِ دوني؟! ..

مَنْ يُدنيني من رحمته إذا طردتني من رحمتك وحنانك؟! ..

مَنْ يرضى عني إذا غضبت عليّ؟! ..

نظرَتْ أمه من ثقب الباب، فوجدتِ الدموعَ تجري من عينيه، فرقَّ قلبُها له .. فتحتِ الباب، وضمَّت ولدها إليها وهي تقول: ولدي! قرّة عيني! أنت الذي فعلتَ بنفسك هذا، أنت الذي عرّضتَ نفسك لهذا، لو أعطتني لم تلقَ مكروهاً أبداً! ..

فبكى ذلك الرجل وقال: الله أرحمُ بعباده من هذه الوالدة بابنها ..



● الأنبياء يعملون:

كان الأنبياء يعملون، ويأكلون من عمل أيديهم..

فقد كان داود عليه السلام حدّاداً يصنع الدروع، ويأكل من عمل يده، وكان إدريس عليه السلام خياطاً، وكان زكريا عليه السلام نجاراً، وكان موسى عليه السلام أجيراً يرعى الغنم، وكان محمد عليه السلام يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة.

● وكذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يعملون:

كان أبو بكر رضي الله عنه تاجراً، ولما تولّى الخلافة خرج إلى السوق، فقال له عمر رضي الله عنه: أين تذهب يا أمير المؤمنين؟ فأجابه: أسعى لأطعم عيالي.. فقال عمر: أنت اليوم أجيرُ المسلمين.. فكلُّ من بيت المال.

نعم.. أمير المؤمنين أجيرُ المسلمين! ولأه الله شؤون الناس فاستحق على ذلك أن يأكل من بيت مال المسلمين.. يأكل من بيت المال ويُطعم عياله.. ليس أكثر!

وكان عمر رضي الله عنه تاجراً، وكان دَلَّالاً يسعى بين البائع والمشتري، ويقول: إني لأكره أحدكم سهلاً (أي: فارغاً) يروح ويغدو في غير شيء، ولا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يعلم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يسقي بالدلو، وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه جزاراً، وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يبري النبل، وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه خياطاً.

مرَّ رجل على النبي ﷺ وأصحابه، فرأى الصحابةُ جدَّه ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله!.. فقال رسول الله ﷺ:

«إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله..

وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله..

وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفُّها فهو في سبيل الله..

وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»^(١).

والمسلم لا يتوقف عن العمل مهما كانت الظروف، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «إذا قامت القيامة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها، فليغرسها»^(٢).



(١) رواه الطبراني في الثلاثة. قال الهيثمي: ورجال الكبير رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد.

إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ رَجُلًا هَمَّهُ

إذا أصابك همٌّ أو حُزن أو كرب؛ فارفع أكفَّ الضراعة إلى مولاك، وتوجه إليه بقلب منكسر بأحد الأدعية التي علَّمنا إياها رسول الله ﷺ؛ فقد قال ﷺ: «ما أصاب عبداً همٌّ ولا حزنٌ فقال:

اللهمَّ إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكلِّ اسمٍ هو لك سُميتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي..»

إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ رَجُلًا هَمَّهُ، وأبدله مكان حزنه فرحاً».

قالوا: يا رسول الله! أينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: «أجل، ينبغي لمن سمعهنَّ أن يتعلمهنَّ»^(١).

فإن لم تحفظ هذا فقل: «لا حول ولا قوة إلا بالله»؛ فالرسول ﷺ يقول: «من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ كان دواءً من تسعة وتسعين داءً؛ أيسرها: اللهم»^(٢).

أو لعلَّك تردد كلمات بسيطة علَّمها رسول الله ﷺ لأسماء بنت عميس رضي الله عنها عندما قال: «ألا أعلمُك كلماتٍ تقولينهنَّ عند الكرب، أو في الكرب: الله الله ربي، لا أشركُ به شيئاً»^(٣).

(١) رواه أحمد، والبخاري، وابن حبان في صحيحه.

(٢) رواه الطبراني، والحاكم. قال المنذري: صحيح الإسناد.

(٣) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

وكان النبي ﷺ إذا كَرَبَهُ أَمَرُ قَالَ: «يا حيُّ يا قيوم! برحمتك أستغيث»^(١).

وروى أبو داود: أن رسول الله ﷺ قال: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.. فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»^(٣).

وأخيراً املاً قلبك ببذور الإيمان، وحبّ الله ورسوله ﷺ.. فإن شجرة قلبك لن تنتج الثمار الطيبة، والأعمال المباركة، ما لم تكن تربة قلبك تربة صالحة.



(١) رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه الترمذي.

أحاديث جميلة خاطب بها الرسول ﷺ أبا ذر رضي الله عنه :

● قال ﷺ: «يا أبا ذر! أترى أن كثرة المال هو الغنى؟» قال: نعم يا رسول الله! قال ﷺ: «إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب، من كان الغنى في قلبه؛ فلا يضره ما لقي من الدنيا، ومن كان الفقر في قلبه؛ فلا يغنيه ما أكثر له في الدنيا، وإنما يضر نفسه شحها»^(١).

● وقال ﷺ: «يا أبا ذر! ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟» قال: بلى يا رسول الله! قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢).

● وقال أبو ذر: يا رسول الله! ذهب أصحاب الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضول أموال يتصدقون بها وليس لنا مال نتصدق به...

فقال ﷺ: «يا أبا ذر! ألا أعلمك كلمات تقولهن، تلحق من سبقك، ولا يدركك إلا من أخذ بعملك؟ تكبر دُبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتسبح ثلاثاً وثلاثين، وتحمد ثلاثاً وثلاثين، وتختتم ب: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير... من قال ذلك غُفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»^(٣).

● وقال ﷺ: «يا أبا ذر! قلت: لبيك يا رسول الله! قال: «إن العبد المسلم ليصلي الصلاة يريد بها وجه الله، فتهافت (أي: تتساقط) عنه ذنوبه، كما يتهافت هذا الورق عن هذه الشجرة»^(٤).

(٢) صحيح الجامع (٧٨٢٠).

(١) صحيح الجامع (٧٨١٦).

(٣) صحيح الجامع (٧٨٢١).

(٤) صحيح الترغيب، للألباني (٣٨٤).

● وقال أبو ذر: إني كنت سابيت رجلاً وكانت أمه أعجمية، فعيرته بأمه، فشكاني إلى رسول الله، فقال ﷺ: «يا أبا ذر! أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية! إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»^(١).

● وسأل أبو ذر مرة رسول الله ﷺ: ألا تستعملني؟ (أي: يسلمه الولاية)، قال: فضرب بيده على منكبي.. ثم قال: «يا أبا ذر! إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها»^(٢).

● وقال أبو ذر: يا رسول الله! الرجل يحبّ القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم؟ قال: «يا أبا ذر! أنت مع من أحببت».

قال: فإني أحب الله ورسوله. قال: «فإنك مع من أحببت» قال: فأعادها أبو ذر.. فأعادها رسول الله ﷺ^(٣).



(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود.

أين متاعكم؟

● دخل رجل على أبي ذر رضي الله عنه فجعل يقلب بصره في بيته! فقال: يا أبا ذر! أين متاعكم؟.

قال أبو ذر رضي الله عنه: إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا! (أي: إن بيتنا في الجنة إن شاء الله نبنيه بصالح الأعمال!).

قال: لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا!.

قال أبو ذر رضي الله عنه: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه! أليس صاحب المنزل (أي: الدنيا) هو الله؟!.

ألم يقل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتْنٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]؟.

ويقول عليه السلام: «ما لي وللدنيا! إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال (أي: نام.. من القيلولة) في ظل شجرة، ثم راح وتركها»^(١).

● دخلت على عمر بن عبد العزيز عمّة له، وعاتبته على قطع ما كان يجريه عليها أسلافه من عطايا، فوجدت بين يديه أقراصاً وشيئاً من ملح وزيت، وهو يتعشى، فقالت: يا أمير المؤمنين! أتيت لحاجة لي، ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتي.

قال: وما ذاك يا عمّة؟..

قالت: لو اتخذت لك طعاماً ألين من هذا!..

قال: ليس عندي يا عمّة، ولو كان عندي لفعلت!..

قالت: يا أمير المؤمنين! كان عمّك عبد الملك يُجري لي كذا وكذا، ثم كان أخوك الوليد فزادني، ثم كان أخوك سليمان فزادني، ثم وُلِيت أنت فقطعته عني!.

قال: يا عمّة إن عمي عبد الملك وأخي الوليد وأخي سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين، وليس ذاك المال لي أن أعطيكمه.. ولكن أعطيك من مالي إذا شئت. قالت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: عطائي مئة دينار فهو لك. قالت: وما يبلغ مني عطاؤك؟! قال: فلست أملك غيره يا عمّة!.

هكذا كان عمر الذي ساد العدل في عهده.

ففعن مسلمة بن عبد الملك قال: دخلتُ على عمر وقميصه وسخ، فقلتُ لامرأته - وهي أخته -: اغسلوه، قالت: نفعل، ثم عدتُ فإذا القميص على حاله، فقلتُ لها، فقالت: والله ما له قميص غيره!..

أي عظيم هذا عمر بن عبد العزيز؟! هذا الذي قالت له امرأته يوماً: أنتَ أمير المؤمنين ولا تقدر على درهم؟!..

قال: هذا أهونُ من معالجة الأغلال في جهنم!.

رحمك الله يا عمر! فقد أتعبت من جاء بعدك.



بشارات للمتقين (١)

بَشَّرَ اللهُ ﷻ عباده المتقين في كتابه الكريم ببشارات عديدة؛ أَرْفُهَا إِلَيْكُمْ:

الأولى: بِشَّرَكَ اللهُ - أيها التقي - بما يَسْرُكَ في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (١٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿[يونس: ٦٣ - ٦٤].

الثانية: وبَشَّرَكَ بأنه معك يعينك؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

الثالثة: وأنه سيعطيك العلم، لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

الرابعة: ويهديك للصواب والتمييز بين الحق والباطل، لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

الخامسة: ويكفر ذنوبك ويُعظم أجرك، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

السادسة: ويغفر لك خطاياك، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْلَحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩].

السابعة: وييسر أمورك في كل حين، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

الثامنة: ويخرجك من الغمِّ والمحنة، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

التاسعة: ويرزقك رزقاً واسعاً، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

العاشرة: ويُنجيك من العذاب والعقوبة، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُخَيِّجُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [مريم: ٧٢].

الحادية عشرة: ويجعلك كريماً عنده وعند الناس، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

الثانية عشرة: ويبشرك بحبه لك، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

الثالثة عشرة: ويفلاحك في كل أمر، لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨].

الرابعة عشرة: وأنه لن يضيع عملك وإحسانك، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

الخامسة عشرة: وسيقبل عملك فلا يردّه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

السادسة عشرة: وأنتك من أهل الجنان، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥].

السابعة عشرة: وتنال الأمن والمنزلة الرفيعة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١].

بشارات للمتقين (٢)

الثامنة عشرة: وتستمع بعزّ الفوقية يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢].

التاسعة عشرة: ويعطيك من اللذائذ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ وَكَوَاعِبَ أَزْوَاجًا ۖ وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبا: ٣١ - ٣٤].

العشرون: ويجعلك الله تعالى يوم القيامة قريباً منه . . . تستمتع بالنظر إلى وجهه الكريم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتِ وَهْرٍ ۖ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدَّرٍ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

الحادية والعشرون: وتتمتع بسلامة الصدر، لقوله تعالى: ﴿الْأَخْلَافُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

الثانية والعشرون: ويصلح لك عملك، لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

الثالثة والعشرون: ويمنحك البصيرة بالأمر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَا سَأَلَهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

الرابعة والعشرون: ويعظم أجرك، لقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

الخامسة والعشرون: وتكون من الفائزين، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

السادسة والعشرون: ويرزقك التفكير والتدبر في خلق الله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦].

السابعة والعشرون: ويُنجيك من النار، لقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْلَى﴾ [الليل: ١٧].

الثامنة والعشرون: وتتخذ من التقوى لك زاداً، لقوله تعالى: ﴿وَتَكَزَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

التاسعة والعشرون: ويرزقك حسن العاقبة، لقوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

الثلاثون: وأخيراً تفوز بولاية الله، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البجائية: ١٩].



يقول أحدهم: إن الله سبحانه خبأً أربعاً في أربع:

- رضاه في طاعته، فلا تحقروا منها شيئاً، فلعلّ رضاه فيه..
- وخبأً غضبه في معصيته، فلا تحقروا منها شيئاً، فلعلّ غضبه فيه..
- وخبأً ولايته في عبادته، فلا تحقروا منهم أحداً، فلعلّه ولي من أولياء الله..
- وخبأً إجابته في دعائه، فلا تتركوا الدعاء، فربما كانت الإجابة فيه..
- فلا تستهنّ بأي عمل من المعاصي مهما كان صغيراً، فقد تكون تلك المعصية طريقاً إلى غضب الله.
- يقول بشر الحافي: «من أراد أن يذوق طعم الحرية، ويستريح من العبودية؛ فليطهر السريرة بينه وبين الله تعالى...».
- ألسنا نعيش في مُلْكٍ مَلِكِ الملوك ﷺ، فكيف نعصيه؟! كيف لا نطيعه وهو خالقنا ورازقنا ومعطينا وراحمنا؟!..
- أليست السعادة في طاعة الله والبعد عن عصيانه؟!..
- نعم..

يقول رسول الله ﷺ: «السعادة كل السعادة: طول العمر في طاعة الله»^(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «مما أوحى الله إلى عبده داود: ما من

عبد بطيعني إلا وأنا معطيه قبل أن يسألني، ومستجيب له قبل أن يدعوني، وغافر له قبل أن يستغفرني..» فهل هناك أجمل من ثمار هذه الطاعة؟!..

يروى عن عيسى عليه السلام: أنه قال للحواريين من حوله: «لا الدنيا تريدون.. ولا الآخرة!».. فعجب الحواريون.. فقال: «لو أردتم الدنيا أطعتم ربكم الذي بيده خزائنها، فأعطاكم إياها، ولو أردتم الآخرة أطعتم رب الآخرة الذي يملكها، فأعطاكم إياها».

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمته الله:

«ليس المؤمن هو الذي لا يعصي الله، ولكن المؤمن هو الذي إذا عصاه رجع إليه».

وقيل لحكيم مرة: ماذا تشتهي؟.

قال: عافية يوم!.

ف قيل له: ألسْتَ في العافية سائر الأيام؟.

قال: العافية أن يمرَّ يوم بلا ذنب!.



الصدق مُنجيك وإن خِفَّتْهُ

ليس في الأخلاق خُلُقٌ أحسن من الصدق، ولا أفسد للإنسان من الكذب؛ قال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بالصدق فإنه مع البر، وهما في الجنة.. وإياكم والكذب فإنه مع الفجور، وهما في النار»^(١).

قال أعرابي لابنه وقد سمعه يكذب: يا بني إنَّ الكَذَابَ يتعرض لعقاب ربه؛ إن قال حقاً لم يُصدَّقْ، وإن أراد خيراً لم يوقَّقْ، وما صحَّ من صدِّقه نُسب إلى غيره، وما صحَّ من كذبٍ نُسب إليه..

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأنَّ يَضْعُني الصدقُ، وقلَّ ما يفعل؛ أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذب، وقلَّ ما يفعل!

يقول الشاعر:

ما أحسنَ الصدقَ في الدُّنيا لقائلِهِ وأقبحَ الكِذْبَ عندَ الله والناسِ
ويقول آخر:

الصدق مطيَّةٌ لا تهلك صاحبها وإن عثرتْ به قليلاً..

والكذب مطيَّةٌ لا تنجي صاحبها وإن جرتْ به طويلاً..

يروى: أن الإمام أحمد بن حنبل سمع بوجود حديث عند عالم في دمشق، فسافر إليه من بغداد، حتى إذا وصل دمشق مكث مدة يسأل عن العالم، وعن أخلاقه ومعاملته.. حتى إذا وثق من صدقه أتاه باكراً، ولما اقترب من بيته وجد العالمَ خارجاً من بيته يجرُّ حماره (وقد كان العالمُ حملاً لا يكسب من عمله).. فرفض الحمار أن يسير معه، حاول جرَّه

بمختلف الطرق فلم يُفلح، وعندها جمع العالمُ طرفَ جُبَّتِه وقَدَّمها للحمار ليوهمه أن في الجُبَّة شعيراً، فمشى الحمار.. فأتى الإمام أحمد إلى الجُبَّة، فوجدها خالية ليس فيها شعير.. فترك أحمدُ العالمَ وحديثه وعاد إلى بلده!.. فقد أدرك أن هذا العالمَ غير صادق ولا يمكن أن يؤتمن على الحديث النبوي!.

ورحم الله ابن المقفع حين قال: «لا تتهاون بإرسال الكذبة من الهزل؛ فإنها تُسرِع إلى إبطال الحق».

وقال آخر: الكَذَّابُ لِيَصْرَ؛ لأن اللصَّ يسرق مالك، والكذَّاب يسرق عقلك!..



لا تُكثر من المزاح؛ فإنه يقسي القلب، ويذهب الهيبة، ويُوقع في الزلل والهفوات! ..

صحيح أن رسول الله ﷺ كان يمزح، ولكنه المزاح المتزن الذي لا يقول فيه إلا حقاً.

جاءت امرأة يقال لها: (أم أيمن) إلى النبي ﷺ، فقالت: إن زوجي يدعوك. قال: «ومن هو؟ .. أهو الذي بعينه بياض؟».

قالت: والله ما بعينه بياض!.

فقال: «بلى إن بعينه بياضاً!».

فقالت: لا والله ..

قال عليه الصلاة والسلام: «ما من أحد إلا وبعينه بياض»^(١) .. وأراد بذلك البياض المحيط بالحدقة.

وأنت عجوز إلى النبي ﷺ، فقال لها: «لا يدخل الجنة عجوز»، فبكت .. فقال: «إنك لست بعجوز يومئذ .. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٦]»^(٢) ..

سُئل النخعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم .. والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوماً لجارية له: خلّقي خالقُ الخير،

(١) رواه ابن أبي الدنيا.

(٢) رواه الترمذي.

وخلقك خالق الشر.. فبكت الجارية.. فقال عمر: لا بأس عليك؛ فإن الله خالق الخير والشر.

ولكن بعض الناس يُفرط في المزاح ليُضحك الناس كيفما كان، وبأي طريقة كانت؛ فلا ينظر إلى كلماته وفحواها، ولا إلى عباراته ومغزاها، وينسى حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه:

«إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه؛ يهوي في النار أبعد من الثريا»^(١).

فالمزاح والضحك والترفيه مباح في الشريعة، بل هو مطلوب أحياناً للترويح عن القلوب، ولكن..

● لا تُفرط في المزاح، وتجنب الإيذاء والسخرية.

● ابتعد عن بذيء القول، والفاحش من الكلام.

● لا تتخذ المزاح غايتك ومبتغاك.

وقد يستسهل البعض الكذب حين يمزح، ظاناً أن مجال اللهو يباح فيه الكذب، والرسول ﷺ يحذّرنا من فعل ذلك فيقول: «ويلٌ للذي يُحدثُ بالحديث ليُضحك منه القومُ فيكذب، ويلٌ له»^(٢). ويقول أيضاً: «لا يؤمن العبدُ الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح والمرء وإن كان صادقاً»^(٣). فلا كذب في المزاح، ولا افتراء على الآخرين.



(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه أحمد.

ذكرت دعوة أبي!

كم هو دور الأم والأب عظيم عندما يخرج من بين أيديهما ولد صالح ينفع الله به الإسلام والمسلمين!..

وكم هي مأساة عظيمة عندما يفرط الوالدان في هذه الأمانة التي حملها الله إياها!..

كم من عالم أسند الفضل بعد الله إلى والديه في تربيته وتعليمه!..

وكم من عاصي لله مجاهر بفسقه حمل والديه مسؤولية ضياعه..

فهل يستوي من كان نتاج غراسه فاكهة ونخلاً ورمناً، ومن كان نتاج غراسه شوكاً وسدرأ؟!..

يقول الشيخ محمد الشنقيطي: «أذكر رجلاً كان فقيراً ضيق الحال؛ كان يعمل في النهار، فإذا جاء بالأجرة في آخر اليوم؛ وضعها على الطاولة لأبيه ليأخذ منها ما يشاء.. فلما سألته عن ذلك، قال: أستحيي أن أرفع يدي على يد أبي فتكون منة على والدي.

وقال: كنت لما أضع المال بين يديه يدعو الله ويقول: اللهم ارزق ابني القرآن واجعله من أهله.

فبلغ أكثر من عشرين عاماً وهو تائه في الأعمال، حتى شاء الله أن يأتي ذلك اليوم الذي يلتقي فيه بعالم كان عمدة للفتوى في بلده.. فقال: أي بني، ما هذا الذي أنت فيه؟..

قال: ما ترى.. أسعى في الرزق.

قال: هل لك أن تجعل لي يوماً من أسبوعك؟.

قال: نعم، ونعمت عيني بذلك.

فما زال يتردد على ذلك العالم حتى جاء اليوم الذي يناقش فيه رسالة الدكتوراه في تفسير القرآن العظيم.

فلما دعي إلى المناقشة وجلس.. إذا بشيخه وأستاذه يقومان له مهابة وإجلالاً لِمَا وصل إليه من العلم.. وقالوا: تفضل يا شيخ فلان! فجلس يبكي.

فقالوا له: تبكي ونحن نريد أن نمنحك اليوم درجة الشرف الأولى؟!..

قال: ذكرتُ دعوة أبي ﷺ.. فقد تحققت بعد عشرين عاماً!..

تذكر حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «ثلاث دعوات يُستجاب لهن لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده»^(١).

وبالمقابل، فمن رحمة الله تعالى أنه لا يستجيب دعاء الوالدين على أولادهما إذا كان في وقت الغضب والضجر، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعِجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١].



يخافون.. ولا يأمنون! (١)

قال الله تعالى جلّ في علاه؛ في الحديث القدسي: «وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمينين ولا خوفين، إن هو آمنني في الدنيا أخفّته يوم أجمع عبادي»^(١)..

فمن منا أحسّ قلبه اليوم بوجل من النار فدعا الله في سجوده من كل قلبه: اللهم أجرني من النار؟!..

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

ضحك على البعض منا إبليس فقال له: أنت مسلم.. مكتوب اسمك في الفردوس!..

من منا حاسب نفسه في اليوم مرة.. في الأسبوع مرة.. في الشهر مرة.. في السنة مرة؟!.. أتريد أن تعرف أنك مؤمن حقاً أم لا؟!.. اعرض نفسك على كلام الجبار العظيم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢]؛ فهل نخشع في صلاتنا؟!..

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]؛ فكيف هي مجالسنا؟!.. كم منا من لا يتورع عن الغيبة.. ولسانه سليط على خلق الله..

كان النبي ﷺ عندما يجلس مع أصحابه يقول: «اللهم اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم» سبعين مرة.. لأنه علم أنه من لم يخف في الدنيا سيخوف في الآخرة..

أبو بكر رضي الله عنه خير من وطأت قدمه الثرى بعد الرسل والأنبياء .. موعود بأن يدخل الجنة من أي باب من أبوابها الثمانية ؛ لم يقل أنا مطمئن فأنا من أهل الجنة! ..

كان أبو بكر جالساً ممسكاً بلسانه .. يهزه .. دخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان أبو بكر رضي الله عنه ممسكاً بلسانه، فقال: ما لك يا أمير المؤمنين؟! ..

قال: لساني هذا أوردني الموارد .. أخشى أن يكون قد زلَّ بكلمة!

من منا حاسب نفسه بماذا تحرك لسانه في يوم من الأيام؟! ..

عمر بن الخطاب رضي الله عنه فُتحت على يديه الأمصار، وعلم أنه المُبشر الثاني بالجنة .. ومع ذلك لما سمع أنَّ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه - الصحابي الصغير الذي ليس ضمن قائمة المبشرين - عنده أسماء بعض المنافقين .. هل ارتاح عمر؟! .. لا والله .. فقد سعى فوراً إلى بيت حذيفة رضي الله عنه وقال: أسألك بالله! هل ذكرني النبي صلى الله عليه وسلم مع المنافقين؟! ..

عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه يخشى على نفسه النفاق! .. ومنا من اجتمعت فيه صفات المنافقين كلها لكن إبليس يقول له: لا يا أخي! .. أنت أفضل الناس عند الله عز وجل! .. ما بينك وبين الجنة إلا أن تُنزع روحك! ..



يخافون.. ولا يأمنون! (٢)

كم منا من إذا حدث كذب؟! ..

كم منا من إذا أوْتمن خان؟! ..

كم منا من إذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر؟! ..

كَمْ مِّنَا مَن ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]! ..

ما الذي جعل عمر يسعى؟ .. عَليم - ولا بد أن نعلم - أنه من لم يخف في الدنيا يُخَوَّف في الآخرة ..

هل جلست مع نفسك يوماً من الأيام وتخيلت حالك فوق الصراط؟! .. الصراط أسود، والكون ظلام، والنار تغلي وتزفر .. ظلام في ظلام: ﴿وَمَنْ لَّا يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] ..

هل تخيلت حالك، وأنت تسمع صراخ الهاوين في النار؟! .. وضعت أول قدم على الصراط، ثم رفعت الأخرى ..

هل تثبت على الصراط، أم تهوي كما هوى الكثير منا خلف شهواته؟! .. نسمع ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ شِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩] .. نتخيل أناساً آخرين! فنحن لا تمسنا النار! ..

لكن لما تُذكر الجنة، وتُذكر القصور .. يتخيل الواحد منا جلسته على الأرائك^(١) .. لم؟! .. هل اتخذنا عند الله عهداً؟! .. ﴿اتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ [البقرة: ٨٠] ..

يا غافلاً تتمادى غداً عليك يُنادى
هذا الذي لم يُقدِّم قبل المنية زاداً

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

إيمان .. وهجرة .. وجهاد .. تلك هي صفات من يرجو أصحابها
فضل الله تعالى .

وانظر إلى طاعات أخرى تؤهل لحسن القبول عند الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

تلاوة للقرآن، وإنفاق في سبيل الله، وصلوات في المساجد .. تلك
هي صفات من يبتغي التجارة مع الله ...

فعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ دخل على شاب وهو في الموت
فقال: «كيف تجدك؟».

قال: أرجو الله يا رسول الله .. وإني أخاف ذنوبي! ..

فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان (أي: الرجاء والخوف) في قلب
عبد في مثل هذا الموطن؛ إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف»^(١).



يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث المشهور: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها».

قالوا: أمن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟.

قال: «إنكم يومئذٍ كثير.. ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنَّ الله المهابة من صدور أعدائكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن».

قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟.

قال: «حبُّ الدنيا، وكرهية الموت»^(١)..

صدقْتَ يا رسول الله! أليست الأمة الإسلامية الآن نهباً لأطماع الدول الأخرى؛ ينهبون خيراتها، ولا تستطيع لهم دفاعاً ولا صدأً؟! أليسوا كالقصة التي تمتد إليها الأيدي تنهش ما بها من طعام، ولا تستطيع لهم رداً ولا دفاعاً؟!..

ثم ألم يتحول المسلمون إلى شخوص (هلامية)؛ تلك التي عبَّر عنها الرسول ﷺ بالغثاء؟!..

ألا نشبه ذلك الغثاء الذي يدفعه السيل أمامه من خشاش الأرض؟!..

ألم نفتقد هيبتنا في المجتمع الدولي والمنظمات الدولية؟!..

أليس هذا ما يحصل الآن وقد بلغ عدد المسلمين أكثر من مليار ونصف مليار؟! أليس هذا لأننا ابتعدنا عن ديننا، ونأينا عن طريق نبينا محمد ﷺ؟!..

ألم ينغرس حب الدنيا والحرص على المراكز والمناصب في نفوس المسلمين؟! ..

عن علي عليه السلام: أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلَّ فيها البلاء!». .

قيل: وما هي يا رسول الله؟ .

قال: «إذا كان المغنم دُولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته، وعقَّ أمه، وبرَّ صديقه، وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجلُ مخافةَ شرِّه، وشربت الخمر، ولُبس الحرير، وأتخذتِ القيانُ والمعازف، ولعن آخرُ هذه الأمة أولها.. فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، أو خسفًا، أو مسخاً»^(١).

اللهم سلِّم! .. اللهم سلِّم! ..



لو يعلم الخلائق ماذا يستقبلون..

قال مالك بن دينار: «لو يعلم الخلائق ماذا يستقبلون غداً ما لذوا بعيش أبداً»!..

وقال لقمان لابنه: «يا بني أمرٌ لا تدري متى يلقيك.. استعد له قبل أن يفاجئك».

يقول الشاعر:

تالله لو عاش الفتى في عمره ألفاً من الأعوام مالكَ أمره
متلذذاً فيها بكلِّ نعيم متنعماً فيها بنعمى عصره
ما كان ذلك كله في أن يفى بمبيتٍ أولٍ ليلةٍ في قبره
ويقول الحسن البصري:

«يومان وليتان لم يسمع الخلائق مثلهنَّ قط: ليلة تبيت مع أهل القبور
ولم تبت قبلها مثلها، وليلة صبيحتها تسفر عن يوم القيامة، ويوم يأتيك
البشير من الله إما بالجنة أو بالنار، ويوم تعطى كتابك إما بيمينك وإما
بشمالك».

ألم تسمع لذلك الطبيب وقد وضع سماعته على صدر المريض الذي
يشتكي من قلبه، وفجأة انحنى الطبيب على صدر المريض ميتاً!

كتب أحد الشباب عن موقف أثر فيه كثيراً فقال: سافر أحد زملائي
للسياحة في تايلاند حيث الدعارة والفجور.. وكنت كلما اتصل بي هاتفياً
أذكره بتقوى الله ﷻ، وأن الله يمهل ولا يهمل.. ولكنه كان يقول: سأذهب
لأداء العمرة عندما أعود، فالله غفور رحيم..

وعند عودته.. أصابته أزمة قلبية وهو في الطائرة أثناء هبوطها.. نُقل
بسرعة إلى المستشفى، ولكنه فارق الحياة!..

هل تذكرت يوماً تكون فيه من أهل القبور؟! .

هل تذكرت مفارقة الأهل والجيران، والأموال والأصحاب والأوطان؟! .

هل تذكرت ضيق القبور وظلمتها؟! .

هل تذكرت وحشتها وكربتها؟! .

هل تذكرت عذاب القبر وألوانه؟! .

هل تذكرت حياته وعقاربه وديدانه؟! .

هل تذكرت الشجاع الأقرع وعظم شأنه؟! .

هل تذكرت ضرب الفاجر بمزربة من حديد مع الإهانة؟! .

هل تذكرت سؤال الملكين منكر ونكير؟! .

هل تذكرت أتوفق للصواب من الجواب عند سؤال الملكين، أم يقال لك: لا دريت ولا تليت؟! هل تذكرت نعيم القبر وروحه وريحانه؟! .

إياك أن تسوّف بالتوبة، وتتكلم على العفو والمغفرة، وإياك أن تقول: ما زلت في شبابي وسوف أتوب إذا تقدّمت بي السن، فالموت لا يعرف شيخاً ولا شاباً، ولا رجلاً ولا امرأة، ولا غنياً ولا فقيراً، ولا أميراً ولا وزيراً^(١) .

ورحم الله من قال:

ولذتك أمك يا بن آدم باكياً والناس حولك يضحكون سرورا
فاعمل لنفسك أن تكون إذا بگوا في يوم موتك ضاحكاً مسرورا



(١) أيها المقصر... استعد، للأستاذ خالد آل فريج، (بتصرف).

إني أرى منزلي.. (١)

مَنْ مَنّا يعرف متى وأين يموت؟! .. مَنْ مَنّا يعرف حقيقة مصيره؛ إلى جنة أم إلى نار؟! ..

يروى الدكتور عبد المحسن الأحمد قصة حقيقية حدثت مع قريبته .. تقول قريبته هذه: كنّا جالسات، وكان أحد الدعاة يلقي محاضرة؛ إذ دخلت فتاة ما أعرفها، جلست بجانبني ..

كان الشيخ يتكلم عن قصة (ماشطة بنت فرعون)، حينما سألتها فرعون: أنا ربك؟! ..

قالت: لا .. ربي الله الذي خلقني وخلقك ..

فأمر الجنود؛ فأشعلوا على القدور العظيمة نيراناً تتأجج، والزيت يغلي في القدور! ..

كرر السؤال، فكررت الإجابة .. وحولها أطفالها الخمسة فزعين من صوت الزيت والنار ..

كلّ منهم قد تشبث بأمه، وأغمض عينيّه، والأم تحاول أن تحتضن هؤلاء الخمسة .. فإذا به يأمر الجنود أن يلقوا بهم في النار واحداً تلو الآخر؛ الأطفال يضطرخون .. فيسحبون هذا .. تحاول أن تمسكه .. تدفعهم .. ينزعون الآخر .. حتى نزعوا واحداً يجرونه وهو يبكي ويلتفت إلى أمه: ساعديني .. ساعديني! ..

وهي تبكي، ثم يُحمل هذا الطفل أمام عيني أمه فيُلقي في الزيت .. ما هي إلا لحظات ويغيب هذا الطفل .. لحظات أخرى وإذا بالعظام تطفو .. عظامه أمام عينيها وقلبها يحترق .. يفور .. يسألها وترد نفس الإجابة: ربي

الله الذي خلقني وخلقك، فيأمر الجنود، يتحركون، فينزعون الآخر..
يصطرخ.. تسمع الصرخة.. غاب الصوت، غاب الطفل.. وإذا بالعظام
تطفو مع عظام أخيه.. ثانية..

الثالث والرابع.. كلهم ألقوا في الزيت المغلي!..

ما بقي معها إلا رضيع.. صارت تضمه بكل ما أوتيت من قوة، كأنه
قطعة منها.. قد التقم ثديها، فلما تحرك الجنود حاولت أن تنطوي عليه،
تُضرب أشد ما يكون الضرب.. ثم تُضرب يدها ويُزنع منها.. اللبن يتطاير
من فمه، وشعرات أمه في يديه.. تنظر إليهم؛ ما هي إلا دقائق، وإذا
بالخمسة عظام أمامها.. تذكّرت كم كانت تلاعبهم.. كم ساهرتهم.. كم
صاحكتهم.. هم الآن عظام.. إنه الثبات!..

يقول أحدهم: أنا لا أستطيع ترك الأغاني والفيديو كليب!.. لا
تركها أبداً!..

هل تظن أن ﴿مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ محتاج منك أن تترك
الأغاني الماجنة واللقطات المثيرة؟..

تقول: لما ذكر الشيخ هذه القصة، إذا بالفتاة الغربية ترتعش..
استأذنت فجأة بسرعة وخرجت..

تقول قريبتى: تبعْتُها، فإذا بها قد اتكأت على أحد الجدران تبكي..
تقول: هدأتُها وأقنعتها أن ترجع للمحاضرة..



إني أرى منزلي .. (٢)

فإذا بالشيخ يسترسل ويذكر قصة امرأة فرعون: امرأة مُكبلة تُضرب بالسياط حتى يتكشف اللحم! .. صحيح أنها موجهة جداً، ولكنها علمت: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥] ..

فلما أحست الألم الشديد؛ ما صرخت .. ولكنها قالت من كل قلبها: رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴿[التحریم: ١١] ..

تريد أن تسلي نفسها .. تُذكر نفسها بأن هناك جنان ..

يقول ابن كثير: فُتِّقَ عنها الحجب، فإذا بها ترى قصرًا وترى الأنهار تجري من تحته: ﴿وَأَنهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَّيِّنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ [محمد: ١٥]، ﴿وَأَنهَرٌ مِنْ عَدْوٍ مَضًى﴾ [محمد: ١٥] .. ترى سندسًا وإستبرقًا، وحريرًا وجنانًا، وثمارًا وطيورًا .. فتبسمت .. نسيت الضرب .. جن الجنود كيف نضربها وتبتسم؟! .. قالت: والله إني لأرى منزلي من الجنة ..

تقول قريبيتي: لما قال الشيخ: الجنة .. إذا برأس الفتاة يسقط على حجري، وبدأت الأنفاس تزفر، واللون يتغير! ..

تقول: حملناها بسرعة إلى قاعة أخرى، طلبنا الإسعاف والطبيب .. صرت أقرأ عليها ودمعاتي على وجهي خائفة، وما يزداد التنفس إلا صعوبة ..

قالت لي إحداهن: والله ما أظنها إلا تحتضر ..

كانت تشخص ببصرها إلى السماء .. فقالت لها إحداهن: قللي: «لا إله إلا الله» .. فما ردت! ..

تقول: لما قالت الثالثة .. فإذا بها ترفع يدها؛ تصرخ وتقول:

والله إني أرى منزلي من النار.. إني أرى منزلي من النار^(١)..

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

يقول الشاعر في الاستعداد للآخرة:

تزوّد من التقوى فإنك لا تدري إذا جنّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجرِ
فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكاً وقد نُسِجَتْ أكفانه وهو لا يدري
وكم من صغارٍ يُرتجى طولُ عمرهم وقد أدخلت أجسادهم ظلمةَ القبرِ
وكم من صحيحٍ مات من غيرِ علةٍ وكم من سقيمٍ عاش حيناً من الدهرِ
● آخر ساعة في حياتك:

إذا كان هذا آخر وقت في حياتك، فاجعله في طاعة..

وإذا كانت هذه آخر ساعة في حياتك، فاجعلها في عبادة..

وإذا كانت هذه آخر دقائق في حياتك، فأنفقها في فعل الخيرات..

وإذا كانت هذه آخر دقيقة في حياتك، فاجعلها توبة..

وإذا كانت هذه آخر ثانية في حياتك، فلا تئس من رحمة الله..

فلماذا لا تجعلها الآن وكأنها آخر ساعة؟!..



أيها أرجى وأحسن آية في القرآن؟

تعددت الآراء في أرجى وأحسن آية في القرآن ..

فقال أبو بكر رضي الله عنه: قرأت القرآن كله، فلم أر فيه آية أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤]؛ فإنه لا يشاكل العبد إلا العصيان (أي: إن العبد يعصي ولا بد) .. ولا يشاكل المولى إلا الغفران! ..

وقال عمر رضي الله عنه: قرأت القرآن كله، فلم أر أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿حَمَّ﴾ ﴿تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ١ - ٢]؛ فإن الله قد قَدَّمَ غفران الذنب على قبول التوب: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

وقال عثمان رضي الله عنه: قرأت القرآن كله، فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿تَتَىٰ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠]، لأن الله تعالى قَدَّمَ الغفران والرحمة على الليم العذاب.

وقال علي رضي الله عنه: قرأت القرآن كله، فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]؛ فأمر المسرفين على أنفسهم أن لا يئسوا من رحمة الله، وفتح لهم أبواب التوبة على مصاريعها ...

وقال القرطبي: قرأت القرآن كله، فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]؛ فالله تعالى أعطى الأمان لمن آمن ولم يدنس إيمانه بظلم أيًا كان ...

وقال الشيخ عبد الرحمن الصفوري: قرأت القرآن كله، فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَىٰ نَبِيِّهِمْ الْأَبَشْرَئِ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧].

يقول علي بن أبي طالب عليه السلام: «الفقيه كلُّ الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤسَّسْهم من روح الله، ولم يؤمِّنْهم من مكر الله».



من الضياع إلى الطمأنينة

قد تمرّ في حياة الإنسان لحظات يتحول فيها مجرى حياته إما إلى خير وإما إلى شر ..

وهذه إحدى الفتيات تروي قصة التحول الكبير في حياتها؛ تقول: نشأت في عائلة ثرية جداً، طفولتي سعيدة هائلة .. ولكن في مرحلة المراهقة انتابني شعور بالوحشة والضرر، شعرت بأن المال والجاه والشهرة وحتى الجمال لا يحقق لي الطمأنينة في نفسي.

كنت أشتري الملابس الغالية فأكون سعيدة للحظات، ثم تصبح شيئاً عادياً لا إثارة فيه .. تقدم لخطبتي كثيرون؛ فعندي الجمال والمال والنسب والحسب .. تزوجت زواجاً موفقاً، ولكنني لم أشعر بالطمأنينة والسعادة رغم ما أمتلك من ثروة وزوج ..

قلت في نفسي: لعلي بعد الإنجاب أشعر بالسعادة التي تبقى ولا تزول سراعاً ..

وبعد الإنجاب لم أغير .. كل شيء عادي روتيني، سعادة لحظات قليلة ثم يعود كل شيء إلى ما كان عليه.

أحسست أن هناك شيئاً أفقده سيحقق لي السعادة الدائمة التي لا تنقطع، والطمأنينة التي لا تزول، ولكن ما هو الشيء الذي أفقده؟ جميع متع الدنيا ملك يدي؛ فما هو الشيء الذي ينقصني؟ وأين أجد السعادة التي لا تنقطع؟.

بحثت في نفسي: ماذا تريدان؟ وما هو الشيء الذي لم تحصلي عليه بعد؟ فأجابتنني: أريد أن أكون قريبة من الذي بيده السعادة الحقيقية لكي يعطيني إياها .. إنك تشعرين بالوحشة لأنك بعيدة عن الله؛ فلماذا لا تقتربين

منه فتأمني وتشعري بالسعادة الحقيقية؟! .. لقد تداركتني رحمة الله تبارك وتعالى، وهداني إلى صراطه المستقيم، أسأل الله لي ولكم الثبات.

كنت في السابق أصلي متى استيقظت من النوم؛ أغلب الصلوات أؤديها بلا خشوع ولا طمأنينة، ولم أكن أحافظ على الأذكار..

حافظت على الصلوات في أوقاتها مجتهدة على أدائها بأكمل وجه، وحافظت على الأذكار، تبدلت حياتي.. اطمأنت نفسي وهدأت روحي.. مسكينة أنت أيتها الروح! كم كنت أحرمك من زادك الحقيقي؟! ظننت أنني أسعدك بالذهب والإياب والشراء واللباس والطعام، فوجدت أنك تسعدين بالقرب من خالقك وبارئك الذي سوف ترجعين إليه.

يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿[الفجر: ٢٧ - ٢٨].

ويقول تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ ظَلَمِينَ الْقُلُوبِ﴾ [الرعد: ٢٨]؛ نعم لقد وجدت الطمأنينة؛ فلك الحمد يا رب العالمين.

ويقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].



إحسان للأهل حتى في الاعتكاف

ليس الاعتكاف قطيعة للأهل، ولا هو عزلة مطلقة عن محيط الأسرة؛ فلا يمنع المرء من القيام برعاية أهله، ولا يحول بينه وبين مظاهر حُسن العشرة.

ومن ذلك حديث صفية رضي الله عنها زوج رسول الله ﷺ، وفيه: أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ: تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب (أي: ترد إلى بيتها) فقام النبي ﷺ معها يقلبها (أي: يردها إلى منزلها) ^(١).

وفي رواية: «كان النبي ﷺ في المسجد وعنده أزواجه، فرُخَنَ (ذهبن)، فقال لصفية بنت حيي: لا تعجلي حتى أنصرف معك. وكان بيتها في دار أسامة، فخرج النبي ﷺ معها» ^(٢).

فأين هذا من بعض من يرتدي أزياء التدين؟! ثم ماذا يكون حظ أهله منه؟ ..

لا يجد أهله من أخلاقه إلا أسوأها، ولا من أوقات فراغه إلا آخرها، ولا من تفكيره واهتمامه إلا أقل القليل، حتى يئس منه أهله، فلا يطمعون في عطفه وإحسانه، ولا يأملون ببرّه وإشفاقه.

أما هو.. فيظل يطلب من أهله غاية البر وتمام الإحسان! ولكنه نسي الحقيقة التي تقول: «إنك لا تجني من الشوك العنب، ولا من العلقم حلاوة العسل».

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

ألم يقل الرسول ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»؟! (١).

ألم يكن الرسول ﷺ يساعد أزواجه في أعمال البيت؟! فعلام نتكبر على مساعدة أزواجنا؟! .

علام نجد أنفسنا غير قادرين على أن نقوم بأي عمل في بيوتنا؟! .

أليس الإحسان إلى الأهل من سبل الوصول إلى رضا الله سبحانه؟! حتى الصدقة. . فأفضل الصدقات درهم تنفقه على أهلك - كما جاء في الحديث النبوي الشريف .

فلنحسن إلى أهلينا، لنكن في بيوتنا جسداً واحداً نعمل معاً، ونستريح معاً، والكلّ فيه هانئ وسعيد.



قلوبٌ يتنزَّلُ عليها نصر الله!

مِنَ المؤمنين مَنْ صدق ما عاهد الله عليه؛ ترك مفاتن المال وإغراءه، وطلب من الله الشهادة في سبيله..

مِنْ هؤلاء: النعمان بن مقرن.. يبعثه عمر رضي الله عنه والياً على بلدة في العراق.

يتولى النعمانُ الولاية، ويدير شؤونها؛ يجمع المال لبيت مال المسلمين، فيجد نفسه أمام بريق المال ليس عليه رقيب إلا قلبه العامر بالإيمان، ولكنه يخشى على نفسه الفتنة من بريق المال!..

فإذا به يكتب إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رسالة يقول فيها: «يا أمير المؤمنين إن مثلي ومثل «الولاية».. كمثل شاب في ريعان شبابه عند امرأة مومس تزين له وتعطر.. وإنني أستحلفك بالله أن تعفيني من هذه المهمة، ثم تبعثني على رأس جيش لأغزو في سبيل الله».

يقرأ عمر الرسالة فيعجب من هذا الذي ترفع على الدنيا وزينتها، واختار مهمة أخرى هي الجهاد في سبيل الله.. فيقول عمر: إن قلوباً مثل هذه حريٌّ أن يتنزَّلَ عليها نصر الله! ويعود النعمان بن مقرن إلى المدينة، ويدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيبادره أمير المؤمنين قائلاً: لقد انتدبتك لعمل..

فأجاب النعمان: إن كان جباية المال؛ فلا.. وإن كان جهاداً في سبيل الله؛ فنعم...

ويتولى النعمان إدارة المعركة في «نهاوند»؛ فما أن هبَّت طلائع الأصيل حتى صاح القائد المؤمن: أيها الناس! إنني سأهزُّ الراية ثلاثاً..

فأما الأولى فليتوضأ كل جندي .

وأما الثانية فليعدّ سلاحه .

وأما الثالثة فاحملوا على العدو، ولا يلويَنَّ أحدٌ على أحد وإن قُتِلَ
النعمان! ..

وإني راغبٌ إلى الله بدعوة، وأقسمُ على كل امرئٍ منكم أن يؤمِّنَ
عليها: (اللهم ارزقِ النعمانَ اليوم شهادةً في نصر عظيم، وفتحٍ على
المسلمين)، فأَمَّنَ القومُ، ثم هَزَّ الراية ثلاثاً .

وتقدَّم القائدُ الصفوفَ، فأطبق المسلمون على أعدائهم وكان النصر
العظيم والفتح الكريم .

ولكن ماذا حدث للنعمان؟ كان أحد شهداء هذه المعركة؛ صادفه أحد
جنوده وما زال به رمتق، فسأله النعمان: من أنت؟ قال: أنا معقل بن يسار .
قال النعمان: ما فعل الله بالناس؟ قال: لقد فتح الله للمسلمين . فقال
النعمان: الحمد لله كثيراً، اكتبوا بذلك إلى عمر . . ثم فاضت روحه . .

وهكذا كتب النعمان بن مقرن في موقعة «نهاوند» الفصلَ الختامي
لدولة الأكاسرة، وجعل أول سطره من دمه؛ رغبة فيما عند الله .



مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا

يقول تعالى: ﴿وَأَنبَغْ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

ولكن الدنيا التي يذمها الإسلام هي دنيا الغفلة والجري وراء الشهوات، الدنيا التي تُشغل الإنسان عن الله وتلهيه عن الآخرة، الدنيا التي يتعلق بها البخلاء فلا ينفقون في سبيل الله، الدنيا التي يركن إليها الجبناء فلا يقولون كلمة حق، الدنيا التي شاء الله أن تكون مملوكة لنا. . فجاء صِغارُ الهمم وأبوا إلا أن يكونوا عبيداً لها! تلك هي الدنيا التي يقول الله تعالى في أصحابها:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ - ١٦].

قيل لإبراهيم بن أدهم: أوصنا. . فقال:

إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا؛ فاشتغلوا أنتم بأمر الآخرة. .

وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم؛ فاشتغلوا بتزيين بواطنكم. .

وإذا اشتغلوا بعمارة البساتين والقصور؛ فاشتغلوا بعمارة القبور (أي:

العمل لما بعد القبر). .

وإذا اشتغلوا بخدمة المخلوقين؛ فاشتغلوا بخدمة رب العالمين. .

وإذا اشتغلوا بعيوب الناس؛ فاشتغلوا بعيوب أنفسكم. .

واتخذوا من الدنيا زاداً يوصلكم إلى الآخرة، فإنما الدنيا مزرعة

الآخرة.

يقول الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ :

«إن شأن الدنيا أنزلُ قدرًا من أن يأسى عليه رجل العقيدة .

وإن الأمة التي تستبدُّ بها الشهوات لا تصلح للحياة ولا تصلح بها حياة» .

ويقول الدكتور مصطفى السباعي رَحِمَهُ اللهُ :

«من تعلق قلبه بالدنيا ؛ لم يجد لذة الخلوة مع الله . .

ومن تعلق قلبه باللهو ؛ لم يجد لذة الأنس بكلام الله . .

ومن تعلق قلبه بالجاه ؛ لم يجد لذة التواضع بين يدي الله . .

ومن تعلق قلبه بالمال ؛ لم يجد لذة الإقراض لله . .

ومن كثرت منه الآمال ؛ لم يجد في نفسه شوقاً إلى الجنة» .



مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليغرام

هل نفرح بنعم الله؟

● الناس يفرحون بالنعمة على درجات ثلاث :

- ١ - فمنهم من يفرح بالنعمة لأنه سينتفع بها .
 - ٢ - ومنهم من يفرح بها لأنها دليل على عناية الله به فَرَزَقَهُ تلك النعمة .
 - ٣ - ومنهم من يفرح بها لأنها وسيلة لمزيد من التقرب إلى الله تعالى .
- فالفريق الأول ليس من الشاكرين ؛ لأنه فَرِحَ بالنعمة وليس بالمنعم .
والثاني شكرَ الله تعالى على تلك النعمة .

والثالث حَقَّقَ كمال الشكر ؛ فلم يفرح بالنعمة على أنها نعمة فحسب ، بل على أنها وسيلة إلى المزيد من التقرب إلى الله ﷻ . .

● يقول صالح اللخمي وهو يعظ ابنه :

«يا بني إذا مرَّ بك يوم وليلة قد سَلِمَ فيهما دينك وجسمك ومالك ؛ فأكثر الشكر لله تعالى ، فكم مِنْ مَسْلُوب دينه ، ومنزوع مُلكه ، ومهتوك ستره ، ومقصوم ظهره في ذلك اليوم . . وأنت في عافية؟ !»

أليس هذا ما يحدث كل يوم في كثير من بلاد المسلمين؟! ألا تشعر بنعمة الله عليك في أن جنبك تلك الويلات؟! ثم ألا تشعر بما يُصيب إخوانك المسلمين المضطهدين في كل مكان؟! ألا تدعو الله لهم - على الأقل - أن ينصرهم ، ويفرِّج همومهم ، ويحفظ دماءهم ، ويُسدّد على طريق الحقّ أهدافهم؟! .

اللهم آمين .

● شكّا أحدهم الفقر إلى أحد العارفين، فقال له :

أيسرُك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ قال : لا .

قال : أيسرُك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ قال : لا .

قال : أيسرُك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألف درهم؟
قال : لا .

قال : أيسرُك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم؟ قال : لا .

قال : أما تستحيي أن تشكو مولاك، وله عندك كل هذه النعم؟! .

● يروي الأصمعي : أنه قال لغلام فصيح وذكي : أيسرُك أن يكون لك
مئة ألف درهم وأنت أحمق؟! قال : لا والله .

فقلتُ : ولم؟ قال : أخاف أن يجني عليَّ حُمقي جناية تذهب بمالي،
ويبقى عليَّ حُمقي! ..

● ويقول أحد الصالحين : لا أحبُّ واحدة من الثلاث : الفقر
والمرض والموت :

فأما الفقر : فوالله للغنى أحبُّ إليَّ منه ؛ لأن الغنى به تُوصَلُ الرحم،
ويُحَجُّ البيت، وتبسط اليد بالصدقات .

وأما المرض : فوالله لأن أعافى فأشكر أحبُّ إليَّ من أن أُبتلى فأصبر .

وأما الموت : فوالله ما يمنعنا من حبه إلا ما قدّمناه من أعمالنا،
فنتستغفر الله .

قال حكيم: من يأكل فوق الشبع؛ يحضر قبره بأسنانه!..

وقيل: لو سئل أهل القبور: ما سبب قِصَرِ آجالكم؟ لقالوا: التخمّة!..

قال لقمان لابنه وهو يوصيه: يا بني! إذا ملئت المعدة، نامت الفكرة، وخرست الحكمة.. وقعدت الأعضاء عن العبادة.

وقال أحد الحكماء: من كثّر أكله كثّر شربه، ومن كثّر شربه كثّر نومه، ومن كثّر نومه كثّر تُخْمه، ومن كثّر تخمه قسا قلبه، ومن قسا قلبه غرق في الآثام.

قال حنظلة لعمر: يا أمير المؤمنين! احذر مَنْ إذا أكرّمته أهانك، وإذا أهنته أكرّمك!.

قال: مَنْ هذا؟.

قال: جسدك.. إن أنت تابعتَ بطنك وجسدك فيما يريدان منك؛ فَضَحَاكَ وأهانَكَ في الدنيا والآخرة.

وإن أهنتهما وعصيتهما وقويتَ عليهما؛ كافأك في الدنيا، ونجّياك في الآخرة.

فلا تطع شهواتك وأهواءك فيما يغضب الله ﷻ.. تمتع بالحلال الطيّب، ولكن دون إسراف ولا تفريط.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إياكم والبطنة! فإنها ثِقْلٌ في الحياة، نثْرٌ في الآخرة.

قيل لجالينوس: ما لك لا تمرض؟!..

فقال: لأنني لم أجمع بين طعامين رديئين..

ولم أدخل طعاماً على طعام..

ولم أحبس في معدتي طعاماً تأذيت منه..

يقول الإمام القرطبي:

أجمع العلماء على أن قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾
[الأعراف: ٣١] قد جمعت الطَّبَّ كُلَّهُ.

ويقول الشاعر:

لا بارك الله في الطعام إذا كان هلاكُ النفوس في المَعَدِ

ويقول آخر:

وكم من أكلةٍ منعت أخاها بلذة ساعةٍ أكلت دهره



توكل.. لا تواكل

التوكل والتواكل كلمتان يسيء استخدامهما كثير من الناس .

فالتوكل: هو أنك إذا أردت أن تعمل عملاً؛ عملتهُ بجدٍّ وإتقان، وأنت تعتقد أن التوفيق من الله وليس من عملك، والله ﷻ يقول: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

أما التواكل: فهو علة كثير من المسلمين الذين يعتقدون أن الله يرسل الرزق والنجاح دون علم ولا عمل! ..

فليس التوكل ترك الأخذ بالأسباب، بل معناه انحصار الأمل في الله، والالتجاء إلى تدبيره وحكمته .

لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار بالمنجنيق؛ أتاه جبريل فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا . . وأما إليه سبحانه فحسبي من سؤالي علمه بحالي . . فأوحى الله إلى النار: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] .

يقول أبو بلال الأسود: خرجتُ حاجًّا، فلما صرْتُ في بعض الطريق؛ إذا أنا بامرأة ليس معها زاد، فقلت لها: ما أرى معك زاداً ولا ما تحمِلين فيه الزاد! ..

فقلت: خرجتُ من بَلَخ (ولاية في أفغانستان) ومعِي عشرة دراهم، وقد بقي بعضها .

فقلتُ لها: إذا نفذتُ ماذا تصنعين؟ .

قالت: عليَّ هذه الجُبَّةُ أبيعها وأنفق ثمنها .

قلت: فإذا فني ما معك ما تصنعين؟

قالت: أبيع هذا الخمار، وأنفق ثمنه.

قلت: فإذا فني ما تصنعين؟

قالت: يا بطال.. أسأله فيعطيني (أي: تسأل الله).

قلت: ألا سألته قبل ذلك؟

قالت: ويحك! إنني أستحيي أن أسأله شيئاً من الدنيا ومعني فضلٌ من عرضها (فهي تشعر أنها غنية وليس عندها سوى جبة وخمار!).

وهناك موطن يستلزم فيه التوكل وذكر الله والاطمئنان إليه؛ عندما يُطلب من المؤمنين الصابرين أن يشتروا حياتهم بنبذ الإيمان والعودة إلى الضلال القديم، إلى الفسق والفجور، إلى اللهو والعبث والمجون.. عندئذ يتوكل المؤمن على الله، ويسأله العون والعزيمة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلًا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

والتوكل على غير الله قصير العمر، عديم الجدوى، أما التعلق بالله فهو ارتباط بالمصدر الدائم للخير، ولذلك قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْيَحْيَى الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

يقول أحد العارفين: من وثق بالله أغناه، ومن توكل عليه كفاه، ومن خافه قلّت مخافته (يوم القيامة)، ومن عَرَفَه تَمَّت معرفته.

اللهم اجعلنا لك من العارفين.



« لو استقاموا على الطريقة ... »

يقول تعالى: ﴿وَالْوِاسْتِقَامُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ۖ لَنُفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦ - ١٧]، فهناك ارتباط وثيق بين الاستقامة وبين الرخاء والتمكين في الأرض.

كان العرب في جوف الصحراء يعيشون شظف العيش، حتى استقاموا على طريقة الإسلام، ففتحت لهم الأرض، وتدفقت عليهم الأرزاق، ثم حادوا عن الطريقة، فاستلبت خيراتهم، ولا يزالون في نكد وشظف حتى يعودوا إلى طريق الله.

والرخاء ابتلاء من الله للعباد؛ فنعمة المال كثيراً ما تؤدي إلى البطر وقلة الشكر، ونعمة القوة كثيراً ما تقود إلى التيه والخيلاء، ونعمة الذكاء كثيراً ما تقود إلى فتنة الغرور والاستخفاف بالآخرين، ولا تكاد تخلو نعمة من الفتنة إلا من عصم^(١).. ألم يقل الله تعالى: ﴿أَلَهْنَكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١ - ٢]؟!.

فلم يحدد الله تعالى المتكاثر به؛ بل هو كل ما كثر العبد غيره من أسباب الدنيا من مال أو بناء أو علم لا يبتغي به وجه الله؛ فمن تنافس مع الآخرين في جمع المال ليقال: إنه الأغني، ومن تكاثر في البناء ليقال: إنه الأكثر ملكاً للأراضي والمباني، ومن استزاد في العلم ليقال: إنه العالم الوحيد...

كل هؤلاء وأمثالهم ممن «ألهاهم التكاثر»، ولم يطلبوا بذلك وجه الله، توعدهم الله وعيداً شديداً حتى يقول أحدهم يوم القيامة: ﴿يَلَيِّنِي قَدَمْتُ لِحَاكِي﴾ [الفجر: ٢٤]!.

وما أجمل قول الله تعالى حينما يبشّر المستقيمين في حياتهم بأن لهم جنات؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[الأحقاف: ١٣ - ١٤].

وهذا مصداق حديث رسول الله ﷺ، حينما أتاه أحد الصحابة، وقال: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك. قال: «قل: آمنتُ بالله، ثم استقم»^(١).

يقول الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿أَتُكْرَمُونَ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]: أحسنُ عملاً؛ أي: أخلصه وأصوبه. فقيل: ما أخلصه وما أصوبه؟.

فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل. . . حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السُّنة.



جاءت محاسنه بألف شفيع

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

انظر إلى موسى عليه السلام؛ رمى الألواح التي فيها كلام الله فكسرها، وجرَّ بلحية نبيِّ مثله (هارون عليه السلام).. وربه يحتمل له ذلك كله، ويحبُّه ويكرمه ويتجاوز عنه؛ لأنه قام بتلك المقامات العظيمة بمقابلة أعدى عدو الله - فرعون - وصدع بأمر الله!..

وانظر إلى يونس عليه السلام؛ حيث لم تكن له تلك المقامات التي كانت لموسى عليه السلام، غاضبَ ربَّه مرةً، فأخذه وسجنه في بطن الحوت..

وفرق بين من أتى بذنب ولم يكن له من المحاسن ما يشفع له، وبين من إذا أتى بذنب جاءت محاسنه بكل شفيع، كما قال الشاعر:

وإذا الحبيبُ أتى بذنب واحدٍ جاءَتْ محاسنُهُ بألف شفيع

ألا تريد إذن أن تكون من أصحاب المحاسن؟ وأن يكون لك من يذكر محاسنك عند الله؟.

يقول عليه الصلاة والسلام: «إن ما تذكرون من جلال الله من التسبيح والتكبير والتحميد يتعاطفنَّ حول العرش، لهنَّ دويٌّ كدوي النحل، يُذَكَّرْنَ بصاحبهن، ألا يحبُّ أحدكم أن يكون له من يُذَكَّر به؟»^(١).

يقول أحد العارفين: من وطَّن قلبه عند ربه سكن واستراح، ومن أرسله في الناس اضطرب واشتد به القلق.

ويقول أحدهم: إذا أحب الله عبداً: اصطنعه لنفسه، واجتباها لمحبهته، فشغَلَ همَّه به، ولسانَه بذكره، وجوارحه بخدمته..

ويقول آخر: إذا أراد الله بعبده خيراً: جعله معترفاً بذنبه، ممسكاً عن ذنب غيره (فلا يذكر عيوب الناس وذنوبهم)، جواداً بما عنده، زاهداً فيما عند غيره... محتملاً لأذى غيره..

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله:

«ولهذا كان الناس أربعة أصناف:

- من يعمل لله بشجاعة وبسماحة؛ فهؤلاء هم المؤمنون المستحقون للجنة..
- ومن يعمل لغير الله بشجاعة وسماحة؛ فهذا ينتفع بذلك في الدنيا، وليس له في الآخرة من خلاق..
- ومن يعمل لله لكن بلا شجاعة ولا سماحة؛ فهذا فيه من النفاق ونقص الإيمان بقدر ذلك..
- ومن لا يعمل لله ولا فيه شجاعة ولا سماحة؛ فهذا ليس له دنيا ولا آخرة»^(١).



احذر نفسك؛ لأن النفس الأمارة بالسوء تقودك للمعاصي، فتنساق وراء الشهوات، فتودي بك إلى الهلاك..

انظر إلى قول امرأة العزيز: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].. فعلمت أن تلك النفس كادت أن تهوي بها إلى الرذيلة والفساد.

واحذر النفس الغافلة التي لا تثبت على الحق المبين؛ فتارة هي في عبادة، وتارة في معصية..

وكن من أصحاب النفس اللوامة التي تلوم صاحبها إن هو قصر في حق الله؛ وتؤنبه إن عصى الله وخالف أمره، فتعيده إلى الطريق المستقيم..

ألم يقسم الله تعالى بالنفس اللوامة: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ وَلَا أَقْسِمُ بِالْنَفْسِ الْلَوَامَةِ﴾ [القيامة: ١ - ٢]..

جاهد نفسك، واسأل الله أن يجعلها من النفوس المطمئنة الممتلئة بحب الله تعالى، الساكنة بالتقوى، الثابتة على طريق الهدى، لا تنساق وراء الشهوات، ولا ترحزحها الزخارف والمغريات، لا تخضع لأهواء الإنترنت، ولا الفضائيات المفسدات، قال تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ﴾ [٢٧] أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ۖ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]..

يقول الإمام البوصيري:

والنفس كالطفل إن تهملهُ شبَّ على حبِّ الرضاع وإن تطفمهُ ينفطم
فلا ترمُ بالمعاصي كسرَ شهوتها إن الطعام يقوِّي شهوة النهم
يروى أن داود عليه السلام قال: «حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع

ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه يخبرونه بعيوبه ويصدقونه، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلّ ويجمل؛ فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات، ومجمّة للقلوب».

يقول حكيم:

اجتنب سبع خصال يسترح جسمك وقلبك، ويسلم لك عرضك ودينك:

- لا تحزن على ما فات ..
- ولا تحمل همّاً لم ينزل بك ..
- ولا تلمّ الناس على ما فيك مثله ..
- ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل ..
- ولا تنظر بشهوة إلى ما لم تملك ..
- ولا تغضب على من لم يضرّك غضبه ..
- ولا تمدح مَنْ لم يعلم من نفسه خلاف ذلك ..



كان الأصمعي يطوف حول الكعبة ذات يوم؛ إذ رأى شاباً متعلقاً بأستارها وهو يقول:

يا مَنْ يَجِيبُ دُعا المَظْطَرِّ في الظُّلَمِ يا كاشِفَ الضُّرِّ والبلوى مع السَّقَمِ
قد نام وفدُكَ حول البَيتِ وانتَبهوا وأنتَ وحدُكَ يا قَيوماً لَمْ تنمِ
أدعوكَ ربي حزيناً هائماً قَلِيقاً فارحم بكائي بحقَّ البَيتِ والحَرَمِ
إن كان جودُكَ لا يرجوه ذو سَفَهٍ فمَنْ يَمُنُّ على العاصِينَ بالكُرمِ
ثم سقط على الأرض مغشياً عليه، فدنا منه فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام . .

فلما أفاق قال له الأصمعي: ما هذا البكاء وأنت من بيت النبوة؟!
أليس الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]؟! .

فقال زين العابدين: هيهات هيهات.. إن الله خَلَقَ الجنةَ لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً، وخالَقَ النارَ لمن عصاه ولو كان حرّاً قرشياً.. أليس الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١١٦) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١١٧) وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١ - ١٠٣]؟! .

فقال الأصمعي: هذا مصداق حديث رسول الله ﷺ حين قام على الصفا، يقول: «يا فاطمة بنت محمد! يا صفية بنت عبد المطلب! يا بني عبد المطلب! لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحدٌ منكم بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا؛ إلا أن يتغمّدني الله برحمته منه وفضل»^(١).

والمقاربة: القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير.

والسداد: الاستقامة والإصابة.

قال العلماء: معنى الاستقامة: لزوم طاعة الله تعالى.



من الناس - والعياذ بالله - من اتهم الله في قضائه؛ فقال: هو الذي قدَّر عليَّ أن أذنب أو أكفر أو أفعل كذا! ..

ومنهم من أنكر وجود القدر، واعتبر الإنسان حرّاً لا دخل للقدر في عمله؛ وكلاهما مخطئ يُوقع نفسه في الكفر..

والله خلق الخلق، وأعطى لكل إنسان عقلاً يدرك به الخير والشر، ويبيّن له عن طريق الرسل طريقي الخير والشر، وعاقبة كل منهما، ثم أعطاه الاختيار الكامل يختار لنفسه ما شاء؛ فإن اختار طريق الخير سار فيه وأعانه الله عليه، وإن اختار طريق الشر سار فيه ولم يجبره الله عليه.

وعَلِمَ ربنا ماذا سيصنع هذا الإنسان؛ فكتب عنده ماذا سيصنع، فلا يعمل أحد عملاً ضد مشيئة الله، ولا يجبر الله أحداً على عمل شيء... ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤].

يقول الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ: «الإيمان بالقدر حياة؛ لأنه يفتح لك في كل ظلمة شعاع ضياء، وفي كل عُسرة باب رجاء...»

ولولا الرجاء لمات المريض من وهمه قبل أن يميته المرض، ولقُتل الجندي في الحرب من خوفه قبل أن يقتله العدو، ولولا الرجاء ما كانت الحياة..

ولو تُركت الأمور لاحتِمالات العقل وقوانين المادة؛ لما استطعت أن تتنفس الهواء أو تشرب الماء خشيةً أن تكون فيه جرثومة داء، ولا ركبت سيارة لاحتِمال أن تُصدم، ولا صعدت بناءً لإمكان أن ينهدم، ولا اتخذت صديقاً لأنه قد يخون!..

والإيمان بالقدر عزاء؛ لأنك إن قدَّر عليك أن تُصاب بوليد؛ فاحمد

الله؛ ففي الناس من أصيب بولدين.. وإن خسرت ألفاً؛ ففيهم من خسر ألفين..

علينا أن نسعى ونبذل كل ما في وسعنا من جهد، ثم إن فشلنا فلا نحزن ولا نئس، بل نعيد المحاولة مرة تلو مرة..

كن مع القدر كمن يسوق سيارة في طريق مزدحم؛ فهو إن جثم على تفكيره أنه سيصاب بحادث؛ فلا يتقدم خطوة إلى الأمام ولا يتأخر!..

وإن طاش ولم ينتبه إلى مَنْ حوله من سيارات؛ لم يسلم من الحوادث...

ولكن اعقل وتوكل، انتبه واحذر؛ فإن وصلتَ بسلام فاحمد الله، وإن أُصبتَ - لا سمح الله - فأنت لم تقصُر، ولكنه حُكم القدر (أي: حكمُ الله).



لماذا تصلي على النبي ﷺ؟

- ١ - لأن الله تعالى أمر بها: وهو وملائكته يصلون على النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].
- ٢ - ولتنال شفاعته النبي ﷺ: فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «من صَلَّى عليَّ حين يصبح عشراً، وحين يمسي عشراً، أدركته شفاعتي يوم القيامة»^(١).
- ٣ - ولأنها تبلغ الرسول ﷺ: إذ يقول عليه الصلاة والسلام: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلِقَ آدم، وفيه قُبِضَ، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ» قالوا: يا رسول الله وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟! فقال: «إن الله ﷻ حَرَّمَ على الأرض أجساد الأنبياء»^(٢).
- ٤ - ولكي لا تكون من الخاسرين: فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «رغم أنف رجل ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ»^(٣).
- ٥ - ولكي لا تكون من أبخل البخلاء: فالرسول ﷺ يقول: «فالبخيل مَنْ ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ»^(٤).
- ٦ - ولأن الصلاة على النبي ﷺ سبب لصعود الدعاء: يقول عمر بن

(١) صحيح الجامع (٦٣٥٧).

(٢) رواه أبو داود، صحيح الجامع (٢٢١٢).

(٣) رواه الترمذي، صحيح الجامع (٣٥١٠).

(٤) رواه الترمذي.

الخطاب ﷺ: «إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض؛ لا يصعد منه شيء حتى تصلّي على نبيك ﷺ»^(١).

٧ - ولكي لا تصاب بالحسرة والندامة: فالرسول ﷺ يقول: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلّوا على نبيهم؛ إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم»^(٢). ومعنى كلمة ترة: حسرة وندامة.

وقال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً، وصلّوا عليّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»^(٣).

٨ - ولكي تفوز برحمة الله: يقول عليه الصلاة والسلام: «إن جبريل ﷺ قال لي: ألا أبشّرك؟ إن الله ﷻ يقول: من صلّى عليك صليّت عليه، ومن سلّم عليك سلّمت عليه»^(٤).

فمن صلّى على حبيبه المصطفى ﷺ، صلّى الله تعالى عليه؛ فذكره برحمته وثنائه عليه، وإكرامه وبرّه إليه.

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي، انظر: صحيح الجامع (٤٦٠٧).

(٣) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٤) رواه أحمد، والحاكم، وصحح إسناده.

﴿وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

أي: لا تشغل نفسك بأفراد من الكفار وعباد الدنيا؛ متعناهم ببهجة زائدة في الحياة الدنيا لنجعلها لهم فتنة وابتلاء...

يقول أحد العارفين: يا بن آدم لا تخشى من ضيق الرزق ما دامت خزائن الله ملائنة، وخزائنه لا تنفد أبداً..

ولا تأنس بغير الله؛ فإن أنست بغيره تعالى فاتك الخير كله..

وارض بما قسم الله لك فتريح بدنك..

ولا تطالبه برزق غدٍ، كما لا يطالبك بعمل غد..

فإنه لا ينسى من عصاه؛ فكيف ينسى من أطاعه؟!..

ويقول آخر: «قليلٌ يكفي خيراً من كثير يطغي».

ألسنا نجد فيمن حولنا من أطغاه المال وأفسده؟! ومن أنساه المال طاعة ربه؟!..

دخل سفيان الثوري على جعفر بن محمد، فقال له: يا سفيان! إذا أنعم الله عليك نعمةً فاحمد الله، وإذا استبطأت رزقاً فاستغفر الله، وإذا حزبك (اشتد عليك) أمرٌ فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، والجبأ إلى الصلاة...

ويقول أحد العارفين: شكوتُ إلى أستاذي قسوة في قلبي، فقال: هل نظرتُ إلى شيء فتاقت إليه نفسك؟ قلت: نعم. قال: احفظ عينيك؛ فإنك

إن أطلقتهما أوقعناك في مكروهه، وإن ملكتهما ملكت سائر جوارحك .

فقد تنظر إلى القصور العامرة فتعجب بها، وإلى السيارات الفارهة فتُبهرُ بها؛ فتذكر قول الله تعالى: ﴿وَرَحِمْتُ رَيْكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢] . فيا ليت هؤلاء الأغنياء عملوا لآخرتهم عُشرَ سعيهم لدنياهم؛ لكانت الآخرة خيراً لهم .

وليس معنى هذا بالطبع أن يتفرغ الإنسان للعبادة ويترك العمل، ولكن أن يعمل بقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] .

يقول رسول الله ﷺ:

«أربعٌ إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا:

حفظُ أمانةٍ ..

وصدقُ حديثٍ ..

وحسنُ خليفةٍ ..

وعِفَّةٌ في طُعْمَةٍ»^(١) أي : الطعام .

فهل اجتمعت فينا هذه الخصال الأربع؟! ..



وُلد أحمد بن حنبل في ربيع الأول سنة (١٦٤هـ)، ولم يكد يبلغ الثالثة من عمره حتى مات أبوه، فقامت أمه على تربيته ورعايته...

لم تشغل عنه بشيء؛ حتى إنها رفضت - رغم جمالها وصغر سنّها - الزواج من كثير من الأثرياء الذين تقدّموا للزواج منها.

فقد أحسّت بأمارات النباهة والذكاء على ولدها الصغير أحمد، فقررت أن تقف بجانبه لعلّ الله ﷻ يجعل الخير على يديه... كانت أمه تأخذه إلى المسجد وهو في الرابعة من عمره لكلّ صلاة، حتى في فترة حيضها توصله إلى المسجد وتقف خارج المسجد تنتظره حتى ينتهي من الصلاة.

استطاع أحمد في وقت وجيز أن يحفظ كتاب الله ﷻ، ويجيد اللغة العربية بشكل مبهر...

كان أحمد يعرف أن حالة الأسرة شديدة البؤس، وأن أمّه تضحّي كثيراً من أجله، ولهذا ازداد حرصاً وإصراراً على التعلم والتفوق أيضاً؛ كان يتمنى رضاها دائماً، ويبحث عما يحقق لها السعادة...

وكان يرى أمه كم تتعب من أجله، فكان يبحث عن أي عمل يقوم به نظير دراهم معدودات تعينه على طلب العلم، وتساعد أمه في معيشتها، فعمل في كتابة الرسائل لما تميز به من لغة جيدة وخط جميل؛ غير أنه كان يتورع عن كتابة الرسائل التي تتنافى مع أخلاق الإسلام كرسائل العشاق والمحبين مثلاً.

وتعلّم كذلك مهنة النسيج؛ فكان يذهب إلى النسّاجين ليعمل عندهم، ليس في هذا رسالة إلى أبنائنا الذين يعيشون في بيئة فقيرة، أو متواضعة..

فيصرفون في مصروفهم ليقلدوا مَنْ هم في بحبوحة العيش، ويُرهقون أهلهم بتلك النفقات، بدل أن يبذلوا جهدهم في تعلّم أي حرفة شريفة تُدرّ عليهم ولو مبلغاً زهيداً من المال، فيساعدوا أهلهم، ويقفوا معهم.. فيكسبوا رضا الوالدين.. ويبارك الله فيهم.

ولشدة فقر أحمد وبؤسه كان يضطر لأن يسافر ضمن بعض القوافل كخادم لهم يحرس لهم أمتعتهم، ويحمل حاجاتهم، وذلك ليتمكن من الوصول إلى المشايخ والعلماء الذين يسمع عنهم.

كان أحمد شديد البرّ بأمه، ولذلك لم يتزوج حتى لا يُدخل على أمه امرأة أخرى قد تكون سبباً في مضايقتها؛ فلما ماتت تزوج وأنجب ولديه عبد الله وصالح.



مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تليجرام

امرأة تنقذ زوجها

نعم.. كم من امرأة عظيمة كانت وراء كل رجل عظيم؛ تشدُّ من أزره، وتدفعه إلى مدارج السعادة والنجاح؟!..

وكم من نساء تميّزن ببر أزواجهن وبُحسَن تربية أولادهن؛ فكان وراء ذلك سكن نفسي، واستقرار عائلي...

فالمرأة هي كل المجتمع وليست نصفه؛ إن هي سعدت، أسعدت النصف الآخر فكانت سبباً في سعادة المجتمع كله..

● تعالوا معاً نقرأ قصة «أم حكيم»، المرأة التي أنقذت زوجها من الشرك والضلال - بإذن الله -.

«أم حكيم» زوجة عكرمة بن أبي جهل تُذكر في الخالدات في التاريخ؛ فقد استطاعت أن تُقنع عكرمة بالإسلام..

قطعت الأرض إلى اليمن باحثة عن زوجها.. لتدعوه إلى أمان رسول الله ﷺ، وطامعة في إنقاذه من الكفر..

أبوها الحارث بن هشام الذي لم يدخل الإسلام بعد، وعمها أبو جهل أعدى أعداء نبيِّنا محمد ﷺ، وزوجها عكرمة..

كان عكرمة قد قال لابن عمِّه خالد عندما دعاه للإسلام: «لو لم يبقَ غيري في الأرض لما اتبعته أبداً».. ثم لاذ بالفرار إلى اليمن!..

ولكن المفاجأة أذهلته؛ عندما رأى زوجته أم حكيم قادمة إليه.. ظنَّ أنها فارة من الإسلام إليه، ولكنها أتته لتدعوه إلى أمان محمد بن عبد الله؛ فقد أعطاه الرسول ﷺ الأمان...

وهو يعرف عهد محمد ووفاءه . . .

فلما دنا من مكة قال رسول الله ﷺ: «بأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً؛ فلا تسبوا أباه؛ فإنَّ سبَّ الميت يؤذي الحيَّ، ولا يبلغ الميت»^(١).

فلما رآه وثب إليه فرحاً، فوقف ومعه امرأته منتقبة، فقال: يا محمد! إن هذه أخبرتني أنك أمَّنتني. فقال: «صدقتُ فأنت آمن». وأسلم عكرمة على يدي زوجه . . . فهنيئاً لمن قال عنه النبي ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»^(٢).

● أعرف امرأة كانت صابرة على زوجها؛ يقسو عليها أشد القسوة، ولكنها لم تخرج عن طاعته، صبرت عليه واحتسبت . . . ابتلاها الله بسرطان في بطنها؛ تألمت وصبرت حتى أتتها سكرات الموت؛ فإذا بها توصي أبناءها بأبيهم خيراً، وتدعو له بالهداية والمغفرة! أساء لها فأحسنت إليه، وما هي إلا أيام بعد موتها حتى اهتدى زوجها، وأصبح يذكرها ليل نهار، ويدعو لها مثلما كانت تدعو له من قبل.



(١) روا الحاكم في المستدرک.

(٢) رواه البخاري.

ماذا بعد رمضان؟

مضى على رمضان الفائت فترة من الزمن، أتذكر كيف كنّا نقوم ليله، ونصوم نهاره، ونقرأ القرآن بالليل والنهار؟.

أتذكر كيف كنّا نلزم الصلوات في المساجد؛ حيث تغصُّ المساجد بالمصلين في رمضان؟.

ولكن هل ما زلنا الآن كما كنّا في رمضان؟ نخاف إن فاتنا يوم لم نقرأ فيه جزءاً من القرآن، ونعيش أيامنا وليالينا نتقن أعمالنا، ونخاف ربنا... نتقلب بين تفكّر وخشوع، وتأمل وخضوع...

ومن يقارن أحوال الناس في رمضان وبعد رمضان ليعجب كل العجب حينما يرى مظاهر الكسل والفتور والتراجع عن الطاعة، وكأن لسان حالهم يحكي أن العبادة والتوبة وسائر الطاعات لا تكون إلا في رمضان... وما علموا أن الله سبحانه هو رب الشهور كلها، وما شهر رمضان بالنسبة لغيره من الشهور، إلا محطة تزود وترويض على الطاعة والمصابرة عليها إلى حين بلوغ رمضان آخر.

يقول أحدهم: من تعود الفتور والكسل أو مال إلى الراحة فقد فقد الراحة.

وقال آخر: إن أردت ألا تتعب فاتعب لثلاثين يوماً.

ولا أدل على ذلك من وصية الباري جلّ وعلا لنبيه ومصطفاه ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧]، لأن الكسل لم يؤدّ حقاً، ولم يقم فيه بواجب.

وليس من هدي سيد المرسلين انهماك مستمر في العبادة، ولا حرمان

النفس والأهلين من حقهم، بل لا بد من الاعتدال في كل شيء، والاستمرار على العمل الطيب وإن قل.

وذنوب واحد بعد التوبة أقبح من ذنوبٍ قبلها، والنكسة أصعب من المرض، بل ربما أهلكت المريض، فسلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات، وتعوذوا بالله من تقلب القلوب.

لا تكن كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً..

اختر من يعينك على طاعة الله، واحرص على الدعاء بعد رمضان مثلما كنت تدعو في رمضان..

لا تحرم نفسك من قيام الليل ولو ليلة في الأسبوع..

ولا تنسَ قراءة القرآن، وكن في غير رمضان كما كنتَ في رمضان..



لأمر التوبة سرٌّ عظيم لا يعرفه إلا التائبون المقبلون على الله؛ أمر يجعل دمعة العين قريبة، وإحساساً بالقرب من الله مرهف، وشعوراً يجعل التائب بادي الانكسار، عظيم القدرة على رغبات نفسه، ظاهر الحزن.. ولكنه ذو قلب يرقص سعادة وسروراً بين يدي مولاه الذي اصطفاه لمنزلة التوبة العظيمة التي حُرِّمَ منها الكثير بإعراضهم عن الله سبحانه.

يقول عليه الصلاة والسلام: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»^(١).

كان رسول الله ﷺ يتوب إلى الله في اليوم مئة مرة، وفي الاقتداء بالرسول ﷺ تأتي محبة الله سبحانه، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ورسالة نبعثها لمن عصى الله وتجراً عليه نقول له:

أما آن لك أن تتوب؟! أما آن لك أن تعود؟! أما اشتقت لجنة الله؟!
أما اشتقت لمجاورة الحبيب محمد ﷺ؟!.

ولكن للتوبة شروط:

الشرط الأول: أن تفلح عن المعصية فوراً.

الشرط الثاني: أن تندم على فعلها.

الشرط الثالث : أن تعزم ألا تعود إليها أبداً .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ :

- والمؤمن إذا فعل سيئة ؛ فإن عقوبتها تندفع بعشرة أسباب :
- أن يتوب ، فيتوب الله عليه ؛ فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له . .
 - أو يستغفر فيُغفر له . .
 - أو يعمل الحسنات تمحوها ؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات . .
 - أو يدعو له إخوانه المؤمنون ويستغفرون له حياً وميتاً . .
 - أو يُهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به . .
 - أو يشفع فيه نبيُّه محمد ﷺ . .
 - أو يبتليه الله في الدنيا بمصائب تُكفِّر عنه . .
 - أو يبتليه في البرزخ بالصعقة فيكفِّر بها عنه . .
 - أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يُكفِّر عنه . .
 - أو يرحمه أرحم الراحمين . .



الجِلم: أن تصبر على الأذى دون ضعف منك ولا عجز؛ فلا تنتقم.. .
وكان من صفات النبي ﷺ؛ فقد أُوذي رسول الله ﷺ ف قيل له: ألا تدعو
على المشركين؟ فقال: «إني لم أُبعث لعاناً، وإنما بُعثت رحمة»^(١).

ولما ضُرب وأُوذي يوم الطائف؛ قال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا
يعلمون»^(٢).

ولما اشتد عليه ﷺ أذى الكفار أرسل الله إليه جبريل ومعه مَلَكُ
الجبال، فسَلَّمَا عليه وقال ملك الجبال: مُرْنِي أَطْبِقْ عَلَيْهِمُ الْأَخْشِينَ (وهما
جبلان بطرفي مكة). فقال عليه الصلاة والسلام: «بل أرجو أن يخرج من
أصلاهم من يعبد الله»^(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: «وجبَّتْ محبة الله على من أغضب
فحلم»^(٤).

يروى أن رجلاً شتم عمرو بن عبيد وأفراط في الشتم، فصبر عليه حتى
فرغ. وقال: آجَرَكَ اللهُ على ما ذكرتَ من صواب، وغفر لك ما ذكرتَ من
خطأ!.. .

بعض الناس يغضب في أدنى الأمور وأوهى الأسباب، ولو علموا أن
الجِلم سيد الأخلاق، يُكْمَلُ صاحبه بجميل الخصال، ويحببه إلى الله
تعالى، ويرفع قدره عند الناس.. . لما عرفوا للغضب سبيلاً؛ ألم يقل الله

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه ابن عساکر.

تعالى: ﴿حُذِرَ الْغَفْوُ وَالْمُرُّ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

شتم رجلٌ «الشعبي» فقال: إن كنتُ كما قلتَ فغفر الله لي، وإن لم أكن فغفر الله لك! ..

وقال آخر: ثلاثة لا يُعرفون إلا في ثلاثة مواطن: لا يُعرفُ الجوادُ إلا في العُسرة، والشجاعُ إلا في الحرب، والحليمُ إلا في الغضب.

كان الأحنف بن قيس مشهوراً بين الناس بالحلم، فقيل له: ممن تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم. قيل: وما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته جاريةٌ له بسفود^(١) عليه شواء، فسقط من يدها فوق علي ابن صغيرٍ له فمات، فدهشت الجارية.. فقال لها: لا تريب عليك، أنتِ حرة لوجه الله.

يروى أن الحسن البصري بلغه أن شخصاً تطاول عليه وقال في حقه كذا وكذا، فأرسل الحسن البصري إلى ذاك الرجل طبقاً من الفاكهة، ومعه خطاب يقول فيه: لقد بلغني أنك قلت في شأني كذا وكذا.. وإني لا أستطيع أن أعطيك من حسناتي ما منحْتَنِي من حسناتك، فاقبل هذا الطبق جزاء جميل صنيعك معي.

فهل نستطيع أن نفعل فعل الحسن البصري مع العشرات من الناس ممن يغتابونا ويرسلون إلينا حسناتهم وهم عنها غافلون؟!.



(١) السفود: عود من حديد يشوى عليه اللحم.

● يقول أحد الصالحين:

علمتُ أن الله مطلعٌ عليّ، فاستحييت.. (فإذا أردت أن تعصي الله فتذكر أن الله مراقبك ومطلع على ما تفعل).

وعلمتُ أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنت.. (فليس عليك إلا أن تعمل بجد وإتقان، فالرزاق هو الله).

وعلمتُ أن عملي لا يعملُه غيري، فاجتهدت.. (فلا يفيدك يوم القيامة إلا عملك، فتذكر ذلك الامتحان الرهيب).

وعلمتُ أن نهايتي إلى الموت، فاستعددت.. (فاعمل لآخرتك كأنك تموت غداً).

● سَلِ الله تعالى دوماً أن يتقبل عملك؛ فإن قَبِلَ عملك كنتَ من المتقين..

يقول أحدهم: لأن أعلم أن الله تقبَّلَ مني مثقال حبة من خردل من العبادة أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

● كانت مولاة لإبراهيم النخعي تعمد إلى اليوم الشديد الحر فتصومه!.. ف قيل لها: إنكِ تعمدينَ إلى أشدَّ الأيام حرّاً فتصومينه؟!..

ف قالت: إنَّ السَّعر إذا رُخِصَ اشتراه كلُّ أحد! وإذا كانت بضاعة الدنيا المتميزة هي الغالية السعر لا يقدر على شرائها إلا النذر القليل؛ فكيف ببضاعة الآخرة التي تهونُ عندها كلُّ الأثمان؟!..

● يروى أن عُفَيْرَةَ كانت قد تَعَبَّدَتْ وبكت حتى عَمِيَتْ، فقال أحدهم لصاحبه: ما أَشَدَّ العَمَى على مَنْ كان بصيراً! ..

سمعت عفيرة هذا الكلام فقالت له: «يا عبد الله! عمى القلب عن الله أَشَدُّ من عمى العين عن الدنيا.. والله وددتُ أن الله وهبَ لي كُنْهَ محبَّته.. وأَنَّهُ لم تبق مني جارحةٌ إلا أخذها!..».

● وكانت امرأة عابدة من أهل الكوفة تقول: لو نادى منادٍ من السماء لِيَمُتْ أعظم الناس جُرْماً؛ لرأيتُ أن نفسي أول ذائقة للموت! ..



أَيْن يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ؟

الكِبَرُ داء المتجبرين؛ يحجبُ به المتكبرُ عيوبَهُ ونقائصه عن الناس.. يقول عليه الصلاة والسلام: «بينما رجل يمشي في حَلَّةٍ تعجبهُ نفسه، مُرَجِّلٌ شعره، يَخْتَالُ في مشيته؛ إذ خسف الله به؛ فهو يتجلجلُ في الأرض إلى يوم القيامة»^(١).

وأسوأ أنواع الكبر هو الكبر عن الحق..

استكبر الكفار يوم دُعوا إلى الإسلام، فقال الله عنهم: ﴿إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَّا هُمْ بِيَلْفِيهِ﴾ [غافر: ٥٦].

واستكبر إبليس عن السجود لآدم: ﴿أَسْتَكْبَرُ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وهو من أكبر الذنوب عند الله بعد الكفر؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة إنسانٌ في قلبه مثقال حبة من خردل من كِبَرٍ»^(٢).

فهل تخيلنا خطر هذا الذنب العظيم؟! أن يتكبر الإنسان ويستعلي على عباد الله، أن يتخذ لنفسه ألقاباً وعظمة؛ فلا يصل إليه إلا من يريد..

يقول عليه الصلاة والسلام: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال؛ يَغْشَاهُمُ الذَّلُّ من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى (بولس)، تعلوهم نار الأنيار، يُسْقَوْنَ من عصارة أهل النار طينة الخبال»^(٣).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

فعلام تتكبر أيها الإنسان؛ وقد كنت تراباً يطؤه الناس، ثم صِرتَ نقطة مذرة، ثم تصير جيفة قذرة؟! .

يقول عليه الصلاة والسلام: «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري؛ فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي»^(١).

فالكبرياء والعظمة لا تليق إلا بالملك القادر، لا بالعبد العاجز! .

فإن أعجب الإنسان بجماله فجمله ليس من صنعه . .

وإن أعجب بعلمه فعلمه ليس من وسعه . .

وإن أعجب بماله وعزه؛ فالدنيا لو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء . .



رجل سقط من عين الله

● طلب الخليفة هشام بن عبد الملك ذات يوم أحد العلماء، فلما دخل عليه قال: السلام عليك يا هشام!.. ثم خلع نعليه، وجلس بجانبه!.. فغضب هشام وهمّ بقتله.. ولما تحادثا وجدّه عالماً كبيراً؛ فلما انتهى الحديث عاتبه الخليفةُ بقوله:

لقد سمّيتني باسمي ولم تُكنني، أو تدعوني بالخلافة بأمر المؤمنين، وخلعت نعليك، وجلست بجانبني؛ فلمَ فعلتَ ذلك؟.

قال العالم: لم أدعُك بالخلافة لأن الناس لم ينتخبوك كلهم..

وسمّيتُك ولم أكنك لأن الله نادى الأنبياء بأسمائهم (يا عيسى... يا إبراهيم...)، وكنتى عدوّه فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾!..

وخلعتُ نعلي بجانبك، وأنا أخلعهما عندما أدخل بيوت الله فلا يغضبُ عليّ الله!..

وجلستُ بجانبك؛ لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرّه أن يمثّل له الرجال قياماً (أي: يقفون أمامه وهو جالس) فليتبوأ مقعده من النار»^(١) فكرهتُ لك النار..

فأمر له الخليفة بمال، فأباه وانصرف..

فلماذا التكبر على الناس؟! ولماذا نُبهرُ بالمتكبرين؟!

● يروى أن أحد الأمراء مرّ بموكبه؛ الأمير على جواده، وحوله الجنود والزينات.. واصطف الناس يحيونه، والغرباء يقولون: مَنْ هذا؟ مَنْ هذا؟..

فقال امرأة: هذا رجل سقط من عين الله، فعاقبه بما ترؤن! ..

● يقول ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك (أي: تتواضع) عند من هو دونك في نعمة الدنيا، حتى تُعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عن من هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنيه عليك فضل.

قال الشاعر:

وأقبح شيء أن يرى المرء نفسه رافعاً وهو عند الله وضيع
تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كال دخان يعلو بنفسه على طبقات الجو وهو وضيع

فهل تريد أن تكون نجماً لامعاً، أم دخاناً ضائعاً؟ ..



يقول الحق جلّ في علاه في الذين أصابتهم مصيبة .. فقالوا: إِنَّا لله
وإِنَّا إليه راجعون: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٦].

والصبر عند الصدمة الأولى كما يقول الحبيب المصطفى ﷺ، وهو
ركن حصين يبدد الأحزان ويزيل الهموم، ناهيك بعظم ثواب الصابرين.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، بغير
حساب .. أجل؛ وهل هناك أجمل من ذلك الجزاء؟! قال تعالى:
﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

سئل رسول الله ﷺ: ما الإيمان؟ قال: «الصبر والسماحة وحسن
الخلق»^(١).

وقال علي رضي الله عنه للأشعث بن قيس: إن صبرت جرى عليك القلم وأنت
مأجور .. وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور (أي: آثم).

فالمصيبة - كما يقول ابن المبارك - واحدة؛ فإذا جزع صاحبها فهما
اثنتان: المصيبة، وذهاب الأجر! ..

يقول عليه الصلاة والسلام: «من أصيب بمصيبة في ماله أو جسده
وكنتمها، ولم يشكها إلى الناس؛ كان حقاً على الله أن يغفر له»^(٢).

حكى أن أعرابية دخلت من البادية فسمعت صُراخاً في دارٍ، فقالت:

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه الطبراني، وقال المنذري: لا بأس بإسناده.

ما هذا؟ فقل لها: مات لهم إنسان! فقالت: ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون، وبقضائه يتبرّمون، وعن ثوابه يرغبون! ..

ولله در الشاعر الذي يقول:

إذا بُليتَ فثق بالله وارضَ به إن الذي يكشف البلوى هو الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ما لامرئ حيلة فيما قضى الله
اليأسُ يقطع أحياناً بصاحبه لا تيسنّ فإن الصانع الله

ويقول إبراهيم بن العباس:

ولربّ نازلة يضيقُ بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُرجت وكان بظنّه لا تُفرجُ

ولو أن الناس أدركوا أن متاع الحياة وهمومها ما هي إلا جراح لا بدّ لها من أيام، بل ربما أسابيع أو شهور حتى تندمل وتشفى؛ لصبروا واحتسبوا الأجر من الله وكانوا من الفائزين.



رسالة لمن في الستين والسبعين (١)

قال الحسن البصري: «يا بن آدم! إنما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم؛ ذهب بعضك».

فكم من أعمار ضاعت وضاع أصحابها!..

وكم من أعمار انقضت قبل أن تنقضي آمال أصحابها!..

وكم من أعمار عاشها أصحابها بغير غاية!..

وكم من أعمار انقضت في غير طاعة الله تعالى!..

وفي طول العمر قيام لحجة الله على العبد.

نعم.. كلما امتدت أيامك؛ ازدادت حجة الله تعالى عليك.

كثير أولئك الذين غفلوا عن هذا المعنى وهم في حمأة الحياة، وصراع البقاء.

قال رسول الله ﷺ: «من عمّر من أمتي سبعين سنة؛ فقد أعذر الله إليه في العمر»^(١).

قال قتادة: اعلّموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نعيّر بطول العمر، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَحَآءَكُمْ أَلْتَذِذُ﴾ [فاطر: ٣٧]، ومثّل هذا كمثل من يودّع في رصيده كل يوم مبلغاً من المال؛ يسره أن يدوم له ذلك؛ حتى يكثر ماله؛ فإذا كان هذا حال من أودع في رصيده الفاني؛ فأين هذا من سرور من أودع في رصيد آخرته؛ ذلك الرصيد الخالد؟!..

(١) رواه الحاكم. انظر: صحيح الترغيب، للألباني: (٣٣٦٠).

قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخيركم؟» قالوا: نعم. قال: «خيركم أطولكم أعماراً، وأحسنكم أعمالاً»^(١).

دخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق، فرأى شيخاً يزحف، فقال: يا شيخ، أيسرُّك أن تموت؟ قال: لا! قال: ولم، وقد بلغت من السن ما أرى؟!..

قال: ذهب الشباب وشربه، وبقي الكبرُ وخيره، إذا أنا قعدتُ ذكرتُ الله، وإذا قمتُ حمدتُ الله، فأحبُّ أن تدوم لي هاتان الخصلتان!.

وقيل لشيخ: كم أتى عليك؟ فقال: عشر سنين! قيل: وكيف وأنت شيخ كبير؟! قال: أنا منذ عشر سنين من التوابين!..

فكم من كبير أضاع ساعات العمر في الجلوس أمام شاشة التلفاز؛ هاجراً لنداء الله إلى الصلاة؟!..

وكم من كبير أضاع ساعات الليل في السهر العقيم، والليل والقال؟!..

وكم من كبير أضاع ساعات النهار مع أصدقاء السوء؛ غادياً أو راتحاً؟!..

وهناك صنف آخر أضاع العمر في المكاسب والسعي خلف الرزق؛ فتراه مشغولاً بأمر أولاده، غير ملتفت إلى شأنه؛ حتى يفجأه الموت بكأسه، فيترك خلفه ما لغيره غُثمه وعليه غُرمه!..



(١) رواه أحمد، وابن حبان، والبيهقي. انظر: صحيح الترغيب: (٣٣٦١).

رسالة لمن في الستين والسبعين (٢)

قال أبو حازم: «الناس عاملان: عامل في الدنيا للدنيا، قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى على أولاده الفقر، فيفني عمره في بغية غيره! وعامل في الدنيا لما بعدها، فجاءه بالعمل نصيبه من الدنيا، فأصبح عزيزاً عند الله، لا يسأل الله شيئاً فيمنعه»..

فعباً لك أيها الساعي لبنيان دنياه! هلاً سعت إلى بنيان آخرتك؟!..

يا عامر الدنيا على شيبه فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمّر بنيانه وجسمه منهدم يخرب

فيا أيها الممدود له في عمره: ها أنت تبصر رحيل الناس صفارهم وكبارهم.. نعم، إن الموت لا يميّز بين الصغير والكبير، ولكنه إلى الكبير أقرب! لذلك قال رسول الله ﷺ: «أعمار أمتي بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك»^(١).

أحرص على الازدياد من النوافل؛ فإنك في عمر ينبغي أن تبادر فيه إلى الصالحات، وأن تأخذ منها بأكبر نصيب..

حاول أن تبكر في الحضور إلى المسجد، وأنعم بها إن عودت نفسك أن تكون أول الناس حضوراً، وآخرهم انصرافاً..

وفي حضورك المبكر إلى المسجد؛ أكثر من صلاة النافلة، وقراءة كتاب الله تعالى.. وافعل ذلك أيضاً بعد الصلاة، إلا أن يكون من الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها؛ فزد عندها من وردك من القرآن..

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه. انظر: صحيح الترمذي، للألباني: (٣٥٥٠).

لا تجالس إلا من ينفعك في دينك، واحذر المجالس التي يكثر فيها اللغو والرفث.. وإن جلست في مجلس؛ وأحسست أن أهله في غفلة؛ فبادر إلى القيام، ولا تستوحش ذلك؛ فإنك إن امتلأ قلبك بحب الطاعات؛ وجدت من الأنس والراحة ما تقرّ به عينك!..

وبما أن غالب الشواغل تكون في البيوت؛ فاحرص على ملء فراغك في البيت، ويكون ذلك بوسائل متعددة: كالتنقل بالصلاة، وقراءة القرآن، وقراءة المفيد من الكتب، واستماع الأشرطة المفيدة، ومحادثة الأبناء فيما ينفع... فالبيت إذا أحسن الفرد ترشيد طاقاته فيما هو نافع؛ تحوّل إلى مدرسة عظيمة تتخرج منها الأجيال الناجحة..

ومن داخل بيتك يمكنك محادثة ذوي أرحامك، وتفقد أحوالهم عبر الهاتف^(١).

أعرف رجلاً مسنّاً يعشق الشيعة (النارجيلة)، ويهوى الطرب، أوصى أبناءه قائلاً: إن أنا متُّ فأنزلوا في قبري الشيعة والعود الذي أعزفُ عليه!..

اللهمّ إنا نسألك حسن الختام.



مكتبة الرمحى أحمد @ktabpdf@تيليجرام

(١) من بلغ الستين والسبعين، أزهرى أحمد محمود، (بتصرف).

عَجَل.. فالباب مفتوح

● قال لي صاحب: ذات يوم قَلْبْتُ أوراقِي، فإذا بتلك المفاجأة العظيمة.. نعم والله إنها لعظيمة..

عامٌ كاملٌ من عمري مضى، وما أعلم أنه انقضى إلا في ضياع وانحراف.. فاعتلجني شعورٌ قلبيُّ هزَّني كأنه صاعقةٌ عظيمة.. ارتجفت أعضائي، واهتزَّ كياني حينما علمتُ أن عاماً كاملاً مضى من عمري ما تزودتُ فيه لقبري..

اعتصر القلبُ حسرةً، وما تماكنت نفسي إلا ودمعةٌ حرّى تنحدرُ على خدي حزناً على التفريط: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

إن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمةً في القلب والقبر، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق..

وإن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق^(١)..

إذا أذنبت فتذكّر قول الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقلّ خلوتُ ولكن قل عليّ رقيبٌ
ولا تحسبنّ الله يغفل ساعةً ولا أن ما تُخفي عليه يغيبُ

● كان الفضيل بن عياض قاطعاً للطريق، وكان يتعشّق جاريةً، فبينما هو ذات ليلة يتسوّر عليها الجدار إذ سمع قارئاً يقرأ قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ

(١) التوبة سبيل النجاة، محمد بن سرار الياامي، (بتصرف).

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَحْشَعَ قُلُوبُهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴿[الحديد: ١٦].. فأطرق ملياً.. ثم تذكر غدراته وذنوبه؛ تذكر إسرافه ومعاصيه.. فما كان منه إلا أن ذرف دموع التوبة من عيني ملؤها اليقينُ برحمة الله، فتاب وأقلع عما كان عليه، حتى أصبح من أهل الخير والصلاح في زمنه.

يقول الشاعر:

واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرئ إلا وصل
ليس من يقطع طرقاتاً بطلاً إنما من يتق الله البطل

● نداءً لمن تأخر عن الركب، ولا يزال يرى القافلة تسيرُ إلى الخير.. هل من مشمر قبل الندم والبكاء؟! فالله عَجَل يقول: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١]، فهل من مجيب؟! ويقول: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] فهل لنا أن نتوب؟!..

عَجَل.. فالباب مفتوح، ورُبَّ متمهل فاتته حاجته..

ورحم الله من قال:

قبورنا تُبنى ونحن ما تُبنا يا ليتنا تُبنا من قبل ما تبنى



● قال لقمان الحكيم: صَحِبْتُ الأنبياء فاستفدتُ منهم ثمانِي كلمات:
الأربعة الأولى:

إذا كنتَ في الصلاة فاحفظ قلبك ..

وإذا كنتَ عند الناس فاحفظ عينك ..

وإذا كنتَ في المجلس فاحفظ لسانك ..

وإذا كنتَ على الطعام فاحفظ بطنك ..

والأربعة الثانية:

اثنان لا تنساهما أبداً: ذكُرُ الله والموت ..

واثنان لا تذكرهما أبداً: إحسانك إلى الناس، وإساءة الناس إليك !

● ويقول أحد الحكماء:

ذقتُ الطيباتِ كُلَّها؛ فلم أجدَ أطيَبَ من العافية ..

وذقتُ المراراتِ كُلَّها؛ فلم أجدَ أمرَّ من الحاجةِ إلى الناس ..

وحملتُ الصخر والحديد؛ فلم أجدَ أثقلَ من الدَّيْن ..

ولو سُئِلْتُ عمن هو أثقل من الأرض والجبال؛ لقلتُ: تهمةُ

البريء ..

● يروى أن عيسى عليه السلام قال: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله؛ فتفسو

قلوبكم؛ فإن القلب القاسي بعيد عن الله ولكن لا تعلمون .. ولا تنظروا إلى

ذنوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا إلى ذنوبكم كأنكم عبيد؛ فإنما الناس

مبتلى ومعافى؛ فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية!

● كان أحد الحكماء يعلم الناس هذه الكلمات:

مَنْ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ فَلَيْسَ لَهُ عِزٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..

وَمَنْ لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ فَلَيْسَ لَهُ سَلَامَةٌ فِي دِينِهِ..

وَمَنْ كَانَ جَاهِلًا لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ..

وَمَنْ لَا تَقْوَى لَهُ فَمَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ كَرَامَةٌ..

وَمَنْ لَا سَخَاءَ لَهُ فَمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ نَصِيبٌ..

وَمَنْ لَا نَصِيحَةَ لَهُ فَمَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ حُجَّةٌ..

● ويقول أحدهم:

أَرْبَعَةٌ لَا تُعْرَفُ إِلَّا عِنْدَ أَرْبَعَةٍ:

لَا يُعْرَفُ الشُّجَاعُ إِلَّا عِنْدَ الْحَرْبِ..

وَلَا الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ..

وَلَا الْأَمِينُ إِلَّا عِنْدَ الْأَخْذِ وَالْعِطَاءِ..

وَلَا الْإِخْوَانُ إِلَّا عِنْدَ النُّوْثِ..



أغمض عينيك وتخيل

● تخيل نفسك : أنه قد نودي عليك يوم القيامة لتقف بين يدي الله في المحكمة الإلهية الكبرى؛ تُعرضُ أعمالُك على الخالق الجبار، تُفتحُ صحائفك، وتتكشفُ الذنوبُ والمعاصي؛ قد فعلتَ كذا يوم كذا، عصيتَ ربك، وأطعتَ شيطانك.. هويتَ وغويتَ، وفعلتَ من الذنوب والسيئات ما لا يُعد ولا يحصى.

ترى الجنة أمامك، والفائزون يرفلون في النعيم، وترى النار أمامك، وأهلها يصطرخون..

تتوسل إلى الله تبارك في علاه أن يغفر ذنوبك، ويستر معاصيك.. تدعوه وتدعوه، وتسأله أن يعطيك فرصة أخرى لتكون من عباده المخلصين..

ويستجيب الله تعالى لذلك الدعاء؛ تفتح عينيك لتجد أن الله قد أعطاك فرصة أخرى كي تعود إليه.. أنتَ ما زلتَ في الحياة الدنيا، وبإمكانك أن تتوب.. بإمكانك أن تُحسن العمل مع الله؛ هو مشتاق إليك أن تعود إليه؛ يغفر لك من ذنوبك ما قدّمتَ؛ فماذا أنتَ فاعل؟^(١).

● قال مالك بن دينار:

ما أحببتُ أن يكون معك في الآخرة فقدّمه اليوم.. (طاعات، وإحسان، وصدقات).

وما كرهتُ أن يكون معك في الآخرة فاتركه اليوم.. (ذنوب، ومعاصي، وآهات).

(١) رَوْضُ النَّمْرِ الَّذِي بَدَاخْلِكَ، (بتصرف).

● ما هو حق التقوى؟:

سُئِلَ ابن عباس رضي الله عنهما عن معنى ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، فقال: هو أن يُطَاع فلا يُعصى، ويُشْكَّر فلا يُكْفَر، ويُذَكَّر فلا يُنسى...

ومن أجمل تعاريف التقوى قول علي رضي الله عنه:

التقوى هي: الخوفُ من الجليل، والعملُ بالتنزيل، والقناعةُ بالقليل، والاستعدادُ ليوم الرحيل..

فاسألوا الله حقَّ التقوى؛ تبلغوا الفردوس الأعلى..



ثلاثون عاماً بثمانى مسائل

حكى أن حاتماً الأصم كان تلميذاً لشقيق البلخى؛ سأله أستاذه يوماً:
منذ كم صحبتني؟..

قال: منذ ثلاث وثلاثين سنة.

قال: فما تعلمت منى في هذه المدة؟.

قال حاتم: ثمانى مسائل!..

قال شقيق: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾! ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا
ثمانى مسائل! فما هي؟.

قال حاتم:

الأولى: نظرتُ إلى الخلق؛ فرأيتُ كل واحد يحب شيئاً فلا يزال
محبوبه معه؛ فإذا ذهب إلى قبره فارق محبوبه! فجعلتُ الحسناتِ محبوبى؛
فإذا دخلتُ قبري دخل محبوبى معي.

قال: أحسنت..

الثانية: نظرتُ في قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ
الْهَوَىٰ﴾ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿[النازعات: ٤٠ - ٤١]؛ فعلمتُ أن قول الله حق،
فأجهدتُ نفسي في محاربة الهوى، حتى استقرتُ على طاعة الله.

الثالثة: إني نظرتُ إلى هذا الخلق؛ فرأيتُ كل مَنْ معه شيءٌ ذو قيمة؛
يخاف عليه ويحافظ عليه، ثم نظرتُ في قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ
اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].. فكنْتُ كلما حصلتُ على شيءٍ له قيمة، وجهتهُ في
سبيل الله تعالى لكي يبقى لي عنده.

الرابعة: نظرتُ إلى هذا الخلق؛ فرأيتُ الناسَ يتميزون بالمال والحسب والنسب، ونظرتُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].. فلجأتُ إلى التقوى حتى أكون عند الله كريماً.

الخامسة: نظرتُ في هذا الخلق؛ فوجدتُ بعضهم يطعن في بعض، فعلمتُ أن أصل ذلك كله هو الحسد.. ونظرتُ في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢]؛ فتركتُ الحسد، وأيقنتُ أن الذي قَسِمَ لي كائنٌ لا بدَّ منه.

السادسة: نظرتُ إلى هذا الخلق يعادي بعضهم بعضاً، وتذكرتُ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].. فعاديتُهُ وأحببتُ الناسَ.

السابعة: نظرتُ إلى الخلق؛ فوجدتهم يطلبون الكثرة، ويذُلُّون أنفسهم بسببها، ثم نظرتُ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، فعلمتُ أني من جملة المرزوقين، فاشتغلتُ بالله وَعَلَىٰ وتركتُ ما سواه..

الثامنة: نظرتُ إلى هذا الخلق؛ فرأيتُهم يتوكل بعضهم على بعض؛ فهذا يتوكل على تجارته، وآخر على صنعته، وكل مخلوق يتوكل على مخلوق.. فرجعتُ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]؛ فتوكلتُ على الله..

قال شقيق: وفقك الله يا حاتم! فلقد جمعت الأمور كلها..

هل نحن مستعدون؟

هل نحن مستعدون للقاء الله؟ ..

سؤال ينبغي أن نطرحه على أنفسنا كل يوم، يقول الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ:

«اذكروا الموت لتستعينوا بذكره على قسوة قلوبكم ..

اذكروه لتستعدوا له؛ فإن الدنيا كفندق نزلت فيه؛ أنت في كل لحظة مدعوٌ للسفر، لا تدري متى تُدعى ..

فإن كنتَ مستعدّاً: حقائبك مغلقة، وأشياؤك مربوطة؛ لبَّيتَ وسِرْتَ... وإن كانت ثيابك مفرّقة، وحقائبك مفتوحة؛ ذهبَ بلا زاد ولا ثياب.

لا تقل: أنا شاب .. ولا تقل: أنا عظيم .. ولا تقل: أنا غني ..

فإن عزرائيل إن جاء بمهمته لا يعرف شابّاً ولا شيخاً، ولا عظيماً ولا حقيراً، ولا غنياً ولا فقيراً».

وهذا شاب كان يقف مع فتاة بالشارع، أتاه من ينصحه فهربت الفتاة .. وأخذ الناصح يذكره بالموت وفجأته، والساعة وهولها، فإذا به يبكي .. يقول الداعية: فلما انتهيتُ من الحديث أخذتُ رقم هاتفه وأعطيتُه رقمي، ثم افترقنا ...

وبعد أسبوعين كنت أقلبُ في أوراقِي فوجدتُ رقمه .. اتصلت عليه في الصباح مسلماً وسألته: يا فلان أتعرفني؟ فقال: وكيف لا أعرف الصوت الذي كان سبباً في هدايتي؟! ..

فقلتُ: الحمد لله، كيف حالك؟ فقال: منذ تلك الكلمات وأنا في سعادة واطمئنان؛ أصلي وأذكر الله تعالى..

فقلتُ: لا بد أن أزورك اليوم وسأتيك بعد العصر، قال: حيّاك الله.. وعندما حان الموعد جاءني ضيوف فأخروني إلى الليل، ولكني قلت: لا بد أن أزوره..

طرقت الباب فخرج لي شيخ كبير، فقلت له: أين فلان؟ قال: من تريد؟

قلت: فلان..

قال: قد دفناه في المقبرة قبل ساعات!..

قلت: لا يمكن.. فقد كلمته اليوم في الصباح!..

قال: لقد صلّى الظهر ثم نام، وقال: أيقظوني لصلاة العصر.. فجئنا نوقظه وإذا هو جثة هامدة؛ قد فاضت روحه إلى بارئها.

يقول: فبكيت..

قال: من أنت؟

قلتُ: تعرّفت على ابنك قبل أسبوعين...

قال: أنت الذي كلمته؟.. أنت الذي اهتدى ابني على يديه؟.. دعني أقبل رأسك، دعني أقبل الرأس الذي أنقذ ابني من النار.. فقبل رأسي.

والحمد لله رب العالمين

المراجع

- ١ - د. خالد عمر الدسوقي: بواعث السرور، مكتبة ألف، الجيزة، ٢٠٠٥م.
- ٢ - فيصل قائد الحاشري: جفاف المشاعر، دار الإيمان، الإسكندرية.
- ٣ - وفاء محمد مصطفى: رؤى النمر الذي بداخلك، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ٤ - محمد صديق المنشاوي: الزهاد مئة، دار الفضيلة، القاهرة.
- ٥ - محمد بن رياض الأحمد: العفاف، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ٦ - عبد الكريم عكاش: سمير المؤمنين، دار المحبة، دمشق، ٢٠٠٦م.
- ٧ - عبد الرحمن بكر: قصص أذهلنتي، دار اليقين، المنصورة، ٢٠٠٧م.
- ٨ - د. عبد الرحمن رأفت الباشا: صور من حياة التابعين، دار الأدب الإسلامي، ١٩٩٧م.
- ٩ - د. رضا ديب عواضة: سنابل الحكمة، رشاد برس، بيروت.
- ١٠ - محمد أبو السعود: خواطر الفجر، شروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.
- ١١ - أحمد الشقيري: خواطر شاب، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٧م.
- ١٢ - د. جاسم محمد مهلهل الياسين: الكشكول، مؤسسة الريان، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ١٣ - عبد الرحمن بن علي الدوسري: سيدي كيف؟، دار طويق، الرياض، ٢٠٠٨م.
- ١٤ - ناجي الطنطاوي: كلمات نافعة، دار المنارة، جدة، ١٩٨٨م.
- ١٥ - محمد عبد العاطي بحيري: صفقات غالية، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- ١٦ - محمد الصائغ: قطوف إسلامية، ١٩٩٩م.
- ١٧ - بدوي محمود الشيخ: رياض الصالحات، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ١٨ - سعيد عبد العظيم: هيا بنا نؤمن ساعة، دار الإيمان، الإسكندرية.
- ١٩ - أسامة نعيم مصطفى: أنيس المؤمنين، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٤م.
- ٢٠ - د. محمد فائز المط: من كنوز الإسلام، دار البشير، عمان، ١٩٨٧م.

- ٢١ - محمد خالد ثابت: الرضا راحة الطائمين، دار المعظم، القاهرة، ٢٠٠٤هـ.
- ٢٢ - عبد الله بن سعيد الحقباني: كلام أعجبي، الرياض، ١٩٩٨م.
- ٢٣ - د. محمد عبد الرحمن العريفي: استمتع بحياتك، دار الحميد، انريز - ١٤٢٧هـ.
- ٢٤ - إبراهيم الألمعي: روائع الطنطاوي، دار المنارة، جدة.
- ٢٥ - عبد الله محمد الداود: متعة الحديث، الرياض.
- ٢٦ - د. شاكر مصطفى: ١٠٠ من معارك الجهاد في الإسلام، دار طلاس، دمشق.
- ٢٧ - محمد أنور وردة: يحكى أن...؛ دار غار حراء، دمشق.
- ٢٨ - خالد أحمد أبو شادي: سباق نحو الجنان، دار البشير، طنطا.
- ٢٩ - محمد خالد ثابت: مدارس الحب مصانع الرجال، المقطم للنشر، القاهرة.
- ٣٠ - د. مصطفى السباعي: دروس من الحياة، دار الوراق، بيروت.
- ٣١ - د. عبد الله بهجت وإيمان كردي: الاستثمار الأمثل.
- ٣٢ - محمد بن موسى الشريف: الحب في القرآن، القاهرة، دار المعارف.
- ٣٣ - ربيع حسن كوكبة: المسؤولية عن برِّ الوالدين، دار الرضوان، حلب.
- ٣٤ - حسن محمد صديق: من واقع الحياة، دار ابن حزم، القاهرة.



مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تليجرام

مؤلفات الدكتور حسن شمسي باشا

ألف أكثر من خمسين كتاباً، ثلاثة منها في أمراض القلب باللغة الإنجليزية، هي:

- ١ - Hope Heartcare Handbook .
- ٢ - Handbook of Coronary Care .
- ٣ - Patients Guidelines to Heart Disease . (بالاشتراك مع الدكتور فواز الأخرس).

والباقى باللغة العربية، وهي:

● في أمراض القلب:

- ١ - كيف تقي نفسك من أمراض القلب؟ (الطبعة الخامسة).
- ٢ - ارتفاع ضغط الدم (الطبعة الخامسة).
- ٣ - الدهون . . والكوليسترول . . والقلب (الطبعة السادسة).
- ٤ - قلبك بين الصحة والمرض (الطبعة الثانية).
- ٥ - دليلك إلى عمليات القلب الجراحية، بالاشتراك مع الدكتور وليد أبو خضير والدكتور عبد الله عشميق (الطبعة الثانية).
- ٦ - دليلك إلى القسطرة القلبية، بالاشتراك مع الدكتور خالد الشيبى والدكتور وقار حبيب (الطبعة الثالثة).
- ٧ - دليلك إلى كهربائية القلب، بالاشتراك مع الدكتور فائز بخاري والدكتور رائد سويدان (الطبعة الثالثة).
- ٨ - الوقاية من أمراض القلب، بالاشتراك مع البروفسور منصور النزهة (كتيب المجلة العربية، العدد الخامس والثلاثون، فبراير ٢٠٠٠م).
- ٩ - الوقاية من الحمى الروماتيزمية.
- ١٠ - الوقاية من أمراض شرايين القلب التاجية.

● في الصحة العامة:

- ١ - وصايا طبيب (الطبعة الرابعة).

- ٢ - شبابك كيف تحافظ عليه .
- ٣ - صحتك بين الحقائق والأوهام .
- ٤ - كيف تتخلص من الصداع؟ (الطبعة الثانية).
- ٥ - كيف تتخلص من الإمساك؟ (الطبعة الثانية).
- ٦ - أطباء الغرب يحذرون من شرب الخمر .
- ٧ - القهوة والشاي: فوائدها وأضرارها (الطبعة الثالثة).
- ٨ - الميلاتونين: هل هو الدواء السحري؟ .
- ٩ - القشرة والصلع والشيب والحناء .
- ١٠ - حذار حذار من هذه الكتب .

● في الطب النبوي:

- ١ - قبسات من الطب النبوي والأدلة العلمية الحديثة (الطبعة الثانية).
- ٢ - زيت الزيتون بين الطب والقرآن (الطبعة الرابعة).
- ٣ - الأسرار الطبية الحديثة في السمك والحوث (الطبعة الثالثة).
- ٤ - النوم والأرق والأحلام . . بين الطب والقرآن (الطبعة الثالثة).
- ٥ - الأسودان: التمر والماء (الطبعة الرابعة).
- ٦ - الإعجاز الطبي في القرآن والسنة، كتيب المجلة العربية، العدد (٩٤)، ديسمبر ٢٠٠٤م.
- ٧ - معجزة الاستشفاء بالاعسل والغذاء الملكي (الطبعة السادسة).
- ٨ - الشفاء بالحبة السوداء بين الإعجاز النبوي والطب الحديث (الطبعة السادسة).
- ٩ - الأسرار الطبية الحديثة في الثوم والبصل (الطبعة الرابعة).
- ١٠ - الرضاعة من لبن الأم (الطبعة الثانية).
- ١١ - أسرار الختان تتجلى في الطب الحديث (الطبعة الثانية).
- ١٢ - الطب النبوي بين العلم والإعجاز (الطبعة الثالثة).

● قضايا طبية فقهية:

- ١ - الدليل الطبي والفقهى للمريض في شهر الصيام .
- ٢ - الصوم بين الفقه والطب، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار .

- ٣ - صحتك في الحج والعمرة (الطبعة الثانية).
- ٤ - صوموا تصحوا (الطبعة الثانية).
- ٥ - رمضان بين يديك (بالاشتراك مع عدد من المؤلفين) دار العلوم، عمان.

● أخلاقيات الطب:

- ١ - مسؤولية الطبيب بين الفقه والقانون، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار (الطبعة الثانية).
- ٢ - الرعاية الصحية.. مشاكل وحلول، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار والبروفسور عدنان أحمد البار.
- ٣ - أخلاقيات البحوث الطبية، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار.

● في الأدب والتاريخ:

- ١ - هكذا كانوا يوم كنا (الطبعة الثانية).
- ٢ - الداء والدواء بين الأطباء والأدباء (الطبعة الثانية).

● في التربية والسلوك:

- ١ - أسعد نفسك وأسعد الآخرين (الطبعة السادسة).
- ٢ - كيف تربي أبناءك في هذا الزمان؟ (الطبعة السادسة).
- ٣ - همسة في أذن شاب (الطبعة العاشرة).
- ٤ - همسة في أذن فتاة (الطبعة العاشرة).

● إسلاميات:

- ١ - سهرة عائلية في رياض الجنة.
- ٢ - عندما يحلو المساء.

هذا إضافة إلى أكثر من سبعين بحثاً طبياً في أمراض القلب نشرت في المجلات الطبية الأمريكية والأوروبية، كما نشرت له مئات المقالات في المجلات والصحف العربية.

الدكتور حسان بن وصفي شمسي باشا



استشاري أمراض القلب في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة.
وُلد في حمص عام ١٩٥١م، وتخرج من كلية الطب في حلب عام ١٩٧٥م.
تخصص في بريطانيا بأمراض القلب، وعمل هناك أكثر من عشر سنين.
زميل الجمعية الأمريكية لأطباء القلب، عضو جمعية أمراض القلب
البريطانية، زميل الجمعية العالمية لأمراض الأوعية الدموية، عضو الجمعية
الأمريكية لأطباء العناية المركزة، عضو جمعية التغذية البريطانية.
خبير في مجمع الفقه الإسلامي الدولي.

مستشار محكم لدى عدد من المجلات الطبية.

أُدخل في موسوعة Who is Who لمشاهير الأطباء في العالم عام ٢٠٠١م.

أُدخل في موسوعة Who is Who للمشاهير في العالم لعام ٢٠٠٢م.

ألف أكثر من ٥٠ كتاباً، ثلاثة منها في أمراض القلب باللغة الإنجليزية.
له عدد من البرامج في الفضائيات العربية.

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدة

ص.ب: ٢١٤٦١ هاتف: ٢٨٩٥ / ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

ISBN 978-9933-475-29-1



9 789933 475291